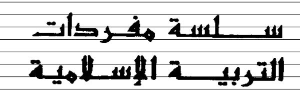


التربية الخلقية





سلسة مفردات
التربية الإسلامية

التربية الخلقية

تأليف

الدكتور على عبد الحليم محمود
من علماء الأزهر

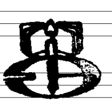
١٤١٨ هـ - ١٩٩٧م

رقم الإيداع

٩٨/٧٠٣٩

الترقيم الدولي

977-265-209-9



دار التوزيع والنشر الإسلامية

٨ ميدان السيدة زينب ت: ٣٩١١٩٦١ - ٣٩٠٠٥٧٢ ص ب ١٦٣٩

إهـــداء ..

إلى الذين يعملون فى صمت .. ويحتسبون عند الله مايقومون به من عمل وجهد فى تربية المسلمين، متخذين من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة رافدا يمدهم بالقيم التربوية الصحيحة .

وإلى الذين يرغبون فى أن يعرفوا عن التربية الإسلامية ما لا يسع المربى جهله .

وإلى القائمين على المؤسسات التربوية الإسلامية .

البيت ،

والمسجد ،

والمدرسة ،

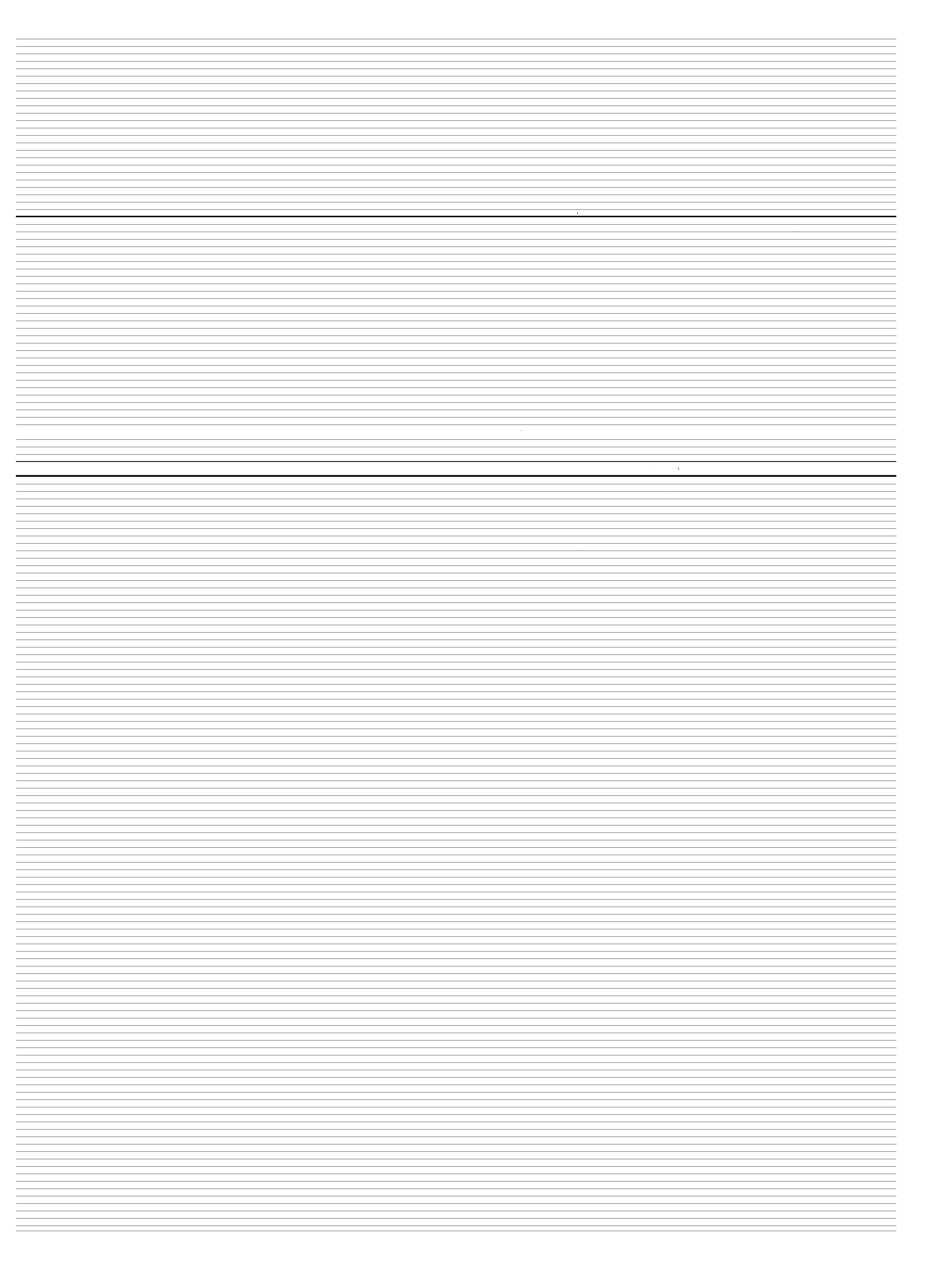
والنادى ،

والمجتمع كله ..

لعلهم يجدون فى هذه السلسة ما يعينهم على التربية الإسلامية الصحيحة .

إلى هؤلاء جميعا أهدى هذا الكتاب، سائلا الله تبارك وتعالى لى ولهم العون والتوفيق .

على عبد الحليم محمود



إهداء هذه الحلقة «التربية الخلقية »

إلى الذين يؤمنون بأن الخلق الحسن هو أثقل ما يوضع فى ميزان المسلم يوم يقف الناس بين يدى الله تبارك وتعالى .

وإلى الذين يعملون فى هذه الحياة الدنيا منطلقين من قول الرسول ﷺ : البر حسن الخلق .

إلى الراغبين فى إصلاح المجتمع بما لايصلح المجتمع إلا به، وهو حسن الخلق ، حلاً لكبار مشكلات المجتمع وصغارها .

إلى الذين يعلمون أن رسول الله ﷺ بعث ليتمم مكارم الأخلاق، أو محاسن الأخلاق.

إليهم أهدى هذه الحلقة من تلك السلسلة .

بين يدى هذا الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على خاتم رسل الله وعلى آله وصحبه ومن ولاه .

وبعد ؛

فإن هذا الكتاب « التربية الخلقية » هو الحلقة الثانية من سلسلة : « مفردات التربية الإسلامية » التى تمثل فى مجموع هذه المفردات المدخل إلى التربية الإسلامية .

وقد ظهرت الحلقة الاولى من هذه السلسلة تحمل عنوان : « التربية الروحية »(١) . وارجو ان تكون تلك الحلقة اسهمت فى تعريف من يشتغلون بالتربية الإسلامية بكيفية تربية روح المسلم ووصلها بالله تبارك وتعالى، وتعرف دعائم هذه التربية الروحية من اذكار وأوراد وادعية، ومن تربية عملية للروح، ومن طبع لهذه الروح بطابع الإيمان والتزام بسمت المؤمنين، ومن معرفة لاثر هذه التربية الروحية فى الإنسان نفسه وفى الأسرة والمجتمع وفى العمل من اجل الإسلام لتمكين دين الله فى الارض .

* وفى هذه الحلقات العشر :

التربية الروحية، والخلقية، والعقلية، والبدنية، والدينية، والاجتماعية، والسياسية، والاقتصادية، والجمالية، والجهادية، هى التى تكون فى مجموعها : « المدخل إلى التربية الإسلامية »(٢)، وتسهم فى تاصيل التربية الإسلامية بمعنى معرفة أصولها وقيمها وأهدافها كما أشارت إليها النصوص الإسلامية من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، وذلك التاصيل هو ما يحتاج إليه كثيرون ممن يشتغلون بالتربية عموما، وبعض المشتغلين بالتربية الإسلامية خصوصا.

ولابد لى هنا من ان اذكر ما سبق ان تحدثت عنه فى المدخل إلى هذه السلسلة كلها- وانا اقدم الحلقة الاولى منها- وهو أهداف الإنسان المسلم فى هذه الحياة الدنيا .

---

(١) اصدرتها دار والتوزيع والنشر الإسلامية . ط اولى ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م .

(٢) وبعد هذه المفردات او المدخل ياتى موضوع التربية الإسلامية فى البيت، وقد اصدرته بعنوان « تربية الناشئ المسلم » نشر دار الوفاء، ثم كتاب التربية الإسلامية فى المدرسة، ثم كتاب التربية الإسلامية فى المجتمع، وادعو الله ان يوفق إلى إتمامهما ويعين عليها .

وتلك الأهداف كما ذكرتها هناك هى :

- توحيد الله تبارك وتعالى وعبادته وحده لا شريك له وفق ماشرع من عبادات .

- واتباع منهجه سبحانه وتعالى « القرآن الكريم والسنة النبوية » فى الحياة، والالتزام بمفردات هذا المنهج .

- وإعمار الأرض، والوصول بحياة الناس فيها إلى أرقى مستوى يليق بتكريم الله تعالى للإنسان.

وتحت كل هدف من هذه الأهداف عشرات المفردات على نحو ما معروف ومبسوط فى مظانه[1] .

واذكّر بما قلته هناك أيضا من ان وسائل هذه المفردات كلها هى على وجه الإجمال ثلاثة :

* تعلم ،

* وعلم وتحصيل،

* وتعليم للناس بما فتح الله على العلماء من علم ومعرفة .

وأكدت هناك أن هذه الوسائل الثلاثة متكاملة لا يغنى بعضها عن بعض ولا يصلح بعضها دون بعض، وأنها فى مجموعها لا تخرج عن المفهوم الذى يعرفه الناس عن التربية اليوم.

- وقلت هناك : إن بناء الشخصية المسلمة القادرة على تحقيق هذه الأهداف، وعلى التعامل مع هذه الوسائل، هى الشخصية التى تصح فيها هذه المفردات للتربية الإسلامية التى حصرناها فى عشر هى: التربية الروحية، والخلقية، والعقلية إلى آخر هذه العشر، وهى الشخصية القادرة على التفاعل مع الحياة الدنيا وفق منهج الله تعالى ونظامه، لتفوز من وراء ذلك بسعادة الدنيا والآخرة.

* هذا ماقلته هناك فى المدخل إلى هذه السلسلة، أذكر بمجمله هنا، والذكرى تنفع المؤمنين.

- وأقول بين يدى هذه الحلقة الثانية من هذه السلسلة « التربية الخلقية » :

إن هذا النوع من التربية يجىء تاليا للتربية الروحية، لأن الخلق الحسن أساس ركين لكل

---

(١) انظر لنا : فقه الدعوة إلى الله، وفقه الأخوة، وفقه المسئولية، وفقه الدعوة الفردية، وغيرها .

تعامل حسن بين المسلمين، وإنما يمارس هذا التعامل من صفت روحه من شوائبها وأحسنت الصلة بربها فأحسنت التلقي عنه والامتثال لأمره ونهيه، والإقبال علي ماندب إليه وحبب فيه.

* إن التربية الخلقية المحكومة بالقيم التي أقرها الإسلام هي التي تمكن المسلم من إحسان التعامل في مجالات ثلاثة :

- التعامل مع الله بسلامة العقيدة وصحة العبادة واستقامة الخلق.
- والتعامل مع النفس بموضوعية وصدق وإلزامها بمنهج الله تعالي.
- والتعامل مع الناس تعاملا يقوم علي إعطاء كل ذي حق حقه، واداء كل واجب أوجبه الشرع أو العقل الصحيح المهتدى بالشرع، فيحقق فى هذه المجالات رضى الله ورضى النفس ورضى الناس، وما يصل للإنسان إلي هذا الرضى إلا بالتمسك بالأخلاق التى جاء بها الإسلام.
- والتربية الخلقية التى تحكمها القيم الإسلامية -وما اختاره الله تعالى من منهج ونظام- تختلف عما وضعه الناس للناس من قيم أخلاقية اختلافا حادا.

* فلكل مذهب من المذاهب الخلقية التى تعارف عليها الناس فى مختلف أزمانهم وأماكنهم نقائضه ونقائصه- التي سوف نتحدث عنها فى هذا الكتاب بإذن الله تعالى- اما المذهب الإسلامى فى الخلق فهو خال تماما من اى نقائض او نقائص، لأنه مذهب يقوم على القيم الخلقية التي جاء بها القرآن الكريم ، وتكفلت السنة النبوية الشريفة لتفصل وتشرح ما يجمله القرآن الكريم(١) .

* إن مما جعل الأخلاق فى الإسلام مبرأة من كل عيب او نقص، ومتلافية لكل رذيلة او شر، أنها كلها من عند الله تبارك وتعالى، الذي يعلم مايصلح الإنسان فى حاضره ومستقبله، ودنياه وآخرته، وأن الفضائل فى هذه الأخلاق قد حددها الله تعالى فى خاتم كتبه الذى أنزل على خاتم رسله عليه الصلاة والسلام.

- أما المذاهب الأخرى التى وضعها الناس للناس فى الأخلاق ففيها من التناقض والنقص والقصور ما هو ملائم لقصور الإنسان ونقصه.

وسوف نشير إلي بعض هذه المذاهب التى وضعها الناس للناس فى عجالة شديدة

(١) سنفصل ذلك فى الباب الثالث من هذا الكتاب إذا اذن الله تعالى.

الإيجاز، حتى ندعم بذلك مانقول من نقص مايضع الناس للناس، وكمال مايضع الله للناس، فنقول والله المستعان .

١ – هناك مذهب «المنفعة» في الأخلاق :

وخلاصته أن الخلق الفاضل هو الذي يجلب النفع لصاحبه، النفع الدنيوى لاسواه، إذ لا يعترف هؤلاء بما وراء الدنيا من حياة، ولكل إنسان عند دعاة هذا المذهب النفعي أن يمارس من الأخلاق ما يشاء مادام ذلك يحقق له نفعا دنيويا!!

* فهل يستقيم هذا المذهب في ظل تعارض المنافع عند الناس، ذلك التعارض المستمر أبدا؟!

* هل يستطيع هذا المذهب–وهذه فلسفته–أن يعين الناس علي أن يحيوا حياة إنسانية اجتماعية صحيحة تحترم الإنسان وتقدر حقوقه، وتحفظ عليه كرامته التي منحها الله إياه؟

* وهل يستطيع المذهب النفعى فى الأخلاق أن يزيل التناقض بين مصالح الناس ومنافعهم؟

٢ – وهناك مذهب ينادى بأن الأخلاق ترجع إلى المصلحة ، المصلحة فى جانبيها المعروفين فى حياة البشر :

القوة والضعف أو الأقوياء والضعفاء، أو الكبار جاها ومالا، والصغار الذين لم ينالوا من الجاه ولا المال، أو الكرام الأحرار، واللئام الوضعاء!!

ويرتبون على ذلك أن الأخلاق الفاضلة هى أخلاق الأقوياء، والأخلاق الرازلة هى أخلاق الضعفاء !!

أو يقولون: إن الأخلاق الفاضلة هى أخلاق السادة أصحاب المطامح البعيدة، وأن الأخلاق الرازلة هى أخلاق الوضعاء المغمورين الذين حرموا من هذه السيادة!!

* فهل يستقيم هذا القياس عند عاقل ؟!

* وما المعيار الذي قاسوا به قوة الأقوياء أو سيادة السادة وضعف الضعفاء أو وضاعة من حرم القوة والجاه والمال؟!

* وأين الفضيلة فى أخلاق الأقوياء والسادة وأصحاب الجاه والمال حين يبطشون بغيرهم ويظلمون ويعتسفون؟

* وأين الرذيلة فى أخلاق ضعيف مقهور؟!

* وهل يعد كل خلق صادر من قوى فاضلا ، وكل خلق صادر من ضعيف راذلا؟

الا ساء مايحكمون !!

الا حاق بهم ماكانوا يذهبون إليه من هذا الباطل والإفك والظلم للإنسان!

٣ – ومن المذاهب من رأى ان الأخلاق الفاضلة هي الأخلاق القوية الدالة على قوة صاحبها، وضربوا لذلك الأمثال ، فقالوا :

– الشجاعة خلق فاضل لانها ترفض الجبن والانهزام!!

– والكرم خلق فاضل لانه يأبى الكزازة والبخل !!

– والعدل خلق فاضل لان صاحبه يتغلب علي نوازع الطمع والهوى!!

– والعفة قوة لانها تغلب على الشهوة والإغراء !!

– والصبر قوة لان صاحبه يأبى الجزع ويقدر على احتمال المكاره !!

– والحلم قوة – اى خلق فاضل– لما ينطوى عليه من الصبر على المسيء!!

– والرحمة قوة، لانها دفع للأذى وللحاجة عن الصغار والضعفاء والمحاويج!!

* لقد كان لهذا المذهب انصار قدامى وانصار محدثون ، ولكنه على الرغم من ذلك فهو مذهب غير صحيح إنسانيا ولا عقليا .

وعلي سبيل المثال :

ما هو الضابط للقوة في الخلق ؟

اهو القوة والاستطاعة ؟

إذن لذهب كل قوى يفعل مايشاء مهما اضر بغيره من الناس!!

وإذن لكان العجز عن ممارسة اى خلق فاضل لاى سبب من الأسباب، يجعل هذاالخلق ذميما!!

وفى ذلك ما فيه من التناقض ، وما فيه من اختلال الموازين، وما فيه من قلب الحقائق وضياعها!!

– إن كل هذه المذاهب التى وضعها الناس للناس فى الأخلاق باطلة واضحة البطلان ، بل مجحفة بالإنسان !!

* وكل هذه المعايير التى وضعت لها مختلفة- كما رأينا- بحيث يصعب التفاهم على ضابط أو رابط لها يوصف بأنه صحيح- كما رأينا أيضا- وكل مايفقد الضوابط والروابط في العمل الإنساني فليس بصحيح، والقادر على عمل ما لم يكن قادرا على الامتناع عنه، كان ضعيف الإرادة واهن العزيمة، أقرب مايكون إلى الحيوان الذى لايملك هذه الإرادة والاختيار.

* والله تبارك وتعالى كرم الإنسان بالعقل وجعله مناط التكليف ، وجعل للإنسان من الحرية والاختيار فى العمل مايجعله حرا فى الفعل والترك، كما يهديه إلى ذلك العقل أو الشرع، وهذا هو سر جمال الأخلاق، وهو دليل على أنها أخلاق فاضلة.

* إن الشرع يوجه العقل بأن يضع أمامه الاختيارات ، ويطلق له حرية الاختيار وحرية الإرادة، ليس فى تبني خلق معين فحسب، ولكن فى الإيمان والكفر﴿ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾ [الكهف: ٢٩] ﴿ لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ﴾ [البقرة: ٢٥٦] .

* ومن صميم سلامة الخلق واستقامته أن تحمل شريعة الإسلام كل إنسان مسئولا عن تبعة أعماله، فهو مسئول، عما يقوم به من عمل يليق بكرامة الإنسان، ولا تعفيه من هذه المسئولية إلا فى أحوال نادرة .

* والتفاضل الحقيقى بين الناس، لمعرفة الفاضل منهم، وغير الفاضل، هو فى الإحساس بالمسئولية والقيام بأعبائها، وتحمل تبعاتها، لأن هذا الإحساس هو الذى يدعم إنسانية الإنسان .

* والفضائل التى دعا الإسلام إلى التمسك بها رهن بإحساس المسلم بمسئوليته الذاتية على مستوى الفرد ، وبمسئوليته الاجتماعية على مستوى المجتمع، وبمسئوليته العامة على مستوى الأمة الإسلامية كلها[1] .

* إن مبدأ المسئولية من المبادئ التى قررها القرآن الكريم فى آيات كريمة كثيرة، نذكر منها مايلى :

﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ ﴾ [المدثر: ٣٨].

﴿ وَلا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلاَّ عَلَيْهَا وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ [الأنعام: ١٦٤].

﴿ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً ﴿٣٦﴾ ﴾ [الإسراء: ٣٦].

---

(١) انظر للمؤلف : كتاب فقه المسئولية، فهو كتاب موسع عن المسئولية فى الإسلام، نشر دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة ط أولى ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥م ..

* فعلى مستوى الفرد :

يعد القيام بواجبه نحو نفسه، بما يحفظ لها كرامتها وحقوقها، فضيلة لا يختلف عليها الناس، كما يعد التخلى عن هذه الواجبات رذيلة لا يمارى فى رذيلتها عاقل

* وعلى مستوى المجتمع :

يعد القيام بالواجبات الاجتماعية، وهى كثيرة، ومتنوعة فضيلة عند كل الناس، كما يعد الإخلال بهذه الواجبات رذيلة عند كل الناس كذلك.

والواجبات الاجتماعية واسعة المدى فهى تبدأ بواجبات فى مجال الأسرة وتستمر حتى تشمل إماطة الأذى عن الطريق، وإطعام كل ذات كبد رطبة، وإراحة الذبيحة عند ذبحها.

تلك مقررات فى شريعة الإسلام وفى شريعة العقل وفى شريعة النظام الاجتماعي الإنسانى.

* وعلى مستوى الأمة :

يعد القيام بالواجبات نحو الأمة الإسلامية فى مختلف بقاع العالم، فى كل مجال من مجالات الواجب –وهى كثيرة ومتنوعة– فضيلة دعا إليها الإسلام بل أوجبها، كما يعد القعود عن هذا الواجبات رذيلة أدانها الإسلام، واعتبرها من المعاصى.

والواجبات على مستوى الأمة الإسلامية تبدأ بمد يد العون لكل مسلم فى أى مكان فى العالم، من منطلق الخطاب العام للمسلمين جميعا بقول الله تعالى : ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ﴾ [المائدة: ٢] وتستمر لترعى الأقليات المسلمة فى أى بقعة فى العالم، وتنتهي بالجهاد فى سبيل الله والتضحية بالمال والجهد والوقت والنفس، عند الاعتداء على أى شبر أرض من بلاد المسلمين.

تلك مقررات إسلامية لاخلاف عليها اجتماعيا ولا إنسانيا .

– إن الفضائل الأخلاقية التى دعا إليها الإسلام ترتبط ارتباطا وثيقا بالإحساس بالمسئولية والاستعداد لأداء ما تمليه هذه المسئولية عليه.

والمسلم الفاضل هو من يروض نفسه على أداء مايجب عليه، ويحاسِب نفسه قبل أن يُحاسبَ، ويزن عمله بنفسه قبل أن يُوزن عليه.

* وسوف نفصل القول فى الأخلاق الفاضلة كما جاء بها القرآن الكريم والسنة النبوية

المشرفة[1]، وكما الزم بها وحض عليها واعتبر التمسك بها طاعة لله، والتخلى عنها معصية له سبحانه وتعالى.

* وحسبنا هنا ان نذكُر بصورة مجملة بالأخلاق الإسلامية، فنقول :

- إننا نستطيع ان نلتمس الأخلاق الإسلامية الفاضلة فى الصفات التى وصف الله تبارك وتعالى بها نفسه، أو تسمى بها فى أسمائه الحسنى، إذ كلها مما يحمد للإنسان ان يتحلى بها، وان يروض نفسه على ذلك ما استطاع، كما يروض نفسه على التخلى عن نقائض هذه الصفات.

- ويستثنى من تلك الصفات، صفات خص الله تعالى بها نفسه ولا يستطيع الإنسان ان يتحلى بها لان فطرته لا تطيق ذلك ولا يليق بها.

- كما نستطيع ان نلتمس هذه الأخلاق الفاضلة فى أخلاق الرسول المعصوم ﷺ ، وما اتصف به من صفات جُمعت فى كلمة ام المؤمنين عائشة رضى الله عنها حين سئلت عن أخلاق النبى ﷺ فقالت : «كان خلقه القرآن» .

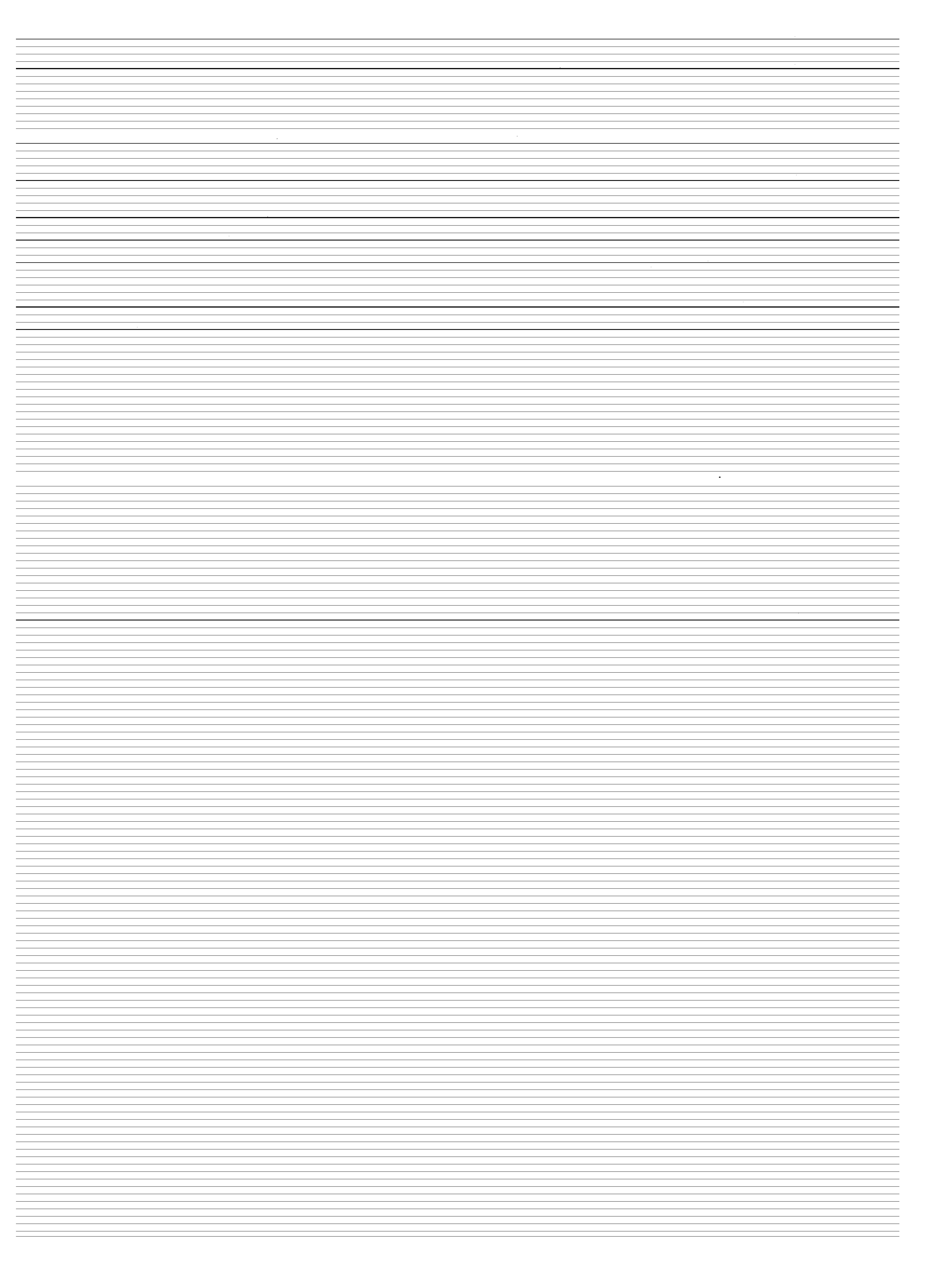
- إن صفات النبى ﷺ يجب ان تكون مرجع كل مسلم، يلتمس فيه كل فضيلة يجب أن يتحلى بها، مرجعا لا يجوز ان ينافسه مرجع آخر، فالرسول ﷺ قدوة لكل مسلم: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ [الأحزاب: ٢١].

- ويستثنى من صفات الرسول ﷺ تلك الصفات التى لايستطيع الإنسان ان يتحلى بها تخفيفا من الله على الإنسان، وهى الصفات التى خص الله بها نبيه، لأنها ليست من طاقة اى إنسان كوجوب قيام الليل عليه ﷺ ونحوه .

- إن الأخلاق الإسلامية بهذه الشروط والاحترازات، وبهذه القدرة على التحلى بهذه الفضائل صالحة لان يتحلى بها المسلمون وغير المسلمين، لأنها تستهدف الخير للناس جميعا، وتستهدف الحق والعدل لكل البشر، ويؤدى التحلى بها إلى القضاء على الفساد والإفساد والمفسدين، وفى ذلك ما فيه من تحقيق المصالح ودفع المفاسد عن الإنسان فى اى زمان ومكان.

إن غير المسلم من أهل اى ملة أو نحلة يستطيع ان يتحلى باخلاق الإسلام لو اراد، سواء أكان يعيش فى داخل مجتمع مسلم، ام يعيش بعيدا عنه، معاديا له، هذا لو أنه أراد لنفسه ولمجتمعه ان يحيا حياة إنسانية كريمة، بعيدة عن الظلم والقسوة والشر والرذيلة.

(١) سيكون ذلك فى الباب الثالث من هذا الكتاب بإذن الله تعالى.



الباب الأول

مفهوم التربية الخلقية

وفيه ثلاثة فصول

الفصل الأول :

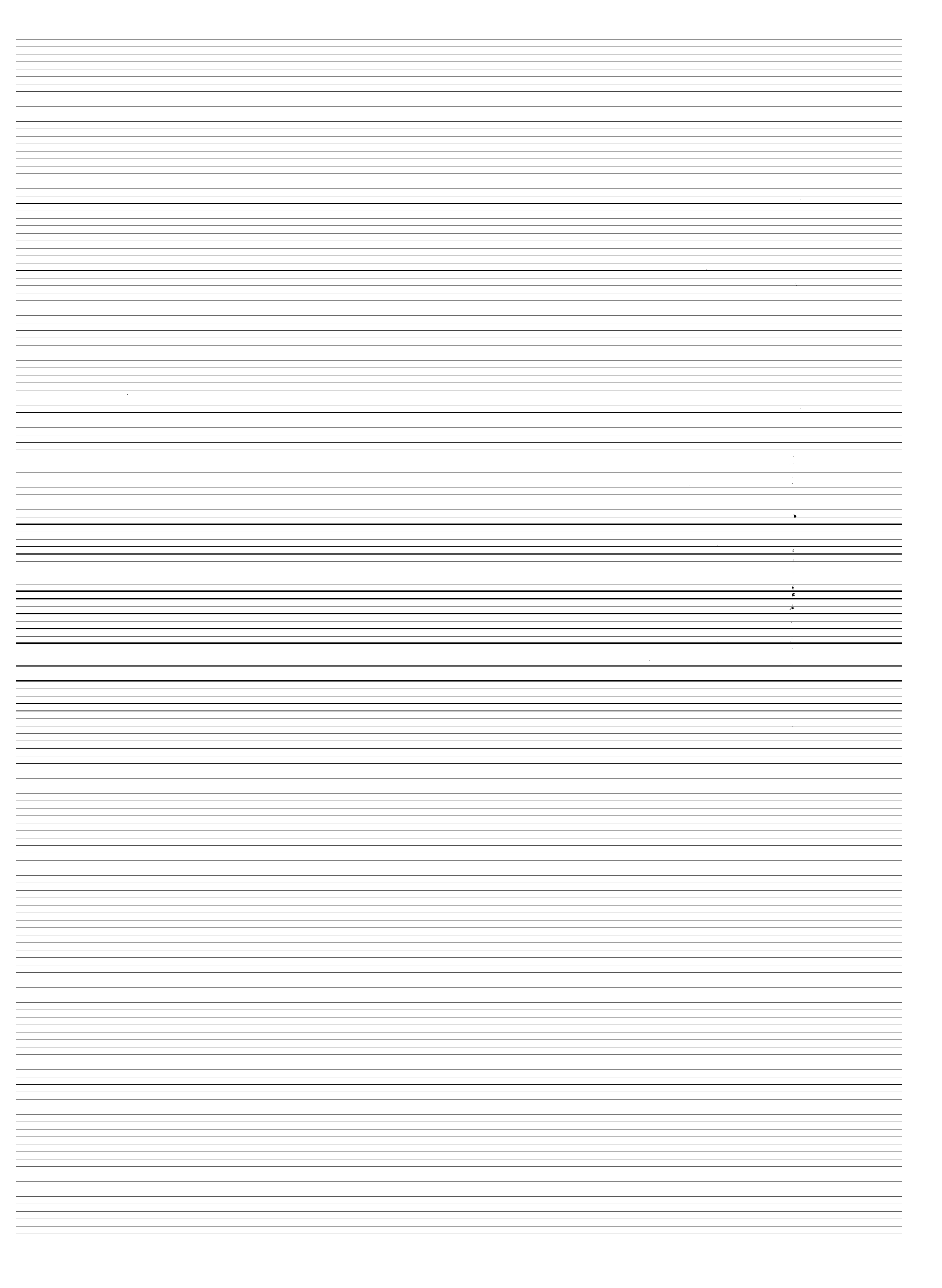
في الإطار اللفظي للتربية الخلقية

الفصل الثاني :

في المجال المعنوي للتربية الخلقية

الفصل الثالث :

في التطبيق العملي للتربية الخلقية



مفهوم التربية الخلقية

نحاول فى هذا الباب -مستعينين بالله تعالى- أن نلقى ضوءاً على مفهوم التربية الخلقية، حيث يتكرر لدينا هذا التركيب فى كل مفردة من مفردات التربية الإسلامية ، فنقول :

التربية الروحية ،

والتربية الخلقية ،

والتربية العقلية ... إلى آخر هذه المفردات العشرة التى ذكرناها آنفا، فنحن فى هذا التركيب نصف التربية بأنها خلقية أو عقلية أو دينية الخ .

* وهذا نوع من التقسيم والتفصيل ليسهل على القارئ معرفة الفروق بين كل قسم وآخر، وإلا فإن تسمية التربية الإسلامية تضم هذه المفردات العشر .

* ولابد لى فى التمهيد لهذا الباب أن ألقى ضوءا على الأخلاق فى الأديان السماوية الثلاثة، اليهودية والمسيحية والإسلام، من خلال ما ورد فى الكتب التى أنزلت على أنبياء هذه الأديان، فى إيجاز يلائم هذا التمهيد .

* **أما اليهودية :**

فتعتبر الأخلاق من تعاليم الرب يخاطب شعبه المختار- كما يتصورون- قائلا لهم : «الآن إن سمعتم لصوتى وحفظتم عهدى تكونون لى خاصة»[1] .

ومن أبرز ما لديهم من قيم خلقية ماجاء على لسان الرب قائلا : «أكرم أباك وأمك لكى تطول أيامك على الأرض التى يعطيك الرب إلهك، لا تقتل ، لا تزن، لا تسرق، لاتشهد على قريبك شهادة زور، لا تشته بيت قريبك، لا تشته امرأة قريبك ولا عبده ولا أمته ولا ثوره ولا حماره، ولا شيئا مما لقريبك»[2] .

غير أن اليهودية لم تعن بالحياة الآخرة كما عنيت بالحياة الدنيا وإنما أعطت جل اهتمامها للحياة العاجلة، وقل اهتمامها بالحياة الآجلة .

---

(١) العهد القديم «التوراة» سفر الخروج : ١٩ / ٥ .

(٢) السابق : سفر الخروج : ٢٠/١٢-١٨ .

ومما هو جدير بان يُلحظ ان النهى عن كثير من الجرائم مقيد بأنه نهى عن شهادة زور على قريبه وعن سائر المنهيات عن القريب، مما يوحى بان غير القريب لا حرمة له!!

* **وأما المسيحية :**

فالأخلاق فيها من عند الرب كذلك ، ولكنها تعنى بالحياة الآجلة إلى حد كبير قد يؤدى إلى إهمال الحياة العاجلة، إذ تدعو إلى العزوف عن الدنيا، والتهيؤ بالأخلاق الوديعة للحياة الأبدية .

وقد جاء فى الإنجيل : «طوبى للرحماء لانهم يرحمون، طوبى لأنقياء القلب لانهم يعاينون الله، طوبى لصانعى السلام لانهم أبناء الله يدعون، سمعتم انه قيل : عين بعين، وسن بسن[١] ، واما انا فاقول لكم: لا تقاوموا الشر.. بل من لطمك على خدك الأيمن فحول له الآخر أيضا، وسمعتم انه قيل: تحب قريبك وتبغض عدوك، واما انا فاقول لكم: احبوا اعداءكم ، وباركوا لاعنيكم، احسنوا إلى مبغضيكم»[٢] .

ومما يلحظ فى تلك القيم أنها تتجاهل حظ الإنسان من الدنيا، وتجعل الحياة الدنيا نقيضا للملكوت السماوى!!

وأما الإسلام :

وهو خاتم الأديان السماوية، فقد تكاملت فيه القيم الخلقية تكاملا دقيقا، واستهدفت عندالتحلي بها سعادة الدارين الدنيا والآخرة، وتمثلت هذه القيم الخلقية في عديد من آيات القرآن الكريم وفي عديد من الاحاديث النبوية[٣] .

وعلي سبيل المثال :

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [النحل: ٩٠].

وقال جل شانه: ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُم مِّنْ إِمْلاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلا

---

(١) يقصد ماجاء فى التوراه : العين بالعين والسن بالسن .

(٢) العهد الجديد : إنجيل متى : ٤ / ٣ .

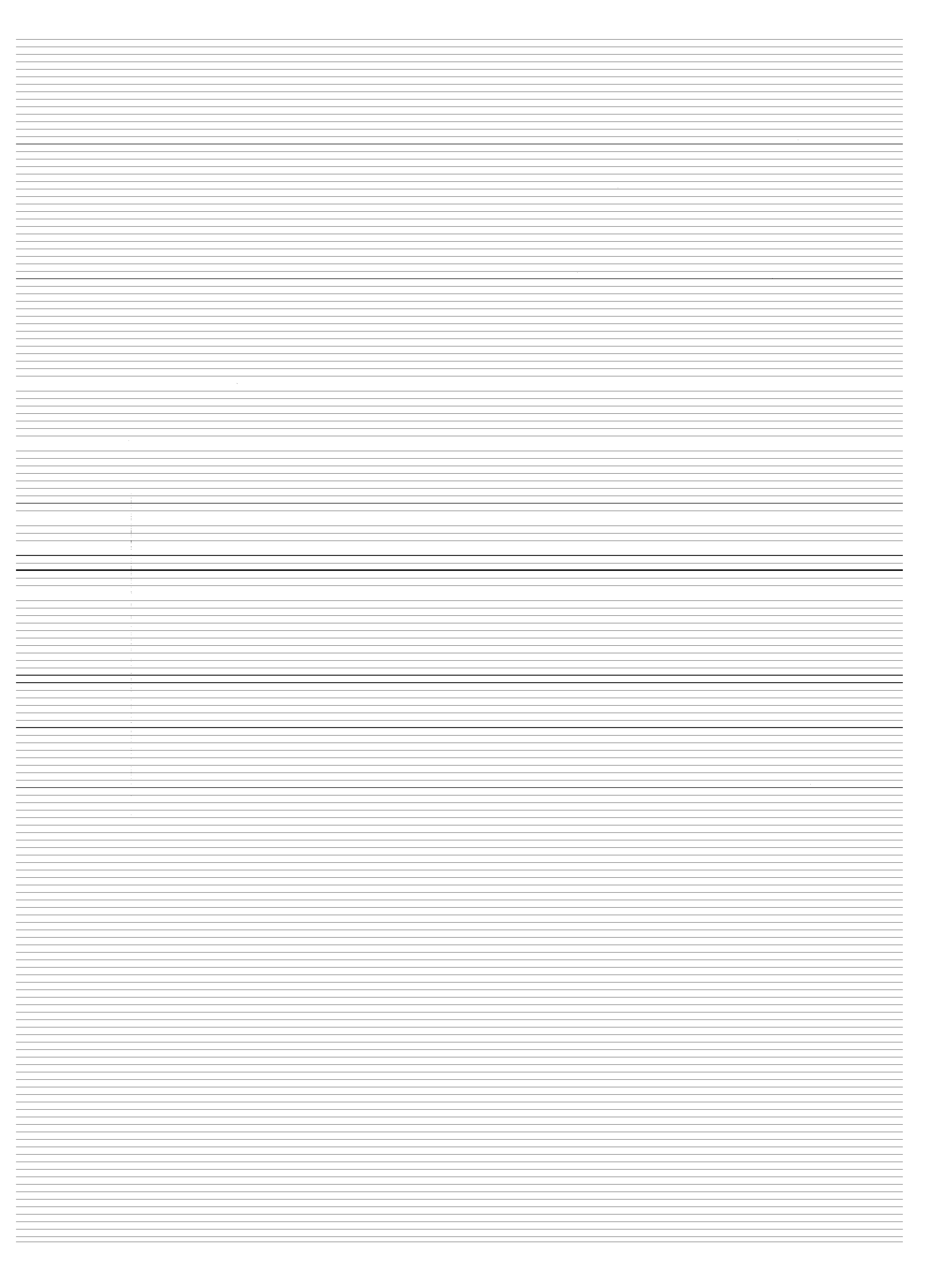
(٣) وسوف نفصل ذلك، ونذكر من هذه الآيات الكريمة والاحاديث الشريفة ما ليس بالقليل فى الباب الثالث من هذا الكتاب.

تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (١٥١) وَلا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (١٥٢) ﴾ [الأنعام: ١٥١، ١٥٢].

وروى البزار بسنده عن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « إن أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا، وإن حسن الخلق ليبلغ درجة الصوم والصلاة ».

وبعد:

فإلى الحديث عن مفهوم التربية الخلقية فى الفصل الأول من هذا الباب، والله المستعان.



الفصل الأول

فى الإطار اللفظى للتربية الخلقية

ويتناول :

١ - مفهوم التربية :

(أ) فى الدراسات الاجتماعية الحديثة .

(ب) فى العربية والنصوص الإسلامية .

٢ - مفهوم الخلق :

(أ) عند الإمام الغزالى .

(ب) وعند العلامة محمد بن الشريف الجرجانى .

(ج) وعند العالم الموسوعى طاش كبرى زاده .

(د) وعند العالم البحاثة التهانوى .

١ – مفهوم التربية :

على الرغم من ان كلمة « التربية » عندما يسمعها السامع يدرك معناها بيسر وسهولة، فإن تعريفات عديدة للتربية، تجعل الاتفاق على واحد منها امرا بالغ الصعوبة .

أ – فى الدراسات الاجتماعية الحديثة :

وعلى الرغم من ان كلمة التربية بهذا اللفظ حديثة نسبيا فى اللغات الاوربية إذ لم تعرف فى المعجم الفرنسى قبل عام ١٥٢٧م وهو نقل عن اللاتينية قام به أصحاب النزعة الإنسانية فى عصر النهضة الأوربية، فقد كانت اللاتينية تستخدم الكلمة للدلالة على تربية النباتات أو الحيوانات ، وللدلالة على الطعام، وعلى تهذيب بنى البشر دون تفريق بين هذه الاحوال جميعها .

وفى عام ١٦٤٩م لم يكن المجمع العلمى الفرنسى يعرف غير معنى تكوين النفس والجسد، ويجعل منها ومن التعليم شيئا واحدا .

هذا عند المشتغلين بعلم التربية من المفكرين الغربيين .

* أما الفلاسفة الغربيون :

– فمنهم من يرى التربية هى : تكوين الفرد من أجل ذاته، بإيقاظ ميوله الكثيرة .

ومنهم من يراها : تكوين الافراد تكوينا اجتماعيا.

– ومن يراها : جعل الفرد اداة سعادة لنفسه ولغيره .

– ومنهم من يراها : جميع ما نقوم به من أجل انفسنا وما يقوم به الآخرون من اجلنا بغية الاقتراب من كمال طبيعتنا .

* ثم تطور مفهوم الكلمة عندهم بعد ذلك تطورا كبيرا .

ب – التربية فى العربية وفى النصوص الإسلامية:

* أما التربية فى اللغة العربية وفى مفهومها الإسلامى، فهى أصيلة قديمة فى الوجود قدم العربية نفسها، ولم تستحدث عند ظهور الإسلام، ولا ادخلت على اللغة والفكر نتيجة لنقلها من لغة أخرى .

* ففى معاجم اللغة العربية قديمها وحديثها نجد مايلى :

– ربا الشىء : زاد ونما .

– وربيتُه وأربيتُه : نميته .

– وَرُبِّيتُ فلانا أربيه تربية : غذوته ، ويقال هذا للولد وللزوج ونحوه[1] .

– وكلمة التربية من مشتقات «رَبَّ» أو هي مصدر له .

وتدل الراء والباء على أصول ثلاثة :

* الأول : إصلاح الشيء والقيام عليه ،

* الثانى : لزوم الشيء والإقامة عليه ،

* والثالث : ضم الشيء للشيء[2] .

* وهذا التعريف الأخير لابن فارس المتوفى سنة ٣٩٥هـ وهو تعريف يتناول كل مفهوم من مفاهيم التربية عاما كان هذا المفهوم أو خاصا .

إذ التربية إصلاح للمتربى وقيام على أمره ولزوم له، وضم لمفردات تربيته بعضها إلى بعض حتى ينضج ويبلغ درجة الاكتمال الملائم لقدراته من تربية لروحه وخلقه وعقله وجسده ودينه وحسه الاجتماعى والسياسى والاقتصادى والجمالى والجهادى.

* والمعاجم العربية الحديثة تقول :

– رباه : نماه وغذاه ونشاه ، ونمىَّ قواه الجسدية والعقلية والخلقية[3] .

– ورَبَّ الولد : وَلِيَهُ وتعهده بما يغذيه وينميه ويؤدبه .

* وكتب التفسير للقرآن الكريم معظمها قال فى تفسير كلمة : الرب : الربّ فى الأصل التربية وهى إنشاء الشيء حالا بعد حال إلى حد التمام، يقال : ربَّهُ وربَّاه ، وربَّبَه.

* وفى كتب السنة النبوية ورد لفظ التربية حينا وورد معناها أحيانا[4] .

– فقد روى البخارى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب – ولا يقبل الله إلا الطيب– فإن الله يتقبلها بيمينه ثم يربيها لصاحبها ، كما يربى أحدكم فلوه، حتى تكون مثل الجبل» .

---

(١) ابن منظور : لسان العرب .

(٢) ابن فارس : معجم مقاييس اللغة .

(٣) مجمع اللغة العربية : المعجم الوسيط : ١/٣٣٨ .

(٤) سوف نفصل ذلك فى الباب الثالث من هذا الكتاب إذا أذن الله تعالى .

وروى الدارمى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال . قال رسول الله ﷺ « ماتصدق امرؤ بصدقة من كسب طيب ولا يقبل الله إلا طيبا - إلا وضعها فى كفّ الرحمن ، وإن الله ليربى لأحدكم التمرة كما يربى أحدكم فُلُوّه أو فصيله، حتى تكون مثل أحد » .

– وروى الدارمى بسنده– فى : باب ما كان عليه الناس قبل مبعث رسول الله ﷺ من الجهل والضلالة – عن مجاهد قال : « حدثنى مولاى أن أهله بعثوا معه بقَدحَ فيه زبد ولبن إلى آلهتهم، وقال : فمنعنى أن آكل الزبد لمخافتها– أى مخافة الآلهة – قال : فجاء كلب فأكل الزبد وشرب اللبن، ثم بال على الصنم – وهو إساف ونائلة – قال هارون بن معاوية : كان الرجل فى الجاهلية إذا سافر حمل معه أربعة أحجار : ثلاثة لقدره(١) والرابع يعبده، ويربى كلبه ويقتل ولده!!! » .

– وروى البخارى بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : « كونوا ربانيين حلماء– وفي رواية حكماء – فقهاء » .

– ويقال فى تفسير معنى الربَّانى – كما جاء ذلك فى كثير من كتب تفسير القرآن الكريم– : « هو الذى يربى الناس بصغار العلم قبل كباره » .

* والأحاديث النبوية التى ورد فيها معنى التربية كثيرة ، إذ وردت بمعنى التعليم والتأديب والتهذيب والرعاية .

– روى الطبرانى بسنده عن أبى ثعلبة رضى الله عنه قال :

لقيت رسول الله ﷺ فقلت : يا رسول الله : ادفعنى إلى رجل حسن التعليم، فدفعنى إلى أبى عبيدة بن الجراح ثم قال : « قد دفعتك إلى رجل يحسن تعليمك وأدبك » .

– وروى سعيد بن منصور فى سننه بسنده عن أبى رافع رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « كيف بك يا أبا رافع إذا افتقرت » ؟

– قال : أفلا أتقدم فى ذلك ؟

– قال : « بلى ، ما مالك » ؟

---

(١) والثلاثة الأحجار التى للقدر هى . الأثافى واحدتها أثفية، وهى توضع قائمة تلتصق أطرافها من أعلى وتتسع من أسفل، أو توضع اثنتان عن يمين وشمال وثالثة من الخلف وتبقى جهة الأمام لتوقد فيها النار

– قال : أربعون ألفا وهى لله .

– قال : «لا ، أعط بعضا وامسك بعضا وأصلح إلى ولدك» .

–قال : أو لهم علينا حق كما لنا عليهم ؟

– قال : «نعم ، حق الولد على الوالد .

أن يعلمه كتاب الله، والرمى، والسباحة، وأن يورثه طيبا» .

– روى الحاكم فى مستدركه بسنده عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه قال : علمت ناسا من أهل الصفة الكتابة والقرآن، واهدى إلىَّ رجل منهم قوسا، فقلت ليست بمال، وأرمى عليها فى سبيل الله، لآتين رسول الله ﷺ فلأسألنه، فأتيته، فقلت : يارسول الله رجل أهدى إلىَّ قوسا ممن كنت أعلمهم الكتاب والقرآن وليست بمال، وأرمى عليها فى سبيل الله، قال : «إن كنت تحب أن تطوق طوقا من نار فاقبلها» .

وبعد هذه الجولة فى دلالة اللفظ وعمق جذوره فى العربية ، وفى النصوص الإسلامية الموثقة– الكتاب والسنة – نعود فنقول :

التربية : «نظام اجتماعى يحدد الأثر الفعال للأسرة والمدرسة فى تنمية النشء من النواحى الجسمية والعقلية والخلقية؛ حتى يتمكن الفرد بتلك التربية من أن يحيا حياة سوية فى البيئة التى يعيش فيها، فالتربية عملية عامة لتكييف الفرد حتى يتلاءم مع تيار الحضارة التى يعيش فيها» .

هكذا تعرَّف التربية عند معظم المفكرين المشغولين بالتربية فى العالم كله، دون أى اختلاف جوهرى فى هذا التعريف.

* ولكن التربية الإسلامية – كما أوضحنا ذلك وفصلناه فى كتابنا التربية الروحية–(1) تدل على ما هو أكثر من ذلك ، مما نشير إليه فيما يلى :

التربية الإسلامية هى :

النظام الاجتماعى الذى جاء به الإسلام ليتحدد من خلاله الأثر الفعال، من خلال مؤسسات ثلاث هى :

---

(1) نشرته دار التوزيع والنشر الإسلامية : ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م .

الأسرة :

بمفهومها الضيق الذى يشمل الأبوين والإخوة والأخوات والاقارب والأرحام .

وبمفهومها الواسع الذى يدخل فيه الجيران والاصدقاء والمجتمع كله .

إذ لا شك أن هذه المؤسسة ذات أثر فعال للافراد الذين ينشأون فى كنفها ورحابها.

والمسجد :

وما ينبغى أن يتركه فى نفوس رواده من آثار حسنة فى أرواحهم يغذيها بما يصلها بخالقها سبحانه وتعالى، وفى أخلاقهم من حبهم للخير وللناس، ورغبة فى التعاون معهم على البر والتقوى، وفى حسهم الأجتماعى بغرس المحبة والرحمة فى نفوسهم نحو الناس جميعا .

والمدرسة :

وما تدل عليه من معلم وكتاب ووسيلة ومنهج، ومبنى، وما يجب أن تتركه هذه المدرسة فى ابنائها، وما تحدثه فيهم من تغيرات نحو الأحسن فى أرواحهم وأخلاقهم وعقولهم واجسامهم، وتدينهم، وحسهم الأجتماعى والسياسى والأقتصادى والجمالى والجهادى.

هذه المؤسسات الثلاث تستهدف أن تمكن الإنسان من أن يعيش حياة سعيدة فى دنياه بحيث يعمرها بالعلم الصالح وحب الناس وحب الخير لهم ليحظى بالسعادة فى الحياة الأخرى، الحياة الأبدية ،حيث يجد رضى الله تعالى وجنته .

* فالتربية الإسلامية فى هذه المؤسسات الثلاث تؤهل الإنسان لكى يحقق سعادة معاشه ومعاده، وفق المنهج الذى اختاره الله تعالى لعباده، وأنزله على محمد ﷺ قرآنا يتلى، وسنة نبوية شريفة لاينطق صاحبها عن الهوى، تشرح وتفصل وتهدى إلى الحق وإلى الصراط المستقيم صراط الله.

هذا عن التربية .

أما وصفها بأنها خلقية، فيستدعى أن نتحدث فى كلمات عن الخلق الذى توصف به هذه التربية، سائلين الله التوفيق .

٭ التربية الخلقية :

الخُلُقية : نسبة إلى الخُلُق .

- مفهوم الخلق :

هو نظام متكامل من السمات أو الخصائص العقلية أو السلوكية تميز شخصا ما، وتؤلف هذه السمات البناء النفسي للإنسان ، وتتيح له أن يسلك سلوكا متفقا مع ذاته وقيمه إزاء المواقف المتعددة .

* وقد يتداخل مفهوم الخلق بهذا المعنى - إلى حد ما - مع مفهوم الشخصية، غير أن الفارق الرئيسي بينهما هو :

- أن التركيز في الخلق يتجه إلى الإرادة ويصطبغ بالقيم .

- بينما التركيز في الشخصية يتناول المظاهر الاجتماعية للسلوك بوجه خاص[١] .

هكذا عرف المشتغلون بالعلوم الاجتماعية الخلق .

* وهناك إجمال جيد لتعريف الأخلاق جاء في معجم : « لا لاند » يقول فيه :

للأخلاق دلالات أربع هي :

الأولى :

أن الأخلاق هي جملة قواعد السلوك المقبولة في عصر أو لدى جماعة من الناس ، وبهذا المعنى قد توصف الأخلاق بأنها قاسية أو سيئة أو منحلة .

والثانية :

أن الأخلاق هي جملة قواعد السلوك التي تعتبر صالحة صلاحا ، لا شرطيا .

الثالثة :

أن الأخلاق هي نظرية عقلية عن الخير أو الشر، وهذه هي الأخلاق الفلسفية .

الرابعة :

أن الأخلاق هي جملة مايتحقق في العلاقات الاجتماعية من أهداف حياة، ذات صبغة إنسانية أعظم[٢] .

---

(١) د. احمد زكي بدوي : « معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية » : ٥٦ ط مكتبة لبنان - بيروت - بدون تاريخ.

(٢) الموسوعة الفلسفية العربية : ١/ ٣٨ ط معهد الإنماء العربي ١٩٨٦م.

* هذه جملة مايرى الغرب فى تعريف الأخلاق، ويلحظ أن هذه التعريفات جميعا، وتعريف المشتغلين بالعلوم الاجتماعية الذى قدمناه آنفا، كل ذلك يخلو تماما من أى إشارة إلى الحياة الآخرة، كما يخلو من أى إشارة إلى ماجاء به الرسل عليهم الصلاة والسلام.

* وبغض النظر عن السر الكامن وراء تجاهلهم للحياة الآخرة أو تجاهلهم للديانات، فإن من المؤكد أن هذا التجاهل ليس فى صالح الإنسان من جانب، ولن يستطيع أن يرفع من قدر العقل حتى يلغى به الوحى من جانب آخر!!

* ومن أجل وضع الأمور فى نصابها، ومن الحيدة بين العقل والوحى، ومن أجل احترام الأديان السماوية.

* ومن أجل أن تتضح صورة الخلق فى الإسلام وتعرف حقيقته وأبعاده، من أجل ذلك كله نسوق تعريفا للخلق أو للأخلاق عند أربعة فقط من علماء المسلمين هم :

- الإمام أبو حامد الغزالى (٤٥٠ - ٥٠٥ هـ) .

- والعلامة على بن محمد الشريف الجرجانى (٧٤٠ - ٨١٦ هـ) .

- والعالم الموسوعى أحمد بن مصطفى الشهير بطاش كبرى زادة (٩٠١ - ٩٦٨هـ) .

- والعالم البحاثة محمد بن على الفاروقى التهانوى (المتوفى سنة ١١٥٨هـ) وإن كان غيرهم كثيرون قد تصدوا لتعريف الأخلاق .

(أ) الإمام أبو حامد الغزالى[١] .

: الخَلْق والخُلُق : عبارتان مستعملتان معا، يقال : فلان حسن الخلق والخلق أى حسن الظاهر والباطن، فيراد بالخلق : الصورة الظاهرة ،

ويراد بالخُلق : الصورة الباطنة .

وذلك لأن الإنسان مركب من جسد مُدرَك بالبصر، ومن روح ونفس مدركة بالبصيرة، ولكل واحد منهما هيئة وصورة، إما قبيحة وإما جميلة، فالنفس المدركة بالبصيرة أعظم قدرا من الجسد المدرك بالبصر . والمراد بالروح والنفس فى هذا المقام واحد .

* **فالخُلق** : عبارة عن هيئة فى النفس راسخة، عنها تصدر الأفعال بسهولة ويسر من غير

---

(١) جاء ذلك في موسوعته الإسلامية : إحياء علوم الدين: ٣/ ٤٦- ٤٨ باختصار وتصرف ط العثمانية بمصر، ١٣٥٢هـ ١٩٣٣م مأخوذة من النسخة الأميرية المطبوعة سنة ١٢٨٩هـ بمصر.

حاجة إلى فكر وروية .

فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة المحمودة عقلا وشرعا، سميت تلك الهيئة خُلقا حسنا، وإن كان الصادر عنها الأفعال القبيحة ، سميت تلك الهيئة خلقا سيئا . .

* فالخُلق عبارة عن هيئة النفس وصورتها الباطنة، وكما أن حسن الصورة الظاهرة مطلق لايتم بحسن العينين دون الأنف والفم والخد، بل لابد من حسن الجميع ليتم حسن الظاهر، فكذلك فى الباطن أربعة أركان لابد من الحسن فى جميعها حتى يتم حسن الخلق، فإذا استوت الأركان الأربعة واعتدلت وتناسبت حصل حسن الخلق وهو :

قوة العلم ،

وقوة الغضب ،

وقوة الشهوة ،

وقوة العدل بين هذه القوى الثلاث السابقة .

– أما قوة العلم : فحسنها وصلاحها فى أن تصير بحيث يسهل بها درك الفرق بين الصدق والكذب فى الأقوال، وبين الحق والباطل فى الاعتقادات، وبين الجميل والقبيح فى الأفعال.

فإذا صلحت هذه القوة حصل منها ثمرة الحكمة، والحكمة رأس الأخلاق الحسنة، وهى التى قال الله تعالى فيها :﴿ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ [البقرة: ٢٦٩].

– وأما قوة الغضب : فحسنها فى أن يكون انقباضها وانبساطها على حد ماتقضيه الحكمة.

– وأما قوة الشهوة : فحسنها وصلاحها فى أن تكون تحت إشارة الحكمة، أعنى إشارة العقل والشرع .

– وأما قوة العدل : فهى ضبط الشهوة والغضب تحت إشارة العقل والشرع .

* فالعقل مثاله مثال الناصح المشير .

* وقوة العدل هى القدرة ومثالها مثال المنفذ الممضى لإشارة العقل .

* والغضب هو الذى تنفذ فيه الإشارة، ومثاله مثال كلب الصيد، فإنه يحتاج إلى أن

يؤدَّب حتى استرساله وتوقفه بحسب الإشارة لا بحسب هيجان شهوة النفس.

* والشهوة مثالها مثال الفرس الذى يركب فى طلب الصيد، فإنه تارة يكون مروَّضا مؤدَّبا، وتارة يكون جموحا.

– فمن استوت فيه هذه الخصال واعتدلت فهو حسن الخلق مطلقا، ومن اعتدل فيه بعضها دون بعض فهو حسن الخلق بالإضافة إلى ذلك المعنى خاصة كالذى يحسن بعض أجزاء وجهه دون بعض.

* وحسن القوة الغضبية واعتدالها يعبر عنه بالشجاعة.

* وحسن قوة الشهوة واعتدالها يعبر عنه بالعفة.

– فإن مالت قوة الغضب عن الاعتدال إلى طرف الزيادة تسمى تهورا، وإن مالت إلى الضعف والنقصان تسمى جبنا وخوراً.

– وإن مالت ق[illegible]ة الشهوة إلى طرف الزيادة تسمى شرها، وإن مالت إلى النقصان تسمى جموداً.

* والمحمود هوالوسط وهو الفضيلة، والطرفان رذيلتان مذمومتان.

– والعدل إذا فات فليس له طرفا زيادة ونقصان، بل له ضد واحد ومقابل واحد وهو الجور.

– وأما الحكمة فيُسمى إفراطها عند الاستعمال فى الأغراض الفاسدة خبثا وجربزة[1]، ويسمى تفريطها بلها، والأوسط هو الذى يختص باسم الحكمة.

* فإذن أمهات الأخلاق وأصولها أربعة:

الحكمة،

والشجاعة،

والعفة،

والعدل،

– ونعنى بالحكمة: حالة للنفس بها يدرك الصواب من الخطأ فى جميع الأفعال الاختيارية.

---

(١) الجربزة: اللؤم والخسة.

- ونعنى بالشجاعة : كون قوة الغضب منقادة للعقل فى إقدامها وإحجامها .

- ونعنى بالعفة : تأديب قوة الشهوة بتاديب العقل والشرع .

- ونعني بالعدل : حالة للنفس وقوة بها تسوس الغضب والشهوة، وتحملهما على مقتضى الحكمة وتضبطهما في الاسترسال والانقباض على حسب مقتضاها.

● فمن اعتدال هذه الأصول الاربعة تصدر الأخلاق الجميلة كلها :

- فمن اعتدال قوة العقل يحصل :

● حسن التدبير .

● وجودة الذهن وثقافة الرأى واصابة الظن ،

● والتفطن لدقائق الأعمال وخفايا آفات النفوس .

- ومن إفراطها تصدر الجربزة والمكر والخداع والدهاء .

- ومن تفريطها يصدر البله والغمارة[1] والحمق والجنون .

- ومن اعتدال قوة الشجاعة يصدر :

● الكرم،

● والنجدة والشهامة ،

● وكسر النفس والاحتمال ،

● والحلم والثبات وكظم الغيظ ،

● والوقار والتودد وأمثالهما ، وهى أخلاق محمودة .

- ومن إفراط الشجاعة يحدث التهور، فيصدر منه :

● الصلف،

● والبذخ ،

● والاستشاطة ،

● والكبر والعجب ،

(١) الغمارة : قلة التجربة .

– ومن تفريطهما يحدث :

- المهانة والذلة والخساسة ،
- والجزع ،
- وصغر النفس ،
- والانقباض عن تناول الحق والواجب ،

– ومن اعتدال العفة يصدر :

- السخاء ،
- والحياء ،
- والصبر والمسامحة ،
- والقناعة والورع ،
- واللطافة والمساعدة ،
- والظرف وقلة الطمع ،

– ومن الإفراط في العفة يحدث :

- الحرص والتقصير ،
- والرياء والملق ،
- والتذلل للأغنياء ،

– ومن التفريط في العفة يحدث :

- الشره ،
- والوقاحة ،
- والتبذير ،
- والمجانة ،
- والحسد والشماتة ،
- واستحقار الفقراء .

* فأمهات فضائل الأخلاق هذه الأربعة وهي :

الحكمة والشجاعة والعفة والعدل والباقي فروع لها.

– ولم يبلغ كمال الاعتدال في هذه الاربع إلا رسول الله ﷺ .

والناس بعده متفاوتون في القرب منه أو البعد عنه .

* فكل قريب منه في هذه الأخلاق فهو قريب من الله تعالي بقدر قربه من رسول الله ﷺ .

– وكل من جمع كمال هذه الاخلاق استحق ان يكون بين الخَلْقِ مَلِكا مطاعا يرجع الخلق كلهم إليه، يقتدون به في جميع الأفعال .

– ومن انفك عن هذه الأخلاق كلها واتصف باضدادها استحق ان يخرج من بين البلاد والعباد، فإنه قد قرب من الشيطان اللعين المبعد، فينبغى أن يُبعَد .

كما أن الأول قريب من الملك المقرب فينبغي ان يقتدي به ويتقرب إليه، فإن رسول الله ﷺ لم يُبعث إلا ليتمم مكارم الأخلاق كما قال .

* وقد أشار القرآن الكريم إلي هذه الاخلاق في أوصاف المؤمنين، فقال تعالي : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ (١٥) ﴾ [الحجرات : ١٥].

– فالإيمان بالله ورسوله من غير ارتياب هو قوة اليقين، وهو ثمرة العقل ومنتهي الحكمة.

– والمجاهدة بالمال هي السخاء الذي يرجع إلي ضبط قوة الشهوة.

– والمجاهدة بالنفس هي الشجاعة التى ترجع إلى استعمال قوة الغضب على شرط العقل والشرع وحد الاعتدال، فقد وصف الله تعالى الصحابة رضى الله عنهم فقال : ﴿ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾ [الفتح : ٢٩] .

إشارة إلي أن للشدة موضعا وللرحمة موضعا، فليس الكمال في الشدة بكل حال، ولا في الرحمة بكل حال .

فهذا بيان معني الخلق وحسنه وقبحه، وبيان أركانه وثمراته وفروعه »(١) .

(١) الإمام الغزالي : إحياء علوم الدين ، ٣/ ٤٦ – ٤٨ بتصرف .

(ب) والعلاَّمة محمد بن علي الشريف الجرجاني [١]

قد عرف الخلق فى كتابه : التعريفات ، فقال :

« الخلق عبارة عن هيئة للنفس راسخة، يصدر عنها الأفعال بسهولة ويسر، من غير حاجة إلى فكر وروية، فإن كانت الهيئة بحيث يصدر عنها الأفعال الجميلة عقلا وشرعا بسهولة سميت الهيئة خلقا حسنا.

وإن كان الصادر منها الأفعال القبيحة سميت الهيئة التى هى المصدر خلقا سيئا».

ثم يواصل الجرجانى قائلا : «وإنما قلنا إنه هيئة راسخة، لأن من يصدر منه بذل المال على الندور بحالة عارضة، لايقال خلقه السخاء، مالم يثبت ذلك فى نفسه.

وكذلك من تكلف السكوت عند الغضب بجهد أو روية، لايقال :خلقه الحلم.

وليس الخلق عبارة عن الفعل، فرُبَّ شخص خلقه السخاء ولا يبذل، إما لفقد المال أو لمانع.

وربما يكون خلقه البخل وهو يبذل، لباعث أو رياء»[٢] .

* ويلحظ أن الجرجانى -وهو يعرف الخلق- لم يختلف عما جاء فى تعريف الإمام الغزالى له، مما يدل على أن الرجلين كانا يغترفان من بحر واحد، وأن كلا منهما لم يغفل الحديث عن وصف الخلق الحسن أو الجميل بأنه ما حسنه العقل والشرع.

(جـ) والعالم الموسوعى أحمد بن مصطفى « كبرى زادة»[٣]

عرف أحمد بن مصطفى الخلق بقوله :

« وهو علم يعرف منه أنواع الفضائل، وهى اعتدال ثلاث قوى هى :

القوة النظرية ،

والقوة الغضبية ،

والقوة الشهوية،

---

(١) جاء في ذلك كتابه : التعريفات ، ط مكتبة لبنان - بيروت ١٩٧٨ م

(٢) محمد بن علي الجرجاني : التعريفات : ١٠٦ ط بيروت ١٩٧٨ م

(٣) جاء ذلك في كتابه : مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، ط دار الكتب الحديثة، القاهرة .

وكل منها أوساط بين رذيلتين .

الحكمة : وهى كمال القوة النظرية، وهى التوسط بين رذيلتين هما : البلادة والجربزة .

الأولى : تفريطها ،

والثانية : إفراطها .

والشجاعة : وهى كمال القوة الغضبية ، وهى التوسط بين رذيلتى الجبن والتهور .

الأولى : تفريطها ،

والثانية : إفراطها .

والعفة : وهى كمال القوة الشهوية، وهى التوسط بين رذيلتى الخمود والفجور .

الأولى : تفريطها ،

والثانية : إفراطها .

وهذه الثلاثة : أعنى الحكمة والشجاعة والعفة، لكل منها فروع، وكل منها توسط بين رذيلتين، وخير الأمور أوساطها. فيذكر فى علم الأخلاق تعريفات هذه الأمور.

ثم طريق العلاج، بأن يفتر عن طرفى التوسط، ويعتدل فى الوسط.

* فموضوع هذا العلم هو :

الملكات النفسانية، من حيث تعديلها، بين الإفراط والتفريط .

قالت الحكماء للإسكندر:

أيها الملك عليك بالاعتدال فى كل الأمور، فإن الزيادة عيب والنقصان عجز.

ومنفعته : ان يكون الإنسان كاملا فى أفعاله بحسب الإمكان، ليكون فى أولاه سعيدا، وأخراه حميدا.[1] .

(د) والعالم البحاثة محمد بن على الفاروقى التهانوى (ت ١١٥٨هـ)[2]

يقول عن الخلق ما يلى :

---

(١) طاش كبري زاده : مفتاح السعادة : ١ / ٤٠٦ .

(٢) جاء ذلك في كتابه : كشاف اصطلاحات الفنون . ط وزارة الثقافة والإرشاد القومي بمصر ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٣م .

« الخلق : بضم الأول وضم الثانى أو سكونه هو : العادة والطبيعة والدين والمروءة، والجمع اخلاق .

– وفى عرف العلماء : الخلق ملكة تصدر بها عن النفس الأفعال بسهولة من غير تقدم فكر وروية وتكلف .

* فغير الراسخ من صفات النفس كغضب الحليم لايكون خلقا .

* وكذلك الراسخ الذى يكون مبدأ للأفعال النفسية بعسر وتأمل كالبخيل إذا حاول الكرم، وكالكريم، إذا قصد بإعطائه الشهرة.

* وكذا ما تكون نسبته إلى الفعل والترك على السواء، كالقدرة وهو مغاير للقدرة بوجه آخر أيضا :

وهو انه لايجب فى الخلق ان يكون مع الفعل- كما وجب ذلك عند الأشاعرة فى القدرة.. » .

ثم يواصل التهانوى قائلا :

« ثم الخلق ينقسم إلى :

– فضيلة هى مبدأ لما هو كمال،

– ورذيلة هى مبدأ لما هو نقصان ،

– وغيرهما –وهو مايكون مبدأ- لما ليس شيئا منهما .

* وتوضيحه ان النفس الناطقة من حيث تعلقها بالبدن وتدبيرها إياه تحتاج إلى قوى ثلاث :

– إحداها : القوة التى بها تعقل ماتحتاج إليه فى تدبيره، وتسمى بالقوة العقلية والنطقية والملكية والنفس المطمئنة، وتعبر عنها أيضا بقوة هى مبدأ إدراك الحقائق والشوق إلى النظر فى العواقب والتمييز بين المصالح والمفاسد .

– وثانيتها : القوة التى بها تجذب ماينفع البدن ويلائمه من المآكل والمشارب وغير ذلك، وتسمى بالقوة الشهوانية والبهيمية والنفس الأمّارة.

– وثالثتها : ماتدفع به مايضر البدن ويؤلمه، ويعبر عنها أيضا بما هى مبدأ الإقدام على

الأهوال، والسوق إلى التسلط والترفع، وتسمى قوة غضبية سبعية ونفسا لوامة .

ثم يقول:

– فمن اعتدال أحوال القوة الملكية تحدث الحكمة، وهى هيئة للقوة العقلية العملية متوسطة بين الجربزة التى هى إفراط هذه القوة .

وهى استعمال القوة الفكرية فيما لاينبغى كالمتشابهات، وعلى وجه لاينبغى كمخالفة الشرائع.

وبين البلاهة والغباوة التى هى تفريطها، وهى تعطيل القوة الفكرية بالإرادة، والوقوف عن اكتساب العلوم النافعة..

– ومن اعتدال القوة الشهوانية تحدث العفة .

وهى هيئة للقوة الشهوية متوسطة بين الفجور والخلاعة الذى هو إفراطها، وهو الوقوع فى ازدياد اللذات على ما يجب، وبين الخمود الذى هو تفريطها، وهو السكون عن طلب اللذات بقدر ما رخص فيه العقل والشرع، ففى العفة تصير الشهوانية منقادة للناطقة.

– ومن اعتدال الغضبية تحدث الشجاعة،

وهى هيئة للقوة الغضبية، متوسطة بين التهور الذى هو إفراطها –وهو الإقدام على ما لا ينبغى– وبين الجبن اى الحذر عما لاينبغى الذى هوتفريطها.

ففى الشجاعة تصير السُبعية منقادة للناطقة ليكون إقدامها على حسب الرؤية من غير اضطراب فى الأمور الهائلة حتى يكون فعلها جميلا وصبرها محمودا.

– وإذا امتزجت الفضائل الثلاث حصلت من اجتماعها حالة متشابهة هى العدالة.

فبهذا الاعتبار عبر عن العدالة بالوسطية وإليه اشير بقوله عليه الصلاة والسلام: « خير الأمور أوساطها» .

ثم يواصل حديثه ، فيتحدث عن الخلق العظيم، فيقول: الخلق العظيم عند السالكين هو : الإعراض عن الكونين، والإقبال على الله تعالى بالكلية .

– وقال الواسطى : الخلق العظيم هو ان لايخاصِم ولا يخاصَم .

– وقال العطاء : هو الا يكون له اختيار ولا اعتراض بالشدائد والمحن.

- والخلق العظيم للنبى ﷺ -المشار إليه فى قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤ ﴾ [القلم : ٤] على ما قالت عائشة رضى الله عنها- هو القرآن، يعنى أن العمل بالقرآن كان جبلة له من غير تكلف(١) .

وبعد :

فإن هؤلاء الأعلام الذين كتبوا عن الخلق من علماء المسلمين أوضحوا -بل أكدوا- ما أهمله كتاب الغرب، وهو أن الخلق الحسن هو ما حسنه العقل والشرع، وأن العقل وحده لايكفى للتحسين ولا للتقبيح لأى فعل من الأفعال. ومن هنا أرسل الله الرسل وأنزل معهم الميزان ليقوم الناس بالقسط .

ومن هنا كان معيار الخلق الحسن هو ما وافق شرع الله تعالى، واستحق رضاه سبحانه، وفى التمسك بهذا الخلق الحسن رعاية للفرد والأسرة والمجتمع، وفيه صلاح الدنيا والآخرة.

وبعد :

فإن كان هذا الفصل قد تحدث عن الجانب اللفظى لكلمة « التربية الخلقية » فلا نزال بحاجة إلى أن نوضح لهذه التربية الخلقية أبعاداً معنوية ، نرجو أن يكشف عنها الفصل التالى من هذا الباب .

---

(١) التهانوي : كشاف اصطلاحات الفنون : ٢/٢٢٧ وما بعدها باختصار وتصرف .

الفصل الثانى

فى المجال المعنوى للتربية الخلقية

ويتناول :

١ - فساد القيم الخلقية العالمية :

(أ) مظاهر هذا الفساد .

(ب) أسباب هذا الفساد .

(جـ) نتائج هذ الفساد .

٢ - القيم الخلقية الإسلامية التى يجب أن تسود :

(أ) إيقاظ الوازع الذاتى والإحساس بالمسئولية .

(ب) رعاية العلم والمعرفة .

(جـ) احترام العقل وتشجيعه على النظر والتأمل .

(د) إيثار الخير والحق والتواصى بهما .

(هـ) الإحسان.

(و) تعزيز الانتماء إلى الإسلام .

(ز) القدوة الصالحة .

في المجال المعنوي للتربية الخلقية :

إذا كنا قد أوضحنا في الفصل الاول من هذا الباب ما لكلمتي التربية الخلقية من دلالات لفظية عند المسلمين وغيرهم، فإن ما أريد ان أوضحه في التربية الخلقية يحتاج إلي ان ألقي ضوءا عليها في إطارها المعنوي ودلالاتها الإيحائية؛ لان ذلك يسهم في توضيح ما نقصده من حديثنا عن التربية الخلقية في هذا الباب.

* وفي مستهل هذا الباب احب ان اقرر، ماقرره من سبقني من أهل العلم، وما قررته انا في بعض كتبي من ان الإنسان روح وجسد، خلق ومادة.

- والإنسان لايستطيع ان يمارس حياته بصورة صحيحة وسليمة ترقي به في مدراج الكرامة الإنسانية إلا إذا احترم هاتين القوتين فيه: قوة المادة وقوة الخلق.

- غير ان التدبر وإنعام النظر في حياة الإنسان يؤكد ان القوة الخلقية في الإنسان هي التي تعينه علي تنفيذ مطالبه وتسخر له ما في هذه الحياة المادية لينتفع به في دنياه، ويستعين به علي الانتفاع بأخراه .

- ولا يبالغ من يقول : إن أبرز ما في الإنسان بل اشرف ما فيه من صفات هو قوة أخلاقه، فبها يسخر أسباب المادة، وبغيرها تدوسه المادة وتعود به إلي حيوانيته الكامنة فيه، التي تهذبها قوته الخلقية.

- وهذه القوة الخلقية في الإنسان قوة أساسية أو فطرية فطر الله الإنسان عليها مؤمنا كان او كافرا، فقد خلق الله الإنسان وجعل له عينين ولسانا وشفتين، وبين له طريق الخير والشر وهيأ له الاختيار فى المضى بأحد الطريقين.

- ولن يكون للإنسان إرادة وحرية اختيار إلا إذا كان مستجمعا لصفات اخلاقية اساسية مثل :

الإرادة والعزم والمضاء، والصبر والثبات، ورباطة الجاش، والشجاعة والحزم والتضحية والشعور بالواجب، والإحساس بالمسئولية ، وحسن التدبير، والقدرة على استمالة الناس، والوقار والثقة بالنفس والسخاء وإغاثة الملهوف والنظافة وضبط النفس، وما لا احصي من صفات اساسية لايعيش الإنسان إلا بها، ليكون عيشه كريما لائقا بإنسانيته.

* ونحن في هذا العصر الذي نعيشه -العقد الثاني من القرن الخامس عشر للهجرة

النبوية والعقد الأخير من القرن العشرين لميلاد المسيح عليه السلام- نفتقد بكل أسف الأخلاق الأساسية للإنسان، وذلك ما نود أن نلقي عليه بعض الضوء في النقطة الأولي من هذا الفصل، والله المستعان.

١ - فساد القيم الخلقية العالمية :

ولا أعني بفساد هذه القيم الخلقية خروجها عن دائرة الأخلاق الإسلامية التي أوضحها القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، وإنما أعني خروجها عن الأخلاق الإنسانية عموما التي أشرت إلي بعض صفاتها آنفا .

* ومن المسلم به في هذه الفترة التي نعيشها اليوم -فترة سيطرة الحضارة الغربية أو المؤسسات الدولية المنحازة للدول الكبري في كل قراراتها، أو النظام العالمي الجديد الذي جاء فى أعقاب حرب الخليج الثانية « عاصفة الصحراء »

من المسلم به في هذه الحقبة أن هذا العالم تسوده فوضي واضطراب في قيمه الخلقية، وأن هذه الفوضي كانت وراء الشقاء الذي يعاني منه الإنسان فردا وجماعة وأمة، لكي يزداد الأغنياء غني والفقراء فقرا، ولكي تتزايد قوة الأقوياء وضعف الضعفاء .

(أ) مظاهر هذا الفساد :

* ونستطيع أن نرصد من مظاهر الفساد للقيم الخلقية العالمية ما نسطر بعضه فيما يلي

- الإباحية الجنسية أو الفوضي الجنسية التي تسود معظم بلدان العالم، التي يدعمها الغرب ، ويغذيها، ويشجع عليها بوسائل الإعلام التي يملك زمامها، مما أدى إلى انتشار مرض فقد المناعة « الإيدز » ومما أدى إلى انتشار الزنا واللواط تحت شعار الحرية الشخصية أو « هذا جسدي أفعل به ما أشاء » !!!

وتحاول المؤسسات الدولية -التابعة فى الحقيقة للغرب- أن تبرز هذه الفوضى الجنسية بالندوات والمؤتمرات التى تعقدها كل فترة من الزمان لتبيح الزنا والإجهاض واللواط بحجة أوهى من خيط العنكبوت وهى مقاومة ازدياد عدد السكان!![١]

- وانتشار المخدرات بأنواعها العديدة، واتساع دائرة الاتجار فيها، والتفنن بل الابتكار فى وسائل إنتاجها وترويجها، حتى إن بعض الدول تمارس ذلك فى الخفاء، وإن ادعت شنّ الحرب على زرعها والاتجار فيها فى العلن!!!

---

(١) كان آخر مؤتمر للسكان قد عقد فى القاهرة في سبتمبر ١٩٩٤م.

–وانتشار الجريمة بكل أنواعها، فردية أو اجتماعية، بل أحيانا تكون جريمة دولية، حينما تعتدى دولة علي أخرى أضعف منها عددا وعدة، للاستيلاء على خيراتها، أو جعلها سوقا لمنتجات الدولة المعتدية، وليست قصة الزعم باستعمار تلك الدول الضعيفة أو حمايتها أو تطويرها إلا عملا منظما فى مجال الجريمة المبررة.

وقد حل محل الاستعمار اليوم سيطرة سياسية واقتصادية وثقافية تعطى فى النهاية ما يعطيه الاحتلال العسكرى من نتائج لصالح الدول المعتدية، وما على المؤسسات الدولية إلا أن تبرر هذا العدوان وتقننه!!!

– وانتشار جرائم الخطف:

خطف الأفراد: أطفالا ونساء ورجالا،

وخطف الطائرات والسفن.

والعودة بهذه الجريمة إلى ماكانت عليه أوربا فى عصورها الوسطى بل ماكان عليه الغرب كله من شيوع للعصابات المسلحة التى تمارس القرصنة!!!

– وسنّ التشريعات والقوانين لصالح الدول القوية أو الغنية للسيطرة علي الدول الضعيفة أو الفقيرة فى الهيئات الدولية كهيئة الأمم المتحدة والمؤسسات التابعة لها فى مجالى السياسة والاقتصاد (الزراعة والصناعة والتجارة)، بحيث تكرس هذه القوانين نوعا من الظلم، وتبرره بالعديد من التشريعات التي لاتجد اعتراضا ممن يقع عليهم الظلم، لأنهم مهددون بالحصار التجارى والجوى والعسكرى!!!

ب–أسباب فساد هذه القيم الخلقية:

إذا كانت مظاهر فساد هذه القيم على هذا النحو الذي أشرنا إليه بإيجاز، فإن من الضرورى أن نشير إلى أسباب هذا الفساد بإيجاز مماثل، حتى تكتمل الصورة التى نرغب في رسمها لتلك القيم الخلقية الفاسدة.

* وما أقوله هنا هو استقراء عملى للواقع الذى يعيشه العالم اليوم، عرفت بعضه ورايت كثيرا منه فى جولاتى العديدة فى كثير من بلدان الغرب والشرق، وفي عديد من دول العالم الثالث الفقير أو النامى أو التابع الذليل في إفريقيا وآسيا، وما أشهد إلا بما علمتُ ومارات عيناى.

أولا – العداء الذى أصبح تقليديا – اليوم– بين الفلسفات الحديثة المعاصرة والفكر الدينى عموما، والفكر الإسلامى على وجه الخصوص، وهو عداء واضح لاينكره إلا مكابر أو متعام عن الحقيقة، وهو عداء شديد يواجهه الغرب بالسلاح حين يعجز عن مواجهته بالمؤامرات واصطناع الثورات العسكرية التى تقمع كل صاحب فكر دينى صحيح أو صاحب فكر إسلامى مهما كان مسالما فى التعبير عن فكره.

إن هذا العداء أو تلك الحرب غير العادلة أو المتكافئة هى التي أدت إلى فساد القيم الخلقية، وسوف تؤدى إلى ذلك باستمرار، لان عداء الإسلام عداء للحق وإعلاء لشأن الباطل.

ثانيا – الجفوة المصطنعة أو المدّعاة بين معظم العلوم الحديثة ، والعلوم والمعارف والحقائق الدينية عموما والإسلامية على وجه الخصوص، حتى ليخيل لبعض الناس أن كل ما هو دينى فيه رجعة إلى الوراء وتخلف وظلاميات وغيبيات!!!

* وأقول: إن هذه الجفوة مصطنعة، لان الإسلام يدعو إلى العلم ويشجع على المعرفة، بل يوجب العلم والتعلّم والتعليم ولايضع قيدا على البحث العلمى والنظر فى النفس الإنسانية وفى الكون كله.

* هذه الجفوة المصطنعة – وإن كانت قد قامت على فهم خاطئ للدين عموما وللإسلام خصوصا – كانت الغلبة فيها لكل ما هو مخالف للدين، ففسدت القيم الخلقية على النحو الذى أشرنا إلى بعض مظاهره آنفا.

* وربما كانت ممارسات الكنيسة الغربية للدين وما ارتكبته باسمه من أخطاء وتحكم ومقاومة لكل ماهو جديد أو منتقص لشيء من سلطات الكنيسة، ثم عجز الكنيسة عن مواجهة عصر النهضة أو مواكبته أو التعامل مع معطياته، ربما كان ذلك من أسباب هذه الجفوة المصطنعة بين العلم والدين.

ثالثا – الإصرار الغربى على حرب القيم الإسلامية، وحرب كل صحوة إسلامية تؤدى إلى إعلاء شأن هذه القيم الإسلامية.

* وللغرب فى ذلك جولات وصولات فى التاريخ الحديث ابتداء من التكتل ضد دولة الخلافة العثمانية، ومرورا بتقسيم العالم الإسلامى إلى دويلات ضعيفة تابعة لنفوذ الغرب وسياسته واقتصاده، واصطناع ساسة يروجون لكل ماهو غربى!!!

* وللغرب والشرق معا يد طولى فى إنشاء دولة لإسرائيل فى قلب العالم العربى، لتحول بين العرب وبين الوحدة أو التوحد أو التعاون السياسى والاقتصادى، ولتكون آلية ضغط على كل دولة عربية لتكون تابعة لسياسة الغرب وسياسة إسرائيل فى ضرب كل ماهو إسلامى حتى لاتقوم للمسلمين أو للعرب قائمة، وبالتالى قمع القيم الإسلامية، لتحل محلها القيم الخلقية الفاسدة.

* ولإسرائيل وحدها فى مجال حرب القيم الخلقية الإسلامية لتحل محلها تلك القيم الخلقية الفاسدة، صولات وجولات كلها غير أخلاقية، وإسرائيل في ذلك معروفة ومعروف ما تبذله فى هذا المجال من أعمال غير مشروعة وغير أخلاقية.

ج - نتائج فساد القيم الخلقية:

لما فسدت القيم الخلقية العالمية كما أوضحنا، وكان من أسبابها ما ذكرناه كان لابد لهذا الفساد من نتائج، نحاول أن نذكر بعضها فيما يلى، والله المستعان.

أ - من أبرز هذه النتائج لفساد القيم الخلقية، انتشار الأمراض النفسية والعصبية، بل الأمراض الجسدية، التى ترتبت على فساد القيم الخلقية فى العالم التى أشرنا إلى مظاهرها آنفا.

* ومما لاشك فيه أن القيم الخلقية الصحيحة المؤدية إلى الاستقامة تسهم فى إشاعة الصحة النفسية والجسدية، فإذا اختلت هذه القيم الخلقية، افسحت المجال لتلك الأمراض أن تهدد حياة الناس وأمنهم واستقرارهم.

* ومما لاشك فيه كذلك أن ازديادا ملحوظا فى عدد مرضى النفس ومرضى الأعصاب، كما تذكر ذلك الإحصاءات الطبية، وكما تتحدث عن ذلك وسائل الإعلام المتعددة.

* ومما لاشك فيه أيضا أن انتشار الأمراض العصبية والنفسية يؤدي إلى شيوع الجريمة وإلى التمرد على القوانين والأعراف وإلى ممارسة الجريمة.

* وتحاول هيئة الأمم المتحدة أن تقاوم الجريمة بعقد المؤتمرات(١) والندوات، غافلة عن السبب الأساسى وهو فساد القيم الخلقية على مستوى العالم كله.

ب - ومن نتائج فساد القيم الخلقية طغيان النزعة العلمانية على كثير من البلدان وأنظمة الحكم فيها، وهذه العلمانية عداء للدين أىّ دين، وعزل له عن الحياة، بدعوى أن الدين

(١) كان آخر هذه المؤتمرات لمنع الجريمة قد عقد فى مدينة القاهرة في شهر أبريل من عام ١٩٩٥م.

ليس له شأن بتنظيم الحياة، وبدعوى أن الحكومة الدينية حكومة مستبدة تحكم باسم الدين وتعتسف في حكمها كما كانت تفعل الكنيسة فى عصور أوربا الوسطى، وكلها دعاوى باطلة يبرر بها الحكام استبدادهم بالحكم، وتخلصهم من سلطة الدين فى إلزامهم بالعدل والحق.

* ومن المؤكد أن الدين ينظم شؤون الحياة جميعا ومنها سياسة الناس وحكمهم بالعدل، وتوجيههم نحو ما يصلح لهم دنياهم وآخرتهم.

* ومن المؤكد كذلك أن الدين بعيد عن الاستبداد بالناس، وعن سكوته على المستبدين.

* ومن المؤكد أن منهج الإسلام عام يتناول إصلاح كل شعبة من شعب الحياة، وأن الأخذ به هو النجاة من كل فساد والتخلص من كل خلق فاسد، ليحل محله الخلق الصحيح.

جـ - ومن نتائج فساد القيم الخلقية شيوع النزعة الإلحادية التى تنكر الله تبارك وتعالى وتنكر الدين، وتنكر اليوم الآخر، وتنكرالبعث والحساب والجزاء، وتنكر كل قيمة جاء بها اى دين، وتعادى الإسلام بصفة خاصة لأنه دين التوحيد.

* ومما لاشك فيه أن من أنكر وجود الله، وأنكر البعث والحساب والجزاء لابد أن ينكر القيم الخلقية الصحيحة، ومتى أنكرت هذه القيم حلّت محلها القيم الخلقية الفاسدة.

* ومما لاشك فيه كذلك أن النزعة الإلحادية تقوم على إنكار كل ما ليس بمادئ من الأشياء، ومعنى ذلك أن تتجاهل فى الإنسان جانب الروح وهى نفخة من روح الله، وتنكر الإيمان، وتحمل الناس على أن يعيشوا كما يعيش الحيوان يأكل ويتمتع وكفى، وفى هذا إهدار لجوهر الإنسان وهو روحه ، أشرف ما فيه.

* ومما لاشك فيه أيضا أن النزعة الإلحادية التي تنكر وجود الله تنكر بالضرورة منهجه فى الحياة وما يتضمنه هذا المنهج من قيم خلقية رفيعة، لتحل محلها بالضرورة القيم الخلقية الفاسدة.

د - ومن نتائج فساد القيم الخلقية العالمية أن تحالفت دول العالم غربه وشرقه على أن تقيم دولة إسرائيل فى قلب العالم العربى فلسطين، وذلك فى حد ذاته ظلم لأصحاب الأرض الشرعيين وعدوان علي حقوقهم.

* وقد ظل الغرب يدعم إسرائيل ويمدها بالسلاح والمال والخبراء حتى احتلت فلسطين بالقوة وطردت منها أصحابها، وأخذت تعتدى على العرب المحيطين بفلسطين وتحتل أراضى من

مصر وسوريا والأردن، ثم تفاوض علي أرض ليست لها لتحصل على مكاسب سياسية واقتصادية والغرب يدعمها ويتعهد لها بان تكون قوتها العسكرية اكبر من قوة كل العرب مجتمعين!!!

* وقد عاون الغرب إسرائيل بأن جعل العرب يختلفون ويتفرقون ويتعادون وكل ذلك لصالح إسرائيل أولا وأخيرا، إلى أن استطاع الغرب أن يحمل العرب على التفاوض مع إسرائيل دولة دولة، وإلى أن يطبعوا العلاقات معها دولة دولة كذلك.

* ومن أجل تأمين إسرائيل سياسيا واقتصاديا وعسكريا، أغرى الغرب حاكم العراق «صدام حسين» بحرب مع إيران استنزفت موارد الدولتين أكثر من ثمان سنوات، بل استنزفت أموال دول الخليج التى كانت تدعم العراق فى العلن وتدعم إيران فى السر، وكان من فلسفتها فى هذا الدعم المحدود ألا ينقلب أحد الطرفين على الآخر، حتى تكون بمأمن منهما معا!!! وكل ذلك بتخطيط الغرب وتدبيره!!!

* ومن أجل تأمين إسرائيل وتأمين الغرب نفسه واستيلائه على نفط دول الخليج وأموالها أغرى -الغرب- نفس الأحمق «صدام» بأن يحتل الكويت، ليحصد من النتائج وتحصد معه إسرائيل مالم يكن الغرب يحلم به إلا بتعامل مع مثل هذا الأحمق المغرور «صدام»؛ حيث كانت أمريكا تخطط لحرب عاصفة الصحراء قبل احتلال «صدام» للكويت بأكثر من سنتين كما قالوا هم ذلك وكتبته صحفهم.

وكانت من نتيجة حرب عاصفة الصحراء خراب دول الخليج: خراب سياسى حيث بنيت فى أرضها قواعد عسكرية للغرب أى لإسرائيل وخراب اقتصادى حيث وصل الأمر إلى حد الاستدانة، وبيع مستقبل نفطها سنوات عديدة، وخراب معنوى إذ أصبحت دول الخليج تعتقد أن أمريكا ودول الغرب قد أنقذتها من عدوها العربى المجاور لحدودها!!! حتى إن بعض الكويتيين سموا أبناءهم «بوش»[1]!!

* ومن خطة الغرب أن يظل «صدام» حيا ليمثل لدول الخليج بقرة النفط الحلوب قلقا وتوترا، فتلجأ إلى الغرب وتشترى السلاح وتدفع ثمن الأمن الذى تريد أن تشعر به، وكلما هدأت الأمور أغرى بعض الخبثاء، صداما بأن يحرك قواته صوب الكويت، ثم تصرخ الكويت وتستجيب أمريكا وتدفع دول الخليج وهكذا إلى ما لا نهاية!!! فلماذا

---

(١) على اسم الرئيس الأمريكى السابق: «جورج بوش» مؤلف حرب الخليج ومخرجها.

إذن القضاء على «صدام» ومن أين لهم بمغرور مثله؟

* وكل ذلك معناه أن تسود القيم الفاسدة: قيم الظلم والعدوان والربح غير المشروع، ولو من جثث القتلى وصراخ الأرامل واليتامى. لأنه لاعلاقة للقيم الخلقية السائدة بصرخات الموجعين!!! وقديما فجرت أمريكا قنبلتى «هيروشيما ونجازاكى» فى اليابان ولم تبال بما أحدثه ذلك التفجير من ويلات إنسانية!!!

إنها أمريكا قمة دول العالم غنى وثروة وقمته كذلك فى فساد القيم الخلقية التى تصدرها للمخدوعين بها!!!

هـ - ومن نتائج فساد القيم الخلقية العالمية أن ركّز الغرب على أن يتخذ من العالم الإسلامى عدوا - بعد انهيار عدوه التقليدى الاتحاد السوفيتى السابق - فاستيقظت في الغرب نزعته الصليبية القديمة فى حروبه العدوانية على العالم الإسلامى لمدى قرنين من الزمان فيما عرف بالحروب الصليبية -من سنة ٤٩٢هـ إلى ٦٩١هـ - واتخذت شكل صليبية حديثة تتخذ من النظام العالمى الجديد رأس حربه، ومن هيئة الأمم المتحدة ومؤسساتها دعما تشريعيا لحرب المسلمين فى كل مكان، وحرمانهم من أدنى حقوق للإنسان.

* وجاءت مشكلة البوسنة والهرسك لتؤكد ظلما مريرا وتحيزا أشد مرارة للصرب، فتمد الصرب بالسلاح وتحظر علي البوسنة أن تحصل على السلاح فى مأساة إنسانية لن ينساها التاريخ مهما أصيبت ذاكرته بالتلف، لأن ماحدث فى هذه القضية فوق ما يتصوره الناس.

* ومن عجب أن قضية البوسنة حيل فيها بين الحكومات الإسلامية وبين أن تمد يد العون لأهل البوسنة، فصادف ذلك عند كثير منها هوى ورغبة!!!

* وجاءت مشكلة الشيشان دليلا ثانيا على تحيز الغرب والشرق ضد كل ماهو إسلامى، فيوم استقلت بعض الدول عما كان يعرف بالاتحاد السوفيتى، ولم تكن تلك الدول إسلامية بارك الغرب والشرق ذلك وشجعوه، ويوم رغبت بعض الدول المسلمة فى هذه الاستقلال وضعوا لها العقبات والعراقيل، ولما أراد الشيشان ذلك سالت الدماء أنهارا، وحاربت روسيا بكل عتادها دويلة صغيرة كل جريمتها أنها مسلمة ولاتزال الحرب مستمرة إلى اليوم، ولاتزال الحكومات الإسلامية عاجزة عن مد يد العون نحو إخوة فى الإسلام، لأن تلك الدول المسلمة لاتملك كلمتها ولا إرادتها على وجه الحقيقة وكيف

تملك أن تخالف من يمدها بالخبز والسلاح؟

* إن من فساد القيم الخلقية ان تظل إحدي دول المسلمين في حاجة إلى الحصول على الخبز والسلاح من عدوها اللدود ولا تملك ان تزرع أو تنتج من الصناعة ما يغنيها عن خبز الأعداء وأسلحتهم!!!

و – ومن نتائج فساد القيم الخلقية في هذا العالم المعاصر أن يتحزب هذا العالم الجديد علي ضرب كل صحوة إسلامية وكل حركة إسلامية وكل دولة تعلن انها ستطبق الشريعة الإسلامية في نظام الحكم الخاص بها.

* فهناك توقيت دقيق لضرب الصحوة الإسلامية في كل مكان في تزامن دقيق، بل في اساليب تكاد تكون موحدة.

والخطة في ضربها واحدة:

تُتهم اولا بالتعصب،

ثم تُتهم بالعنف والإرهاب،

ثم يُجهز عليها في رائعة النهار، بغض النظر عن أن تكون هذه التهم صحيحة أو باطلة.

*حتى من كان لايتخذ العنف أسلوبا يتهم بالعنف، ولست أدرى كيف تكون هذه الحركة إسلامية وهي تقتل الآمنين وتروع النساء والأطفال؟

* أليس في ذلك يد خفية تندس بين هؤلاء فتغريهم بسفك الدماء، كتلك التي اغرت صداما بغزو إيران وغزو الكويت؟ اللهم بلى؟؟

* إن المسلمين من حقهم في كل زمان ومكان أن يعملوا علي تجديد أمر الدين في نفوسهم، وان يقوموا بحركة إحياء وإيقاظ لهمم المسلمين ومشاعرهم الدينية، وان يعملوا على أن يعيدوا لمنهج الإسلام في الحياة مكانه ومكانته.

* لكن فساد القيم الخلقية العالمية يحول بينهم وبين ذلك ويجرم من يحاول ذلك فيتهمه ويتوعده بالويل والثبور وعظائم الأمور، كان المسلم هو الإنسان الوحيد في ظل النظام العالمي الجديد الذي لايملك حق التعبير عن نفسه!!!

* وأما حصار إيران وحصار السودان فذلك شيء ليس له ما يبرره بحال، إلا أن يكون فساد القيم الخلقية التي ولدت في نفوسهم حقدا علي كل ما هو إسلامي.

٢ - القيم الأخلاقية الإسلامية التى يجب أن تسود

فى هذه النقطة من هذا الفصل، نحاول ان نلقى الضوء على القيم الإسلامية التى يجب ان تسود، وفي سبيل ذلك نوضح ما تعنيه التربية الخلقية الإسلامية من حقائق كثيرة، نذكر منها ما نامل به ان نجلي المعنى الدقيق لها.

ومن أهم هذه الحقائق ما نسوقه فيما يلي:

أولا:

أن هذه القيم الخلقية من عند الله لا من صنع الناس، فقد أوحى الله تعالى إلى نبيه ﷺ قرآنا كريما تضمن هذه القيم معظمها، وترك التفصيل لسنة نبيه ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى.

ثانيا:

أن هذه القيم نافعة للناس إن تمسكوا بها، فى إصلاح دنياهم وإصلاح أخراهم، وأنهم بغيرها يشقون فى دنياهم ويخسرون أخراهم. وان اى قيم خلقية اخري لاتغنى عن هذه القيم ولا تسد مسدّها بحال.(١)

ولهذه القيم الخلقية الإسلامية سمات تميزها عن كل قيم سواها، بل إن التربية الخلقية الإسلامية كلها، لها هذه السمات.

* ومن هذه السمات التى تميز القيم الخلقية في الإسلام ما نذكر بعضه فيما يلى:

أ - أن القيم الخلقية أو التربية الخلقية للمسلم تقوم على الإحساس بالتبعة وتحمل مسئولية القول والعمل، فالوازع عند المسلم ذاتى نابع من داخل نفسه، وليس الشرط ولا الرهبة هى التى تحركه كما هو الحال فى سائر القيم الخلقية.

* وإنما جاء ذلك انطلاقا من ان الإنسان المسلم مسئول أمام الله تعالي عن كل ما يقول أو يعمل، وقد تضمن المنهج الذى اختاره الله للبشرية دينا ونظاما كل قيمة خلقية، ولم يترك ذلك لاجتهادات أحد من الناس أو جماعة منهم، لان الاخلاق فى الإسلام مثل العقيدة والعبادة من الثوابت التى لاتقبل تغييرا ولا تبديلا، حتى يجتهد فيه المجتهدون،إذ قد اشتملت

(١) البابان الثانى والثالث من هذا الكتاب، سوف يتكفلان ببيان مفردات هذه القيم الخلقية واحدة واحدة، مع تاصيل هذه المفردات بالنصوص الإسلامية من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، نسال الله ان يتم هذا العمل بتوفيق من الله ورعاية.

عليه نصوص الكتاب والسنة ولا اجتهاد مع النص كما هو مقرر في شريعتنا.

* هذا الإحساس بالمسئولية والشعور بالتبعة دلت عليه نصوص القرآن والسنة.

- فقد قال تعالى: ﴿ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً (٣٦) ﴾ [الإسراء: ٣٦].

- وقال جل شانه: ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٩٢) عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٩٣) ﴾ [الحجر: ٩٢، ٩٣].

- وقال جل وعلا: ﴿ فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٤٣) وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ (٤٤) ﴾ [الزخرف: ٤٣، ٤٤].

- وروى النسائي بسنده عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى سائل كل راع عما استرعاه، أحفظ ذلك أم ضيعه؟ حتى يسأل الرجل عن أهل بيته».

- وروى الترمذي بسنده عن أبي برزة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لاتزول قدما عبد حتى يسأل عن أربع:

* عن عمره فيم أفناه؟

* وعن علمه ما فعل فيه؟

* وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه؟

* وعن جسمه فيم أبلاه.

- وروى الإمام أحمد بسنده عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى ليسأل العبد يوم القيامة، حتى يسأله: ما منعك إذا رأيت المنكر أن تنكره؟ فإذا لقن الله العبد حجته قال: يارب رجوتك وفرقت من الناس».

* ولايوقظ الإحساس بالمسئولية مثل:

- الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقضاء والقدر.

- والإسلام بأركانه الخمسة المعروفة: الشهادتين وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلا.

- وممارسة العدل والإحسان والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله، لتكون كلمة الله هي العليا.

ذلك معنى من معانى التربية الخلقية الإسلامية، وهو سمة مميزة لها عن سواها من أنواع التربية الخلقية.

(ب) والتربية الخلقية الإسلامية من سماتها: الدعوة إلى العلم والمعرفة، والتشجيع عليه عموما وجعله فرضا فيما يتصل بعلم الضرورى من الدين، وكفائيا فيما يتصل بأمور الدنيا جميعها.

– ووسيلة العلم العقل والتعلم والتحصيل والوصول فى مجال العلم إلى أقصى حد مستطاع يمكن الإنسان من الاستفادة بكل ما أودع الله فى هذا الكون من طاقات وإمكانات.

– هذا العلم دعا إليه الإسلام فى أول آيات نزلت على محمد ﷺ من القرآن: ﴿ **اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥)** ﴾ [العلق: ٣ - ٥].

– ورفع الله درجات العلماء وأعلى من شأنهم، فقال تعالى: ﴿ **يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (١١)** ﴾ [المجادلة: ١١].

– بل جعل الله العلم وسيلة إلى معرفة أن الدين الذى أنزل على محمد ﷺ هو الحق فيؤمنون به فتخشع له قلوبهم وتلين، قال الله تعالى: ﴿ **وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٥٤)** ﴾ [الحج: ٥٤].

– وبغير العلم تحدث الغفلة فتأتى بعدها الضلالة، بل لا تأتى الضلالة إلا من الغفلة وإغلاق العقل عن التفكير والتأمل، قال الله تعالى: ﴿ **لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ (١٧٩)** ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

– وروى البيهقى فى شعب الإيمان بسنده عن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «طلب العلم فريضة على كل مسلم». وهذا الفرض يلزم جميع المسلمين فى مجال ما لا يسع المسلم جهله من جملة الأمور المفترضة عليه نحو الشهادة باللسان والإقرار بالقلب بأن الله وحده لاشريك له، لاشبه له ولامثل، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد، خالق كل شىء وإليه مرجع كل شىء المحيى المميت الحى الذى لايموت.

– والعلم فى الإسلام يوجب على العالم أن يعلّم، ويحرم عليه أن يكتم مما علمه شيئا عن أحد سأله عنه.

روى أبو داود بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من سئل

عن علم فكتمه ألجمه الله بلجام من نار يوم القيامة».

– وروى البخارى بسنده عن أبى موسى رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «مثل ما بعثنى الله به من الهدى كمثل الغيث الكثير أصاب أرضا:

فكانت منها بقعة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير،

وكانت منها بقعة أمسكت الماء فنفع الله به الناس فشربوا وسقوا وزرعوا،

وكانت منها طائفة لاتمسك ماء ولاتنبت كلأ،

فذلك مثل من فقه فى دين الله ونفعه ما بعثنى الله به فعلم وعمل وعلَّم،

ومثل من لم يرفع بذلك رأسا، ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به»[1].

– والمعرفة التى يحصلها المسلم من خلال ممارسته لمنهج الله تعالى فى حياته، تكوّن له خبرات متراكمة، وأساليب راشدة فى التعامل مع الحياة والأحياء وفق شريعة الله ونظامه.

وكل ذلك –مع العقل المتفكر المتدبر– يمكن الإنسان المسلم من التمييز بين الخير والشر، وبين ما يصلحه فى دينه ودنياه، وما يفسد عليه دنياه وآخرته.

* وهذا معنى هام من معانى التربية الخلقية التي يريد الإسلام أن يربى الناس عليها، من خلال ما أنعم الله به على المسلمين من القرآن الكريم والسنة المطهرة.

بل يعطي أهمية للوسيلة التى تحصل بها المعرفة ويصل بها المسلم إلى العلم وهى العقل والنظر والتأمل والتدبر، والالتزام بمنهج الله تعالى فى الحياة.

(جـ) ومن سمات التربية الخلقية فى الإسلام: احترام العقل وجعله مناط التكليف، واعتباره بذلك من أهم النعم التى أنعم الله بها على الإنسان.

– ومن احترام الإسلام للعقل أن دعاه إلى النظر والتأمل فى سير السابقين وتاريخهم لأخذ العظة والوقوف على العبرة، فقال جل شانه: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ (٤٦)﴾ [الحج: ٤٦].

---

(١) سوف نتوسع في الحديث عن العلم والعقل، فى الحلقة الثالثة من هذه السلسلة وهى: «التربية العقلية» نسأل الله التوفيق.

- وقد حرص الإسلام علي تنقية هذا العقل من الوهم والخرافة، ودعاه إلي التثبت من الأمور قبل إصدار الأحكام، فقال الله تعالي: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ (٦) ﴾ [الحجرات: ٦]. وفي قراءة «فتثبتوا» وكلا القراءتين بنفس المعنى، وهو دعوة المسلمين إلى تحرير العقل من صفة العجلة ودعوته إلى التثبت.(٣)

- ومن احترام الإسلام للعقل انه دعا الإنسان إلى الإيمان بالله بعد تفكير وتأمل ونظر وهدي، ورفض إيمان التقليد للآباء والأجداد دون تفكر ولا تدبر، فقال سبحانه وتعالي: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ (١٠٤) ﴾ [المائدة: ١٠٤].

فهذه الآية الكريمة توضح ان التقليد فى الدين باطل، وان الإسلام حارب التقليد في الدين عقائده وعباداته واخلاقه ودعا إلى التفكر والنظر والسير فى الأرض، وان أهل القرون الثلاثة الأولى -خير القرون- لم يكونوا يقلدون، وإنما حدثت بدعة التقليد بعدهم حيث استنامت العقول وخملت وقعدت عن النظر والتأمل.

- ومن احترام الإسلام للعقل ان اكّد ان الإيمان بجميع مفرداته، وكل الحقائق التى جاء بها الإسلام، لاتتعارض مع العقل السليم بحال، فإن بدا فى الظاهر تعارض فإنما يكون مرد ذلك إلى ان هذا العقل قد شابته شوائب حالت بينه وبين النظر الصحيح.

- وبالعقل يفقه المسلم دينه ويكون من اهل الخير، فمن يرد الله به خيرا يفقه فى الدين، وبالعقل يفقه المسلم دنياه مسترشدا بالوحى وبما فصلته الشريعة من احكام.

(د) ومن سمات التربية الخلقية فى الإسلام: إيثار الحق والخير والتواصي بهما والصبر عليهما، والعمل بمقتضاهما، مع النفس، ومع من يلي ومع سائر الناس.

- والحق - لغة - : هو الثابت الذى لايسوغ إنكاره.

* ويطلق على الاقوال والعقائد والأديان والمذاهب، ويقابله الباطل.

* ويطلق علي الصحيح والمستقيم والواجب والعمل الذى يحدث حتما.

قال الله تعالى عن رسالة محمد ﷺ، وهى القرآن وما أرسل به عموما من وحي:

---

(١) سنفصل لك فى كتابنا التالي: التربية العقلية، إذا أذن الله.

﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيراً وَنَذِيراً ﴿١١٩﴾ ﴾ [البقرة : ١١٩] .

– وقال تعالى : ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ ﴿١٠٥﴾ ﴾ [النساء : ١٠٥]

– وقال جل شانه : ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [التوبة : ٣٣] .

ومعنى إيثار المسلم للحق هو تفضيله للدين ولما جاء من عند الله على لسان خاتم رسله ﷺ ، وفي ذلك إعلاء لشأن الحق وحماية لحقوق الناس مؤمنهم وكافرهم .

– واما الخير : فهو ما يرغب فيه كل الناس كالعقل والعدل والشيء النافع ، وضده الشر .

وقد أمر الله تعالى المسلمين ان يفعلوا الخير إذا أرادوا الفلاح فقال تعالى : ﴿ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾ [الحج : ٧٧] .

– وحبب الرسول ﷺ في فعل الخير وفي تعليم الخير للناس وفي حب الخير لهم ، وبشّر من الناس من كانوا مفاتيح للخير مغاليق للشر ، واكد ان للدال علي الخير أجر من فعل الخير ، وما ذلك إلا لان القيمة الخلقية –وهي فعل الخير وحبه للناس– قيمة أصيلة ، إذا سادت الناس جنبتهم كثيرا من المتاعب وحالت بينهم وبين شرور كثيرة .

– روى النسائي بسنده عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « والذي نفسي بيده لايؤمن عبد حتي يحب لأخيه ما يحب لنفسه من الخير » .

– وروى ابن ماجة بسنده عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن من الناس ناسا مفاتيح للخير ، مغاليق للشر ، وإن من الناس ناسا مفاتيح للشر مغاليق للخير ، فطوبى لمن جعل الله مفاتيح الخير على يديه ، وويل لمن جعل الله مفاتيح الشر على يديه » .

– وروى الطبراني في الأوسط بسنده عن أبي أمامة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله وملائكته حتى النملة في جحرها ، وحتى الحوت في البحر ، ليصلون على معلم الناس الخير » .

– وروى الترمذي عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الدال على الخير كفاعله » .

* فأى قيم خلقية تلك التى تزرع الخير فى الناس وإن لم تقدر على فعله دلت غيرها عليه؟

* وأى تربية أخلاقية تلك التى توجب على المسلم أن يحب لأخيه من الخير ما يحب لنفسه، وإن لم يفعل فقد إيمانه؟ إنها التربية الخلقية الإسلامية وحدها.

(هـ) ومن سمات هذه القيم الخلقية الإسلامية: الإحسان.

الإحسان: فعل ما ينبغى أن يُفْعل من الخير.

وهو الإجادة والإتقان،

وهو أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك.

* والإحسان قد أمر الله به أمرا مطلقا، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ(٩٠) ﴾ [النحل: ٩٠].

قال ابن عباس رضى الله عنهما:

العدل: شهادة أن لا إله إلا الله،

والإحسان: أداء الفرائض،

وقال فى رواية أخرى:

العدل: خلع الأنداد،

والإحسان: أن تعبد الله كأنك تراه وأن تحب للناس ما تحب لنفسك، فإن كان مؤمنا أحببت أن يزداد إيمانا، وإن كان كافرا أحببت أن يصير أخاك فى الإسلام.

وفى رواية ثالثة عنه:

العدل: هو التوحيد،

والإحسان: الإخلاص.

* ومن الإحسان الذى تطالب به القيم الخلقية الإسلامية أمور كثيرة نذكر منها ما يلى:

* إحسان التعامل مع الله باتباع منهجه والالتزام بنظامه،

* وإحسان التعامل مع النفس بإلزامها بما أمر الله به، ومنعها عما نهى الله عنه،

* وإحسان التعامل مع الأهل: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا (٦) ﴾ [التحريم: ٦]،

* إحسان التعامل مع الأقارب والأرحام والأصدقاء والجيران،

* وإحسان التعامل مع سائر المسلمين،

* وإحسان التعامل مع غير المسلمين، وفق ما كفل لهم الإسلام من حقوق، وما الزمهم به من واجبات،

* وإحسان التعامل مع الموجودات كلها ناس واشياء، إذ الأصل فى هذا التعامل هو التلاؤم والوئام، وليس التنافر والصراع.

* **أى قيمة خلقية تلك التى تدعو إلى الإحسان إلى الأشياء؟.**

* **وهل هناك تربية أخلاقية تتغلغل إلى أعماق الإنسان حتى تطلب منه الإحسان إلى الأشياء فضلا عن الإحسان إلى الإنسان والحيوان؟**

إنها التربية الإسلامية، التى تقيم سياجا من الأخلاق المحمودة حول المجتمع الدولى كله.

(و) ومن سمات القيم الخلقية الإسلامية التى يجب أن تسود العالم: تعزيز الانتماء إلى الإسلام.

من معانى التربية الخلقية فى الإسلام الاعتزاز بالانتماء إلى الإسلام، على انه خاتم الأديان وأكملها، وأتمها وأرضاها لله تعالى، وأنسبها للبشرية كلها فى حاضرها ومستقبلها.

* وأن يقوم بتعزيز هذا الانتماء مؤسسات بعينها يعطيها الإسلام أكبر الأهمية فى نظمه وتشريعاته، تلك المؤسسات هى:

- البيت والأسرة،
- والمسجد،
- والمدرسة،
- والمجتمع بكل مرافقه من أندية وجمعيات وغيرها.

* وإن هذه المؤسسات جميعا يجب أن تعزز الانتماء إلى الإسلام عند كل مسلم.

* ونحن نقصد بالانتماء: الانتماء الوجودى الاجتماعى، وهو علاقة حياة ومصير بين

الفرد المسلم وأمته المسلمة، أو بينه وبين دينه وقيم هذا الدين.

– إن هذا الانتماء يتضمن ارتباطا وثيقا روحيا وعقليا يحوّل الفرد المنتمي إلى قوة حركية فاعلة، وإلى ارتباط مصيري له بما انتمى إليه وهو دين الإسلام.

– إن الانتماء إلى الإسلام ليس انتماء عائليا أو عشائريا أو طائفيا أو إقليميا وإنما هو انتماء روحي إيماني وعقلي إسلامي، وفي الحاضر وفي المستقبل، أي انتماء مصيري.

– إن الانتماء إلى الإسلام لايذيب شخصية الفرد، وإنما يحافظ عليها ويعطيها امتدادها في ممارسة كافة حقوقها، وقيامها بكافة واجباتها، والفرد وهو يمارس حقوقه يرعاه منهج الإسلام وتحافظ له شريعته على كل حقوقه، بل تحاسب وتعاقب من يعتدى على شيء من هذه الحقوق، والفرد وهو يؤدى واجباته يضحى من أجل دينه وأمته الإسلامية بماله وجهده ووقته ونفسه، مستعذبا هذه التضحيات متقربا بها إلى الله تعالى.

– إن انتماء الفرد إلى الإسلام يعني التزامه بكل ما جاء به الإسلام من عقيدة وعبادة وخلق وتعامل، بحيث يصبح الفرد عنوانا على هذا الدين، وأنموذجا حيا للقيم التي جاء بها.

– وأهم ما أحب أن أنبه إليه في موضوع الانتماء إلى الإسلام أن ينبذ المسلم كل انتماء سوى انتمائه للإسلام، وأن يعد نفسه فردا من الأمة الإسلامية كلها مهما تباعدت بأبنائها الأمكنة والأصقاع.

– إن شعور الفرد المسلم بأنه جزء من أمة إسلامية –تسكن معظم أجزاء العالم– يوحي إليه بكثير من الأعمال، ويملى عليه كثيرا من الواجبات، وهذا ما نقصده بالانتماء إلى هذا الدين العظيم.

(ز) ومن سمات هذه القيم الخلقية الإسلامية التي يجب أن تسود : أن يحدد المسلم أمامه القدوة التي يقتدى بها في حياته.

إن وجود القدوة الصالحة أمام الإنسان من أكبر العون له على أن يسلك في حياته وفي تعاملاته أحسن أنواع السلوك وأنبل أنواع الأخلاق، إذ كثيرا ما تعترى الإنسان ظروف تجعله ينسى أو يتناسى السلوك الحسن والخلق الجميل، ليواجه موقفا مضادا ليس بحسن ولا جميل، فإذا وجد الإنسان – في هذه الظروف – أمامه القدوة الصالحة التي يتمثلها ويقتدى بها سهل عليه اتباع السلوك الراشد الحميد.

* ومما ميز الله تعالى به الأمة الإسلامية، أن حفظ لها سيرة المعصوم ﷺ حفظا دقيقا

بينما لم يحفظ سيرة نبي من أنبيائه بهذا التفصيل، حتى تكون القدوة أمامهم في سيرته وأقواله وأعماله سهلة ميسورة، بل تكون واجبة على كل مسلم، فقد قال سبحانه وتعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا (٢١)﴾ [الأحزاب: ٢١].

– ولقد كان من رحمة الله بالمسلمين ان حفظ لهم ما اشتملت عليه حياة الرسول الخاتم ﷺ كاملة في يومه وليلته، وفي قوله وصمته، وفي فعله وتركه، وفي سلمه وحربه، وفي رضاه وغضبه، وفي كل أمره، واوجب على المسلمين ان يقتدوا به فيما يطيقون وفيما كلفوا به، باستثناء ما فرض الله عليه من واجبات تخصه.

– وعند التأمل في هذه الحكمة الإلهية في حفظ سيرة النبي الخاتم كاملة غير منقوصة نجد كثيرا مما نتعلم منه ونستفيد، وما يكمن وراء هذه الحكمة من أمور نشير إلى بعضها فيما يلي:

* ان رسول الله ﷺ هو المبلغ عن ربه لهذا الدين الخاتم، وقد تكفل الله بحفظ هذا الدين، وكلامه ﷺ وفعله وتقريره من صميم هذا الدين وشرحه وتفصيله، فكان لابد ان تحفظ سيرته ﷺ كلها، وكلامه وافعاله وتقريراته؛ لانها جزء من الدين الذي تكفل الله بحفظه.

– وكما تكفل الله بحفظ سيرة خاتم الانبياء كاملة مفصلة دون سائر الانبياء، كذلك تكفل سبحانه بحفظ كتابه القرآن الكريم بنفسه، دون سائر الكتب السماوية التي استحفظ عليها العلماء، فقال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (٩)﴾ [الحجر: ٩] عن القرآن الكريم، وقال عن التوراة مثلا من بين كتبه: ﴿وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ (٤٤)﴾ [المائدة: ٤٤].

وقد وصف الله الربانيين والاحبار في هذه الآية الكريمة بصفتين:

الاولى: أنهم استحفظوا أي طلب منهم انبياؤهم حفظ كتابهم.

والثانية: أنهم شهداء ورقباء على كتاب الله، وعلى كل من يريد العبث بكتاب الله، ومن هؤلاء في زمان النبي محمد ﷺ: عبد الله بن سلام الذي كشف غش من وضع يده فوق آية الرجم ليخفيها.

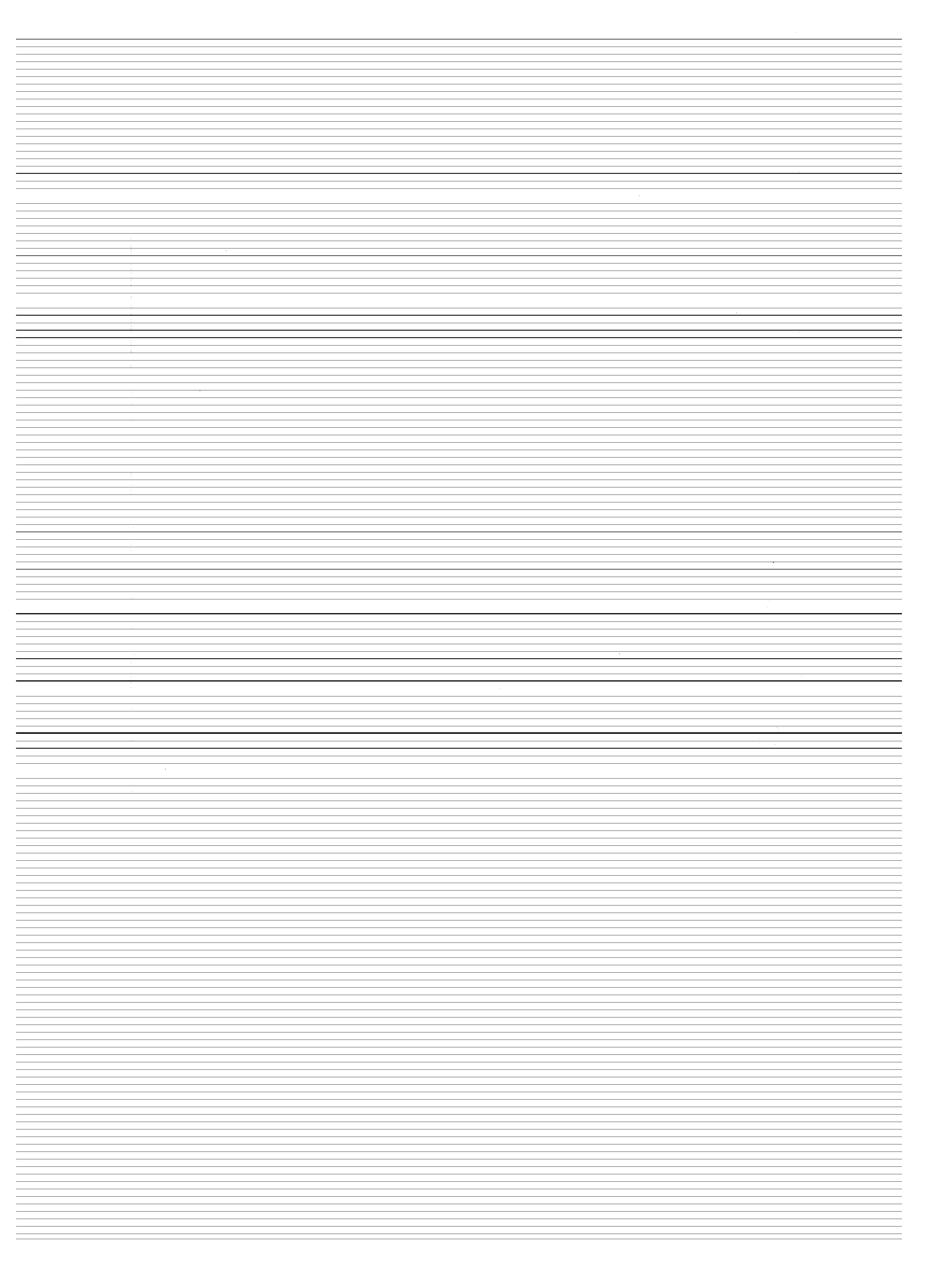
أما القرآن الكريم فقد تكفل الله تعالى بحفظه، ومن حفظه حفظ سنة الرسول الخاتم ﷺ

التى شرحت الكتاب وفصلته.

- ومن هنا كانت القدوة برسول الله ﷺ سهلة ميسورة لكل مسلم.

* وهذا معنى عميق من معانى التربية الخلقية فى الإسلام حيث يقتدى المسلمون برسول الله ﷺ، والرسول ﷺ كان خلقه القرآن، كما قالت ذلك أم المؤمنين عائشة رضى الله عنه حين سئلت عن خلقه ﷺ.

وبعد: فهذه هى القيم الخلقية الإسلامية التى يجب أن تسود فى مجتمع الناس اليوم وفى كل يوم.



الفصل الثالث

فى التطبيق العملى للتربية الخلقية

ويتناول :

١ - القيم الخلقية الهابطة التى تعانى منها الأمة الإسلامية اليوم ومنها :

(أ) الانحلال الأخلاقى،

(ب) فقد الولاء للإسلام،

(جـ) شيوع الافتراءات على الإسلام،

(د) التعصب،

(هـ) الإفراط والتفريط.

٢ - القيم الخلقية الفاضلة التى يجب أن يتحلى بها المسلمون فى كل حين، ومنها :

(أ) الالتزام،

(ب) الولاء،

(جـ) الجدية،

(د) التسامح،

(هـ) الاعتدال.

فى التطبيق العملى للتربية الخلقية

مما طبع الإسلام عليه المسلمين انه لايحدد لهم قيمة خلقية إلا طالبهم بتطبيقها فى حياتهم، فليس فى الإسلام قيمة نظرية خيالية تعيش بعيدا عن الواقع.

هذه الحقيقة يدركها كل من تأمل القيم الخلقية فى الإسلام، وكل من انشغل بالتربية الخلقية التي جاء بها الإسلام.

* حتى الإيمان نفسه -وهو ارفع قيم الإسلام وأعلاها قدما- لاقيمة له لو ظل نظرية خيالية، أو كلمات تلوكها الالسنة وتتشدق بها الشفاة، وتعلو بها الدعاوى، وإنما تكون للإيمان قيمة إذا صاحبه العمل وترجم عنه السلوك، ومن أجل تلك الحقيقة كثرت آيات القرآن الكريم التى تطالب بالعمل الصالح بعد الإيمان.

- قال الله تعالى: ﴿ قُل لِّعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ (٣١) ﴾ [إبراهيم: ٣١].

- وقال جل وشانه: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٧٧) وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ (٧٨) ﴾ [الحج: ٧٧، ٧٨].

والآيات القرآنية التى عطفت العمل الصالح على الإيمان كثيرة، وهو عطف يوضح أن العمل الصالح هو التعبير الصحيح عن الإيمان.

-وروى الطبرانى فى معجمه الكبير بسنده عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يقبل إيمان بلا عمل، ولا عمل بلا إيمان»(١).

ورواه البيهقى فى شعب الإيمان وقال: وفى إسناده سعيد بن زكريا واختلف فى ثقته وجرحه(٢).

(١) والمعنى أن العمل الصالح يعبر عن الإيمان، ولا إيمان بغير عمل.

(٢) وسعيد بن زكريا ذكره ابن حبان فى الثقات، ولم يذكره ابن عدى فى الضعفاء، فالارجح انه ثقة معدل. والله تعالى اعلم

- وروى البيهقي في شعب الإيمان بسنده عن أبي الدرداء رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «خمس من جاء بهن مع إيمان دخل الجنة:

* من حافظ على الصلوات الخمس: على وضوئهن وركوعهن وسجودهن ومواقيتهن،

* وصام رمضان،

* وحج البيت إن استطاع إليه سبيلا،

* وأعطى الزكاة طيبة بها نفسه، وأدى الأمانة:

قيل يا نبى الله وما أداء الأمانة، قال: الغسل من الجنابة. إن الله لم يأمن ابن آدم على شيء من دينه غيرها». ورواه الطبراني في الكبير بإسناد جيد.

* والذى يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره، يقتضيه هذا الإيمان أن يلتزم بمنهج الله تعالى ونظامه، وهذا الالتزام عمل، وليس مجرد قول أو شعار.

* والإسلام بكل أركانه من النطق بالشهادتين والعمل بمقتضاهما، والصلاة والزكاة والصيام والحج، كل ذلك عمل لابد أن يُؤَدَّى، وإلا لم يصبح الإنسان مسلما.

* والعدل عمل،

* والإحساس عمل،

* والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر عمل،

* والجهاد في سبيل الله عمل،

* وكل مفردات العمل من أجل الإسلام من: دعوة وحركة وتنظيم وتربية وتمكين لدين الله ومحافظة على ذلك التمكين، كل هذه المفردات عمل، لا يغنى فيها الكلام ولا مجرد الشعار.

* وكل القيم الخلقية التى جاء بها الإسلام -وهى مجموعة الفضائل التى يجب أن يتحلى بها المسلم، أو مجموعة الرذائل التى يجب أن يتخلى عنها المسلم، كل تلك القيم عمل.

* والتطبيق العملى للتربية الخلقية الإسلامية يستوجب علينا أن نستعرض بعض القيم

الخلقية الهابطة أو الفاسدة التى أوجب الإسلام على المسلمين ان يتخلوا عنها، والتى أصبح لها وجود فى كثير من بلدان العالم الإسلامى، لبعد المسلمين عن قيم إسلامهم ولوقوعهم تحت سيطرة عدو يكيد للإسلام ويود لو قضى عليه وعلى المسلمين.

* كما يستوجب علينا أن نستعرض بعض القيم الخلقية الصحيحة التى جاء بها الإسلام وأوجب على المسلمين التحلى بها، وهى القيم التى نامل ان تسود العالم الإسلامى.

وهذا ما نامل أن نوضحه فى هذا الفصل من الكتاب، والله تعالى المستعان.

١ - القيم الخلقية الهابطة التى تعانى منها
الأمة الإسلامية والتى يجب التخلى عنها

استطاع أعداء الإسلام فى هذا العصر - وهم الأقوى عددا وعدة، والأكثر ثراء وعلما واكتشافا- استطاعوا بأكثر من أسلوب أن يغلبوا المسلمين على أمرهم، وأن يسيطروا على ديارهم وأموالهم وفكرهم وثقافتهم، وجيوشهم وعتادهم، استطاع الأعداء من صهيونيين وصليبيين وملحدين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر، أن يعبثوا بعقول المسلمين ومؤسسات التعليم لديهم، وأن يهيمنوا على عقول المسلمين الذين تلقوا العلم فى بلاد هؤلاء الأعداء، فى قصة معروفة الأحداث والشخوص، حُفِرتْ أحداثها فى نفوس المخلصين من العاملين من أجل الإسلام والمشغولين بقضايا الإحياء والتجديد، وهم يحاولون ما وسعهم أن يتلافوا هذه القيم الهابطة التى صدرت إلى المسلمين من أعدائهم، ويحذروا منها، ويدعو إلى التخلى عنها.

* وهذه القيم الخلقية الفاسدة التى أصبحت تسرى فى أفراد الأمة الإسلامية، وتقضي علي ولائها لدينها، وتستبدل به ولاء لقيم الغرب وثقافته، وبعده عن الدين أى دين، وعدائه للإسلام عداءً شديدا.

هذه القيم الخلقية الفاسدة التى أصبحت شائعة فى كثير من بلدان العالم الإسلامى، هى ما نشير إليه فيما يلى:

(أ) موجة الانحلال الخلقى:

ارتفعت موجة انحلال أخلاقية عاتية فى كثير من بلدان العالم الإسلامى، وهى موجة وافدة من الغرب الذي تسوده قيم خلقية لاتعترف بأهمية الدين فى توجيه القيم الخلقية، وتضطرب عنده الرؤية فى كل أمور العقيدة فضلا عن العبادة عن الخلق.

* ولا أبالغ في شيء حينما أقول - يوافقنى على ذلك كل من زار الغرب أو عاش فيه-

إن الغرب يستحل الزنا، وهو الفاحشة الكبيرة،

ويستبيح اللواط أى إتيان الذكران،

ويستحل الخمر وهى أم الكبائر،

ويمارس لعب الميسر دون خجل من أكل أموال الناس بالباطل، ويتعامل بالربا بل بأفحش الربا وهو الفائدة المركبة، ولايحرم شيئا من ذلك ولايؤاخذ عليه.

* وهذه الكبائر الخمس التى ذكرنا تدمر الفرد والمجتمع، وتؤدى إلى كثير من الجرائم الأخرى التى لاتقل بشاعة عنها مثل:

السرقة،

والغصب،

والكذب،

والظلم،

والنصب والاحتيال،

وقلما يخلو مجتمع تستحل فيه هذه الكبائر مما هو أكبر من هذه الجرائم.

* ثم انتقلت العدوى إلى بلدان العالم الإسلامى المغلوب على أمره، المفتون بحضارة الغرب المادية، ورفاهية الغرب وإسرافه فى ممارسة الشهوات واللذائذ بغض النظر عما هو محرم منها أو غير محرم.

* انتقلت هذه الموجة الأخلاقية -التى تستبيح المحرمات والكبائر- من خلال جيوش غازية محتلة للأرض حينا، وجيوش مسلحة بوسائل الإعلام وآلياته من خلال أقمار صناعية وأطباق تنقل إلينا إذاعات مرئية عن الجنس والجريمة بكل أنواعها، ومن خلال كتب وأفلام ومقالات وقصص هدفها ضرب القيم الخلقية الإسلامية.

* والغافلون من أبناء العالم الإسلامى يقلدون هؤلاء الغالبين، وينسون دينهم وما أحل الله لهم وما حرم عليهم، ويرون فى ذلك تقدمية وتنويرا، وحرية شخصية وانعتاقا من قيود الدين!!

* هذه الموجة العاتية من الانحلال الأخلاقى يجب على المسلمين أن يحاربوها بكل ما أوتوا من وسيلة، وبكل ما أوتوا من قوة إيمان، وما أوتوا من حرص على نجاة أبنائهم وأنفسهم ومجتمعهم المسلم.

* إنها رذائل أقر الإسلام بالتخلى عنها وحربها ومقاطعة من يمارسها، حتى يتوب إلى الله، ويرجع إلى دينه وقيمه الخلقية الفاضلة.

إن الغرب إذا استساغ هذه الكبائر فليس له عذر، لأنها تضر بالإنسان متدينا وغير متدين، ولأن انتشارها يؤذن بانهيار الغرب وحضارته.

(ب) فقد الولاء للإسلام.

إذا فقد المبدأ أو المعتَقَد من يواليه، لايجد محبا ولانصيرا يدافع عنه أو يضحي في سبيله، وهذا الذي سعى أعداء الإسلام جادين في أن يوصلوا المسلمين إليه في هذا العصر الذي نعيشه!!!

* ولما فقد المسلمون الولاء لدينهم، ولم يجدوا عقيدة تجمعهم وتحدد توجههم، وتحثهم على البذل والتضحية في سبيلها، فكان ما كان من ضعف المسلمين وتفرق كلمتهم وتحكم عدوهم فيهم وضياعهم سياسيا واقتصاديا وماديا ومعنويا، وذلك هو ما استهدفه عدوهم فيهم!!!

* فالولاء - كما هو معروف - نصرة تأتي بعد محبة، وتضحية يؤدي إليها إيمان واقتناع.

* وإذا كان الولاء علاقة ارتباط واع يقبل عليها الإنسان بحرية واختيار، فإن ولاء المسلم لدينه كذلك، يرتبط به من وعي وإدراك أنه خاتم الأديان وأتمها وأكملها، وأنه أصلح لدنياه وآخرته من أي دين أو نظام، لأنه الدين الذي اختاره الله تعالى للبشرية كلها منهجا ونظاما.

* وإذا كان المسلم يقبل على الولاء لدينه بحرية واختيار، فلأن ذلك أصل أصيل في الإسلام وهو حرية الإرادة دون إكراه، فالله تبارك وتعالى يقول: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ (٢٥٦)﴾ [البقرة: ٢٥٦] ويقول جل شأنه: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ (٢٩)﴾ [الكهف: ٢٩].

غير أن أعداء الإسلام يريدون أن يموهوا تلك الحقائق على المسلمين، ولهم على هذا التمويه قدرة، إذ هم يسيطرون على مناهج التعليم في بلدان المسلمين، ويسيطرون على وسائل الإعلام، وعلى كثير من المثقفين الذين علموهم في بلادهم، فيلقون في روع المسلمين أنهم مكرهون ومجبرون على أن يكونوا مسلمين أو أولياء للإسلام، وأنهم بهذا الولاء يخسرون ملذاتهم وما يرغبون فيه من متع!!!

* ويبررون لهم ذلك بأن قائمة المحرمات فى الإسلام كبيرة!!! فالزنا حرام واللواط حرام وشرب الخمر حرام وإنفاق المال فى الميسر حرام وأخذ فائدة على قرض المحتاج حرام، فماذا بقى من المباحات التى تحقق للإنسان متعة؟

وقد صدقوا فى أن الإسلام حرم كل هذا، لكنه حرمه لصالح الإنسان فى عقله وجسده وعلاقاته الاجتماعية، ولصالح دنياه وآخرته، فكل تلك فواحش تضر الإنسان، والله تعالى حرم الفواحش ماظهر منها وما بطن.

* وزعموا أن الولاء للمصلحة هو الأصل، ونحن نقر هذا ونعترف به لكن أين المصلحة؟ هل هى فى أن يقبل الإنسان على شهواته بغير ضابط أو رابط؟ أم أن يكون طهورا عفا يحب الخير لنفسه وللناس؟

* والولاء للإسلام يعنى البذل والتضحية من أجل هذا الدين، ومن أجل قيمه ومبادئه، وإذا فقد هذا الولاء ضاعت القيم الخلقية الإسلامية، إذ لاتجد من يتبناها فضلا عن أن يكون وليا لها يضحى من أجل أن تسود وأن تحكم سلوك الناس وتهديهم إلى الحق وإلى الطريق المستقيم.

* إن عقيدة الإسلام يواليها كل مسلم يدرك أن فى هذا الولاء عزة وكرامة له فى حاضره ومستقبله، وقدرة على مواجهة أعدائه، والتأبى على مخططاتهم المعادية.

* إن فقد الولاء للإسلام قيمة خلقية هابطة تعانى منها الأمة الإسلامية المعاصرة، ويوجب عليها الإسلام أن تتخلى عن هذه القيمة لصالح دينها ودنياها.

(جـ) شيوع الافتراءات ضد الإسلام:

هذه المفتريات ضد الإسلام أخذت مداً كبيرا اليوم، على أمل مواجهة الصحوة الإسلامية وحركة الإحياء والتجديد، بإفقاد المسلمين الثقة فى دينهم.

* وهذا التهجم على الإسلام وإن بدأه غير المسلمين من اليهود والصليبيين، إلا أن بعض المسلمين اليوم خطوا على طريق سادتهم من اليهود والصليبيين فى ترديد المفتريات ضد الإسلام!!!

* وسوف نضرب هنا بعض الأمثلة فقط، أما الحصر والتوسع فى الحديث عن هذه المفتريات فله مظانه[1].

(١) لنا فى هذا المجال من الكتب كتاب «الغزو الفكرى والتيارات المعادية للإسلام» ط دار المنار القاهرة ١٤١٢هـ ١٩٩١م.

ومن أمثلة هذه المفتريات مايلى :

– يزعم بعضهم أن الإسلام كله هو من عند محمد ﷺ، وليس من عند الله.

والعجيب أن هؤلاء المرددين لهذا الزعم لا يؤمنون بالله الذى كانوا يودون أن يكون الإسلام أو القرآن من عنده لا من عند محمد ﷺ !!!

– ويزعم بعضهم أن محمدا ﷺ كان يصاب بنوبات من الصرع، فإذا ذهبت عنه قال : إن ذلك وحى من الله تعالى إليه، كما اتجهت التهم والمفتريات نحو شخصية الرسول ﷺ قديما ووسيطا وحديثا!!!

– وزعم بعضهم أن القرآن الكريم كتاب محلى أو إقليمى أو أنه كان مناسبا لزمن مضى، وأنه يجب حذف بعض الكلمات منه ككلمات «قل» بل تجرأ بعضهم فوصف آياته بأنها شيطانية، وقال سفيه آخر: إنه يجب إعادة النظر فى القرآن الكريم كله!!!

– ومن قائل بأن السنة النبوية من أقوال الصحابة واختياراتهم لأنها لم تدون إلا بعد وفاته ﷺ بزمن غير قصير!!!

وقد جهلوا أو تجاهلوا تلك الجهود العلمية التوثيقية التى صاحبت جمع السنة وتدوينها، وجهلوا أو تجاهلوا أن الأمة الإسلامية هى : أمة السَّند، وأن هذا السند الذى تميزت به اعتبره بعض علماء المسلمين بأنه من الدين.

– ومنهم من يزعم أن الإسلام دين لا دولة!!! وأن للدين رجاله وللدولة رجالها !!! وأن تدخل الدين فى الدولة يفسد الدولة ويحولها إلى حكومة دينية تعتسف فى الحكم – كما فعلت الكنيسة الغربية فى الماضى – !!!

– ومنهم من زعم أن الدين أفيون الشعوب مخدر لها يربطها بالغيبيات والغلاميات، ويعوقها عن التقدم والرقى!!!

وكان على رأس المرددين لهذه الفرية ماكان يعرف بالاتحاد السوفيتى الذى انهار انهيارا مذهلا لأعدائه وأذنابه، ثم طفق هؤلاء الأذناب يقولون عن الإسلام أسوأ مما قال ملاحدة الشيوعية والاشتراكية!!!

● وليس عجيبا ولاغريبا أن يتلقى الغرب كل من تهجم على الإسلام أو على القرآن أوعلى الرسول ﷺ بكل ترحيب وتكريم ومكافأة، حتى إن بعض هؤلاء المتهجمين على الإسلام يحظون بتكريم رؤساء دول غربية، ويجدون من الحماية والثروة والجاه، والتحصول من

الجهالة إلى النجومية.

* وهؤلاء المتهجمون على الإسلام بعضهم من المسلمين الذين اغتيلت عقولهم وفسدت قلوبهم، وقالت السنتهم السوء ورددوا فى غير وعى ما يردد أعداء الإسلام من غير المسلمين، فصاروا – بزعمهم – حربا على الإسلام، وهم فى الحقيقة حرب على انفسهم وعلى أوطانهم وعلى عروبتهم وعلى تاريخهم فى ماضيه وحاضره ومستقبله، وغدا يدفعون ابهظ الاثمان.

(د) التعصب

نعنى بالتعصب ذلك النوع المذموم الذى يؤدى إلى التعصب للراى او للمذهب او للهوى، وإنما ياتى هذا التعصب نتيجة لتلك القيم الخلقية الهابطة، وهو بدوره يؤدى إلى الخصام والفرقة بين المسلمين.

* والقاعدة العامة التى تحكم هذا التعصب ليظهر او يختفى هى ان المسلمين كلما كانوا متمسكين بدينهم وباخلاقه كلما اختفى التعصب منهم افرادا وجماعات، وكلما ابتعدوا عما امرهم به دينهم كلما فشا فيهم التعصب واضرّ بهم.

* والمسلمون اليوم يتعصب منهم الأفراد والجماعات بعضهم ضدّ بعض ويهاجم بعضهم بعضا، ولايتصورون ان الاختلاف فى الراى لاينبغى ان يؤدى إلى خصام او فرقة، لقد ضل عنهم ان أسلافهم بل ائمتهم كانوا على درجة عليا من التسامح وسعة الأفق، وان معظمهم كان يردد تلك المقولة: «اعتقد ان رايى صواب يحتمل الخطأ وراى غيرى خطأ يحتمل الصواب» ويختلفون فى الراى ولكن الإسلام يجمع بينهم فى اخوة لاتمنع احدهم ان يتلقى العلم عمن يختلف معه فى الراي.

* إن التعصب للراى دليل أنانية وضيق افق وحب للذات وغرور، وتجاهل للآخرين وحرمانهم من حقهم فى ان يكون لهم راى مخالف، وكل ذلك مما ياباه الإسلام ويدعو إلى التخلى عنه ونبذه لانه من مساوئ الأخلاق.

* واخذ اعداء الإسلام ينفثون سمومهم فى المسلمين، ويباعدون بينهم وبين اخلاق دينهم فاغروهم بانواع من التعصب بعضها أسوأ من بعض، وكلها مما يغضب الله تعالي.

– فهناك التعصب للأشخاص والمشايخ وبعض الطوائف،

– وهناك تعصب للجماعات والجمعيات والأندية السياسية والثقافية والرياضية،

– وهناك تعصب للأحزاب السياسية،

- وهناك تعصب للعائلات والقبائل،
- وهناك تعصب للأقاليم والأوطان،
- وهناك تعصب للجنس واللون،
- وهناك تعصب للغة والثقافة،
- وهناك تعصب للعادات والتقاليد.

* وهناك تسميات خبيثة تؤدى إلى التعصب أطلقها أعداء الإسلام وأغروا بها الغافلين من المسلمين فرددوها أولا ثم تعصبوا لها بعد ذلك مثل:

الإسلام القديم،
والإسلام الحديث،
والإسلام الآسيوى،
والإسلام الإفريقى،
والإسلام الرجعى،
والإسلام المتطور،
وإسلام اليمين وإسلام الوسط وإسلام اليسار.

وكل تلك المسميات خاطئة وخبيثة الهدف والوسيلة، ولكن تعصب لها بعض الغافلين من المسلمين، إنها شعوبية جديدة غير تلك الشعوبية التى أثارها القدامى من أعداء الإسلام، وانساق وراءها بعض الغافلين من المسلمين آنذاك، ودفعت لها الأمة الإسلامية ثمنا باهظا من الخصام والفرقة وتفرق الكلمة والضعف والهوان.

* إنى لا أحب أن أسمى طوائف ولا جماعات ولا أقاليم من العالم الإسلامى تنساق وراء تعصب لايقره الإسلام ولا يرضاه، وتخدم بذلك أعداء الإسلام، وتوصلهم من أقرب الطرق إلي تحقيق أهدافهم!!!

(هـ) الإفراط والتفريط.

وهو ظاهرة ذاعت بين المسلمين وشاعت فى صفوفهم فى هذا العصر الذى نعيشه اليوم.

* والإفراط: هو تجاوز الحد من جانب الزيادة والكمال وهو قريب من المبالغة والإيغال، وهو مذموم لأنه كذب وتزوير.

* والتفريط: هو تجاوز الحد أيضا ولكن من جانب النقصان والتقصير، وهو قريب من التحقير والتهوين، وهو خلق مذموم كذلك.

* والإفراط والتفريط كلاهما يدل على ضعف عقل من يرتكبهما وضعف تدينه، وجرأته على الله وعلى الحق، وبعده الشديد عما أمر الله به ونهى عنه.

* وما تشيع هذه الظاهرة بين المسلمين إلا نتيجة لبعدهم عن القيم الخلقية الإسلامية، وانسياقهم وراء أهوائهم وما يغضب الله تعالى.

* والذى يتتبع هذه الظاهرة ليعرف أبعادها وأسبابها فيصف لها العلاج يجد الإفراط والتفريط قد دخلا فى الحكم على الناس والأشياء والحضارات!!!

ولهذه الظاهرة أسباب نذكر منها مايلى:

- الاستهانة بالقيم الخلقية الإسلامية،

- وضعف الإحساس بالمسئولية أمام الله وأمام الناس،

- وسوء تقدير الموقف بالميل إلى المبالغة أو التهوين،

- وفساد القلب واتباع الهوى،

- وإيثار ما عند الناس على ما عند الله تعالى،

* ولابد لنا من مثال نتبين فيه حالة المسلمين من هذه الظاهرة. ولا نستحى أن نضرب هذا المثال الذى يتضمن تهمة جارحة لبعض المسلمين، لأن طلب الحق يسمح بذلك.

والمثال هو موقف المسلمين من حضارة الغرب:

- فمن المسلمين من وقفوا من حضارة الغرب موقف الرفض المطلق دون تفكير، فضلا عن رويّة وأناة، متصورين أن هذه الحضارة برمتها فاسدة مفسدة!!! فلم يفكروا ولم يتدبروا ولم يوازنوا، ولم يختبروا مفردات هذه الحضارة ليأخذوا منها ما ينفع ويتركوا منها ما يضر،

- مع أن الإسلام لايحول بين المسلمين وبين أن ينتفعوا بأى فكر وبأى عمل وبأى آلية أو وسيلة أو مفردة حضارية مادام ذلك لايخالف عقيدة الإسلام ولا عباداته ولاقيمه الخلقية، لأن تلك الحضارة فى حقيقتها تراث إنسانى أبدعته عقول البشر التى أنعم الله بها على الناس.

وهذا موقف عجب لايمكن نسبته إلى الإسلام ولا إلى منهجه ونظامه، وهو موقف إفراط.

- ومن المسلمين من وقفوا من حضارة الغرب موقف من تقبلها بخيرها وشرها وعرفها

ونكرها وحلوها ومرها، كما قال ذلك بعض الأدباء المسلمين المعاصرين (١)، دون خوف أو احتراز من أن تكون هذه الحضارة مخالفة لما جاء في دينه، وهذا الموقف تفريط مذموم أيضا، لايليق بمسلم يحترم دينه وعقيدته.

ولكنها آفة في المسلمين بعد أن اختلطوا بالغرب وبهرتهم قشرة حضارته.

*** والأصل هو التعامل مع الحضارة الغربية وأى حضارة دون إفراط أو تفريط.**

وبعـد:

فإذا كان ذلك واقع المسلمين اليوم: يعيشون ويعانون من قيم خلقية هابطة، فإن الحل في تصوري هو:

- إعادة تصحيح الرؤية للأمور من خلال نظرة إسلامية ترى كل شيء على حقيقته ولايخدعها عرض عن جوهر ولا قشرة عن لباب.

*** وتلك مهمة الدعاة إلى الله والقادرين على أن يعرضوا نصوص الإسلام عرضا واضحا دقيقا بلغة العصر الذي يعيش فيه الناس.**

- والعودة إلى التمسك بالقيم الخلقية الإسلامية، بحيث لاينخدع عنها المسلمون بأى قيم مهما كانت ومهما كان المنادون بها، لأن القيم الإسلامية تنقذ من يتمسك بها من كل شر، وتهيىء له خير الدنيا والآخرة.

*** وتلك مهمة حركة الإحياء والتجديد لأمر الدين في نفوس الناس، وتحمل الصحوة الإسلامية عبئها الأكبر.**

- والتصدى للشبهات والمفتريات والأباطيل التي توجه ضد الإسلام لإزالتها والرد عليها بموضوعية وحيادية.

*** وتلك مهمة العلماء من المسلمين، تظل منوطة بهم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.**

- والتخلي عن كل خلق راذل لايقبله الإسلام.

*** وتلك مهمة كل مسلم في ذاته، والله يقول الحق وهو يهدى السبيل.**

وإلى الحديث عن القيم الفاضلة التي يجب أن يتحلى بها المسلمون اليوم وفي كل يوم.

(١) ذلك هو الدكتور طه حسين في كتابه مستقبل الثقافة في مصر، وغير طه حسين كثيرون ولكنه أشهرهم، ولاتزال هذه الطائفة حتى اليوم تنادى بذلك وإن أطلقت عليه اسم التنوير!!!

٢ - القيم الخلقية الفاضلة
التى يجب أن يتحلى بها المسلمون

ليس للمسلمين اليوم منجى من القيم الخلقية الهابطة التى يمارس كثير منهم بعضها، إلا ان يتشبثوا بالقيم الخلقية الإسلامية الفاضلة التى حددها الإسلام[١] ودعا إلى التمسك بها أو التحلى بها، وهى قيم تقوم علي أسس ركينة من الحق والخير، ويؤدي التحلى بها إلى صالح الفرد والمجتمع فى المعاش والمعاد.

* وليس هنا مجال تحديد هذه القيم الخلقية الإسلامية التى يجب ان يتحلى بها المسلمون، وإنما المجال مجال وضع قواعد عامة لهذه القيم الخلقية، إذا أخذ بها المسلمون نجوا مما هم فيه من حيرة وقلق واضطراب.

تلك القواعد او الأسس هى:

- الالتزام بمنهج الإسلام فى الحياة،
- والولاء لله ولرسوله وللإسلام،
- والجدّية فى تناول الحياة،
- والتسامح والعفو،
- والاعتدال فى الحكم على الناس والأشياء.

وذلك ما نحاول أن نلقى عليه ضوءا فى ختام هذا الباب الثانى من أبواب الكتاب، والله المستعان.

(أ) الالتزام:

ونعنى به الالتزام بمنهج الإسلام فى الحياة، وهذا المنهج له مصدران اثنان هما:

كتاب الله الكريم،

وسنة رسوله ﷺ وسيرته.

(١) ذلك مجاله الباب الثالث من هذا الكتاب بإذن الله تعالى، وسوف نجد هذه الأخلاق فى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة.

والتماس هذا المنهج بعيدا عن هذين المصدرين ضلال، لأن المنهج فى اختصار شديد هو ما أحل الله، وما حرم، ولا يحل ولايحرم إلا الله تبارك وتعالى، وما يحل ويحرم رسوله ﷺ، على هذا اتفق المسلمون فى كل عصر ومصر، والبحث عن منهج الإسلام فى الحياة فى غير هذين المصدرين ضلال، ثم ضياع، ثم خسران للدنيا والآخرة.

* وليس في حصر المنهج فى هذين المصدرين أدنى تضييق على المسلمين فى أى عصر، لأن القرآن الكريم لم يفرط فى شىء ينفع المسلمين، والسنة النبوية فصلت وشرحت.

* والالتزام بالمنهج يعنى أموراً كثيرة تحتاج منا إلى شىء من التوضيح والتجديد لبعض النقاط.

- الالتزام بالمنهج فى العقيدة:

وعقيدة الإسلام تقوم علي توحيد الله تبارك وتعالى إلها وربا وخالقا ورازقا ووارثا وباعثا ومحاسبا ومثيبا ومعاقبا، فتلك هى العقيدة الصحيحة للمسلم التى توضح له كيف يشق طريقه فى الحياة راجيا عفو ربه ومثوبته، مؤمنا به وبملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقضاء والقدر.

- والالتزام بالمنهج فى العبادة:

أى أن يعبد المسلم ربه كما شرع فى الذكر والصلاة والزكاة والصوم والحج، والزواج والطلاق والميراث والوصية، وغيرها من أمور العبادات وهى كثيرة، ولكنها جميعا من شرع الله تبارك وتعالى، فلابد أن تُلتزم.

- والالتزام بمنهج الله فى الخلق والسلوك:

فليس لمسلم صحت عقيدته وسلمت عبادته أن يخالف شيئا مما شرعه الله لعباده فى الأخلاق، فكل خلق فاضل أمر الله به، وكل خلق راذل أو هابط نهى الله عنه، والمؤمن بين الأمر والنهى لايستطيع أن يتجاوز هذا أو ذاك، وإنما عليه أن يلتزم.

- والالتزام بالمنهج فى التعامل مع الناس:

والناس أمام الإسلام وأمام دعوة القرآن أمّتان:

* أمة دعوة: أى توجه إليها دعوة الإسلام وهى كل الناس.

* وأمة إجابة: وهم الذين استجابوا لله ولرسوله فدخلوا فى دين الله أفواجا فكانوا مسلمين.

* وكل مسلم مطالب بأن يدعو إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة وأن يلجأ إلى الجدال بالتى هى أحسن حين تدعو إليه ضرورة، وكلما كان المسلم يمارس الدعوة إلى الله فالمسلمون بخير، وهم بذلك ملتزمون بما أمرهم الله به من الدعوة إليه ﴿قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي (١٠٨)﴾ [يوسف: ١٠٨].

(ب) الولاء:

ونعنى بالولاء النُّصرة والمحبة، وأن يكون لله ولرسوله ولمنهجه ولصالحى المؤمنين، ولكل قيمة خلقية جاء بها الإسلام الحنيف، فالولاء لذلك هو أهم ما يتحلى به المسلم من صفات وأخلاق.

* ويترتب على ذلك ألا يكون الولاء لأحد من أعداء الله، ولا لأحد من المشركين أو الفجار، بل يكون من هؤلاء البراء والابتعاد، ومجرد الكلام للضرورة وبخاصة لدعوتهم إلى الله، أما موالاتهم فمنهى عنها، حتى لا يستمرئوا البقاء على الشرك أو الفجور.

* والإسلام بالولاء يعزز من شأن الصالحين ويقوى من شوكتهم، وبالبراء يُحاصَر أهل الشرك والفجور؛ إذ يمنع مجالستهم ومؤاكلتهم ومشاربتهم، كما يمنع السكوت عن دعوتهم إلى الحق وإلى الخير، وليس معنى البراء من غير المسلمين السخرية منهم والتهجم عليهم لأن ذلك كله منهى عنه لأنهم من أمة الدعوة، وأدب الدعوة هو: الحكمة، والموعظة الحسنة، والجدال بالتى هى أحسن عند الحاجة إليه.

وتلك هى النزعة الإنسانية الرفيعة فى القيم الخلقية الإسلامية إذ يحمل الاحترام لكل إنسان مهما تكن عقيدته إلا أن يصدر منه ما يستدعى معاملته بشكل آخر من حرب أو قتال، وحتى فى الحرب والقتال نجد للقيم الخلقية الإسلامية أسلوبا إنسانيا عالى المستوى.

* والولاء لله تعالى يلخص فى كلمتين:

امتثال أمره،

واجتناب نهيه.

وفى كلا الموقفين يكون التوجه إليه والتوكل عليه والرضا به وبما يأمر به وبما ينهى عنه، أى حبه سبحانه ونصره فى كل أمر.

* والولاء لرسوله ﷺ يقتضى حبه وطاعته والاقتداء به، وحب من يحبه، ونصر دينه،

والبذل والتضحية والجهاد فى سبيل الله، وحب آل بيته وصحابته، وعداء من يعاديه ومحاربة من يتهجم عليه أو يذمه أو ينتقص من قدره أو صفاته وأخلاقه.

* والولاء لمنهج الإسلام يعنى نصرة هذا المنهج والعمل على تمكينه فى الأرض، والاعتقاد الراسخ بأنه أكمل المناهج وأتمها وأرضاها لله تعالى.

ونصرة هذا المنهج تتطلب مفردات كثيرة منها:

الدعوة،

والحركة،

والتربية،

والعمل على تمكين دين الله فى الأرض،

والمحافظة على ذلك التمكين بعد الوصول إليه إذا شاء الله.

ولكل واحدة من هذه المفردات فقه خاص بها، يلتمس فى مظانه من الكتب والدراسات.(١)

* والولاء لصالحى المؤمنين، يعني حبهم ونصرتهم وموالاتهم فى كل موقف حق يقفونه، وصالحو المؤمنين هم الملتزمون بمنهج الله فى الحياة فى العقيدة والعبادة والخلق والسلوك، هؤلاء تجب موالاتهم وموالاة ما يلتزمون به.

إن ولاء صالحى المؤمنين من شأنه أن يشجع على الصلاح والتقوى، وأن يشيع القيم الخلقية الإسلامية فى المجتمع.

* والولاء لكل قيمة خلقية إسلامية، يستدعى إعلاء شأن هذه القيم، وإهمال كل قيمة معادية أو تغضب الله تبارك وتعالى.

إن الولاء للقيم الخلقية الإسلامية تأمين للمجتمع وحماية له من الجريمة والانحراف، وحصار للمجرمين والمنحرفين، وهذا من شأنه أن يحدث فى المجتمع استقرارا وأمنا وطمأنينة، وكل تلك أهداف للتربية الخلقية الإسلامية.

* إن الولاء بهذه المعانى التى ذكرنا صفة كريمة يجب أن يتحلى بها المسلم فى كل حين،

---

(١) انظر لنا فى ذلك: فقه الدعوة إلى الله، وفقه الدعوة الفردية، والمرأة المسلمة وفقه الدعوة إلى الله -نشر دار الوفاء، وفقه الأخوة فى الإسلام، وفقه المسئولية.. نشر دار التوزيع والنشر الإسلامية - بالقاهرة.

وإنه يعنى ان للأمة المسلمة شخصيتها المتميزة فى الولاء والبراء، وانها بذلك التميز جعلها الله تبارك وتعالى خير امة اخرجت للناس، بإيمانها وبما تامر به من معروف وما تنهى عنه من منكر.

* وإن التهاون فى الولاء لله ولرسوله ولمنهجه وصالحى المؤمنين والقيم الخلقية التى جاء بها الإسلام، إن التهاون فى ذلك يجر الأمة المسلمة إلى التخلف والتراجع الحضارى والضعف والانهزام امام الأعداء.

(جـ) الجدِّيَّة.

المقصود بالجدية شيئان هما:

- الاجتهاد: وهو بذل المجهود فى طلب المقصود او بذل الوسع،

- وترك الهزل: اى تناول الأمور بغير لعب او لهو.

*** والمسلم مطالب بان يمضى حياته كلها مجتهدا اى باذلا لما يستطيع من مجهود وطاقة فى سبيل الغاية او سبيل الله تعالى، متحملا فى ذلك اى مشقة واى تضحية.**

وسبيل الله طريق واسع وشعب عديدة، أدناها إماطة الأذى عن الطريق وذروتها الجهاد فى سبيل الله لتكون كلمة الله هى العليا.

وما بين هذين الحدّين اعمال كثيرة قد لاتحصى، والمعيار فى أدائها أن تكون مما أمر الله به أو مما ندب إليه، وهو سبحانه لا يامر الإنسان إلا بالخير وما ينفعه فى دنياه وآخرته، ولا يندبه إلا إلى فضيلة من الفضائل يزداد شرفا بالتحلي بها.

*** وكل مسلم مطالب بان يعدّ نفسه لاداء واجباته بجد واجتهاد اى إجادة وإحسان متقربا بذلك إلى الله تعالى، ومتحببا به إلى الناس، ومسهما به فى بناء الحياة الإنسانية اللائقة بتكريم الله تعالى للإنسان، ولايعفى مسلم من هذا الواجب إلا ان يكون من اهل الأعذار.**

* إن حياة المسلم فى هذا العصر الذى نعيشه، العصر الذى يتكالب فيه أعداء الإسلام على الإسلام والمسلمين، إن هذه الحياة يجب ان لاتضيع فيها ساعة بغير عمل واجتهاد لمواجهة هذه العداوات.

* وكيف لايجدّ المسلم اليوم ويجتهد، ومن حوله مشكلات تعتصر العالم الإسلامى اعتصارا:

– هذه فلسطين أرض القدس ثالث الحرمين ومسرى رسول الله ﷺ، قد استولى عليها اليهود يعاونهم فى ذلك أعداء الإسلام التقليديون!!!

– وهذه افغانستان يتقاتل فيها المسلمون بعضهم ضد بعض فى نزيف دموى لايريد أن يتوقف!!!

– وهذه البوسنة يحظر عليها السلاح ويسلط عليها الصرب يعاونهم الإلحاد الروسى والتعصب الغربى والدهاء الامريكي!!!

– وهذه جمهورية الشيشان تواجه اعتى حرب غير متكافئة تقودها روسيا، ويباركها الغرب صراحة، وتباركها امريكا باسلوبها الماكر الخبيث!!!.

– وهذه الامة الإسلامية تعانى من ويلات احاطها بها اعداؤها، وضيقوا بذلك عليها الخناق:

* فالاقليات الإسلامية في كل بلد تعيش ذلا واضطهادا!!!

* والضوائق الاقتصادية تكاد تخنق المسلمين فى مختلف بلدانهم!!!

* والتبعية السياسية المنظورة وغير المنظورة لاعداء الإسلام لاينكرها إلا مغالط أو غافل!!!.

* والاعتماد على العدو فى الحصول على الخبز والسلاح وكثير من الضروريات!!!

* والصراعات العديدة بين المسلمين فى كثير من بلدان العالم الإسلامى، تلك الصراعات التى تحركها أيدى الأعداء!!!

* وانظمة الحكم الاستبدادية التى تعانى منها كثير من بلدان العالم الإسلامى!!!

* والحركات الإسلامية التصحيحية تُضرب فى كل مكان بايدى المسلمين كثيرا، وبأيدى أعدائهم أحيانا!!!

– كيف لايجدّ المسلمون ويجتهدون، ويتركون اللهو واللعب وهذه أحوالهم وذلك واقعهم؟

– كيف يهزل المسلمون أو يلعبون، والله تعالى يهدد اللاهين اللاعبين فى قوله تعالى: ﴿ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ (٨٣) ﴾ [الزخرف: ٨٣] ؟

– كيف لايجدّ المسلمون ويجتهدون والرسول ﷺ يقول فيما يرويه أحمد بسنده عن أنس رضى الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن قامت الساعة وفى يد أحدكم فسيلة، فإن استطاع الا تقوم حتى يغرسها فليغرسها».

ورواه البخارى فى الأدب المفرد بسنده عن عبد بن حميد رضى الله عنه.

– إن هذا الحديث الشريف يؤكد أن المسلم معمر لا مدمر، وجاد فى كل عمله، وفى كل وقت حتى فى الأوقات الحرجة الضيقة عندما تقوم الساعة على أحد المسلمين وفى يده فسيلة فإن عليه أن يغرسها.

– والمسلم مسئول بين يدى الله عن كل دقيقة من وقته ماذا عمل فيها وكيف أفاد منها أم ضيعها؟

(د) التسامح

التسامح: اللين والتساهل وهو قيمة خلقية إسلامية مطلوبة علي كل حال، ويقابل التسامح الفظاظة والغلظة وهما صفتان مرفوضتان، فقد قال الله تبارك وتعالى يخاطب نبيه ﷺ ويعلم المسلمين: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ (١٥٩) ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

* إن التسامح من المسلم يعنى الا يتعصب لرأيه أو لمذهبه، وإنما يكون رائده اتباع الحق حين يظهر.

كما ينفى التسامح الوقوع فى التعصب للأشخاص أو الأقاليم أو الجنسيات، إذ التسامح والعفو من روح الإسلام ومن أهم قيمه الخلقية.

* ولايقر الإسلام العنف إلا فى الحرب والقتال، وبشرط أن يكون القتال فى سبيل الله لتكون كلمة الله هى العليا، وحتى القتال فى الإسلام تحكمه شروط وآداب إنسانية تقوم علي احترام الإنسان المعادى أسيرا ومقتولا، كما هو مقرر فى شريعة الإسلام.

– إن مجالات العمل من أجل الإسلام جميعها تحتاج إلى التسامح واللين، فلا تستطيع الدعوة إلى الله أن تستغنى عن التسامح مع المدعو فى كثير من الظروف.

ولا تستطيع الحركة أن تجمع بين قلوب الناس إلا بالتسامح ولاتستطيع أن تنفذ إلى قلوبهم إلا بالتسامح.

وكذلك شأن التربية، فإنها تقوم على التسامح مع المتربى فى أحيان كثيرة.

– إن الإسلام دين الرحمة والرفق والتسامح فى غالب أمره، وما يعرف استعمال القوة والعنف إلا فى الجهاد فى سبيل الله، وحتى هذا الجهاد لابد أن تسبقه دعوة بالحكمة والموعظة الحسنة.

– إن هذه القيمة الخلقية «التسامح» من أعظم القيم الخلقية التربوية، التى تجعل الإسلام متقبلا عند كل من يعرض عليه، وعند كل من يتعامل مع المسلمين المتمسكين بقيمه الخلقية.

– إن التسامح من القيم الخلقية الفاضلة التى يوجب الإسلام علي المسلمين أن يتحلوا بها فى كل حين، إن التسامح دليل على سعة الأفق وحسن تقدير المواقف، والرغبة الحقيقية فى إحسان التعامل مع الناس.

(هـ) الاعتدال

وهو التوسط بين حالين أو أمرين فى كمّ أو كيف أو تناسب. والمعتدل هو المتوسط بين طرفين.

وهذا التوسط أو الاعتدال فضيلة بين الإفراط والتفريط، أو بين التشدد والتسيب، وقد أنعم الله على الأمة الإسلامية بأن جعلها أمة وسطا أى أمة العدل والوسطية والخيرية.

* وقال المفسرون:

كان الناس قبل الإسلام علي قسمين:

– قسم تقضى عليه تقاليده بالمادية المحضة فلا همّ له إلا الحظوظ الجسدية كاليهود والمشركين.

– وقسم تحكم عليه تقاليده بالروحية الخالصة وترك الدنيا وما فيها من اللذات الجسمية كالنصارى والصابئة وطوائف من وثنيى الهند.

– واما الأمة الإسلامية فهى المتوسطة المعتدلة التى تجمع بين مطالب الروح ومطالب الجسد[1]

* وقال بعض المفسرين:

الوسط يعنى التوسط فى الدين والاعتدال فيه بين الإفراط والتفريط أو المغالاة والتقصير، فلم يغلوا غلو النصارى ولاقصروا تقصير اليهود.[2]

* والأصل فى الإسلام هو التوسط والاعتدال فى كل شىء حتى فى العبادة والتقرب بها إلى الله.

– روى البخارى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله (ﷺ) «إن الدين يسر، ولن يشادّ الدين أحد إلا غلبه فسددوا وقاربوا وأبشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشىء من الدلجة».

– وروى مسلم بسنده عن أبى ربعى حنظلة بن الربيع أحد كتّاب رسول الله ﷺ قال: «... فانطلقت أنا وأبو بكر حتى دخلنا على رسول الله ﷺ فقلت: نافق حنظلة يارسول الله. فقال رسول الله ﷺ: «وماذاك»؟ قلت: يارسول الله نكون عندك تذكرنا بالنار والجنة كأنا رأى العين، فإذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات نسينا كثيرا. فقال رسول الله ﷺ: «والذى نفسى بيده أن لو تدومون على ما تكونون عندى وفي الذكر لصافحتكم الملائكة علي فرشكم وفى طرقكم، ولكن ياحنظلة ساعة وساعة. ثلاث مرات».

– وروى أحمد بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «علموا ويسروا ولا تعسروا، وبشروا ولاتنفروا، وإذا غضب أحدكم فليسكت».

* فالاعتدال والتوسط قيمة خلقية إسلامية يجب أن يتحلى بها كل مسلم.

وبعد:

فتلك هى القيم الخلقية الإسلامية فى مجال التطبيق، نرجو أن ينتفع بها المسلمون اليوم وفي كل يوم.

---

(١) الشيخ محمد عبده والشيخ رشيد رضا: تفسير المنار: ٣/٤.
(٢) الفخر الرازى: مفاتيح الغيب: ٤/٨٩.

الباب الثانى

دعائم التربية الخلقية فى الإسلام

ويتناول :

الفصل الأول:

التربية الخلقية الإسلامية أساسها العقيدة

والفصل الثانى:

التربية الخلقية أهم أسس الحياة الاجتماعية

والفصل الثالث:

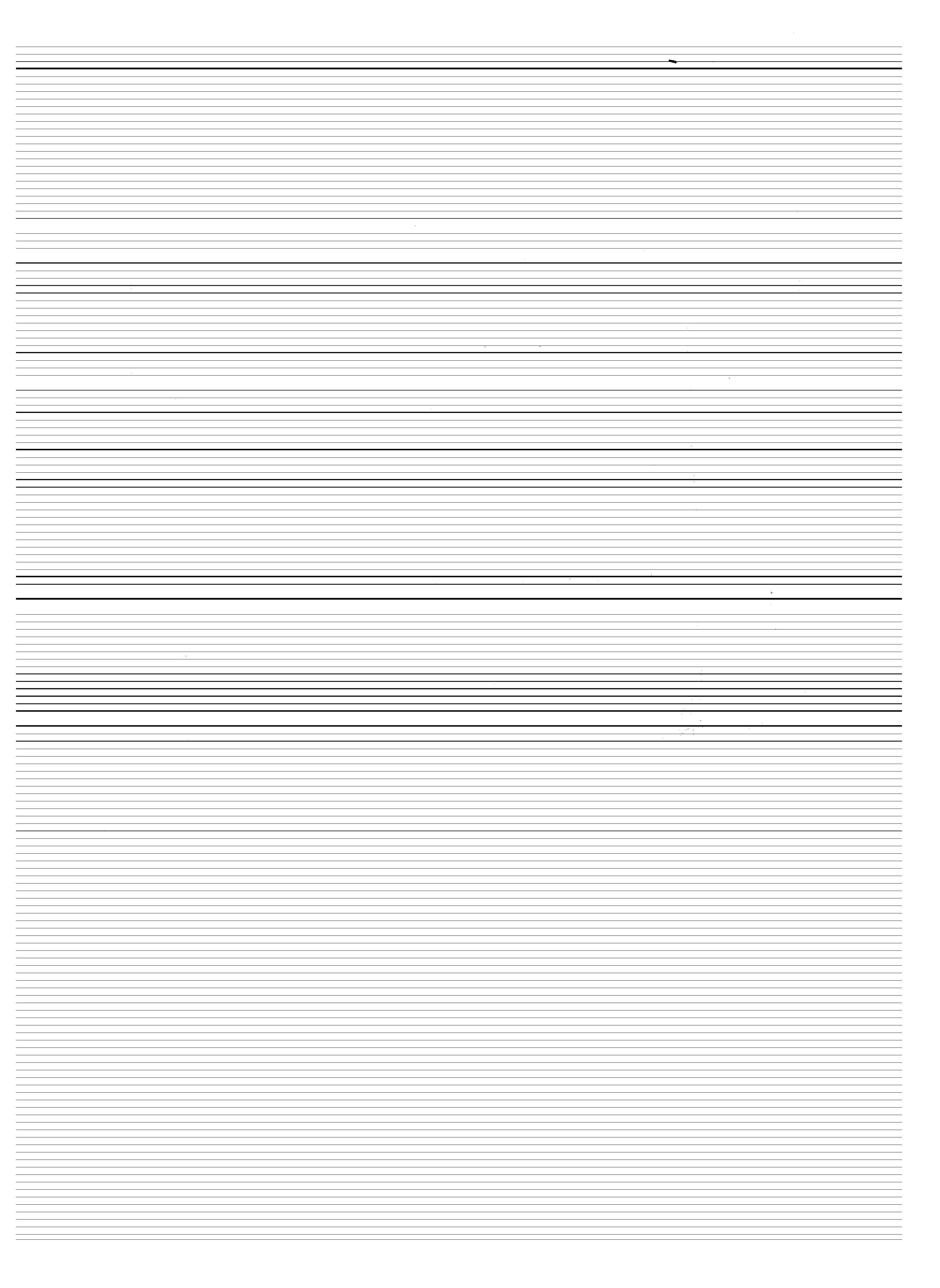
التربية الخلقية تحترم الإنسان وتقدر الواقع الذى يعيشه

والفصل الرابع:

التربية الخلقية إلزام والتزام ومسئولية وجزاء

والفصل الخامس:

التربية الخلقية إسعاد للبشرية فى معاشها ومعادها



دعائم التربية الخلقية فى الإسلام

يقيم الإسلام أكبر وزن للأخلاق، ويعتبرها أساسا ركينا تقوم عليه القواعد الرئيسة للحياة الاجتماعية.

* والحياة الاجتماعية فى الإسلام لها أهداف تخصها وتتميز بها عن كل حياة اجتماعية أخرى. وهذه الأهداف لاتتحقق إلا إذا أعانت على تحقيقها قيم أخلاقية معينة.

ومن تلك الأهداف ما نذكره فيما يلى:

– أن يحيا الناس فى سعادة ووئام، وتعاون على البر والتقوى فى استقرار ووئام،

– وأن تتقدم المجتمعات البشرية فى مجال العلم والمعرفة وسائر مفردات الحضارة،

– وأن تحقق الحياة الاجتماعية على مستوى الفرد والجماعة رضا الله تبارك وتعالى عن الناس، ورضا الناس عنه سبحانه.

وكل هذه الأهداف لاتتحق إلا مع قيم أخلاقية فاضلة.

* والأخلاق فى الإسلام هى مجموعة المبادئ والقواعد التى أمر الله بها، أو نهى عنها، والتى أوضحها رسول الله ﷺ فى أقواله وأفعاله وتقريراته مما له صلة بالتشريع، ومما يلزم المسلم أن يسلك فى حياته مسلكا يتفق مع هذه المبادئ والقواعد.

– فالكتاب والسنة أساس فى التعرف على الأخلاق الإسلامية بالضبط والدقة، وما سوى ذلك اجتهادات قد تُقبل وقد لاتقبل حسب موافقتها أو مخالفتها للكتاب والسنة.

* ونحب أن ننبه إلى أن الأخلاق الإسلامية ليست هى على وجه الدقة والضبط ما قال به بعض فلاسفة المسلمين أصحاب الاتجاه العقلى.

– وليست هى على وجه الدقة والضبط ما قال به بعض المتصوفة من المسلمين أصحاب الاتجاه إلى إصلاح الباطن، الذين قسموا التربية الخلقية تقسيمهم الشائع إلى مراحلها الثلاث: التخلية، والتحلية، والثبات فى حضرة الله تبارك وتعالى.

– وليست الأخلاق الإسلامية على وجه الدقة والضبط ما حاوله بعض علماء المسلمين من التوفيق أو التلفيق بين ما قال به الفلاسفة وما قال به المتصوفة.

- وإنما الأخلاق الإسلامية قيم راسخة جاءت فى القرآن الكريم وفى السنة النبوية المطهرة لتصلح للناس شئون دنياهم وأخراهم، والتى يثيب الله تعالى على التمسك بها ويعاقب على تضييعها أو مخالفتها، وهى فى مجملها ذات بعدين رئيسيين:

أحدهما: ما جاء من عند الله تعالى ورسوله ﷺ ليُلتزم ويُنفذ مما سنفصله فى هذا الكتاب كله.

والآخر: ما اجتهد علماء المسلمين فى إقراره لما رأوا فيه من مصلحة، ولم يخالف شيئا من الشريعة.

ويدخل فى هذا البعد الثانى -الذى اجتهد فيه المسلمون- كل ما يحتاج إليه الناس فى حياتهم من نظم وتنظيمات نشير إلى بعضها فيما يلى:

- التنظيمات السياسية كلها: من ترشح لأى انتخاب على أى مستوى من مستويات العمل السياسى، ومن انتخاب، ونظام للحكم، ومؤسسات عديدة تساعد نظام الحكم على أن يمارس عمله بما يحقق مصالح الناس ولايصطدم مع شىء مما قررته الشريعة الإسلامية،

- والتنظيمات الاقتصادية بكل مفرداتها، مادامت لاتصطدم مع الشريعة.

- والتنظيمات القضائية بكل مستوياتها، بنفس الشرط السابق،

- والتنظيمات العلمية والتعليمية بكل تفاصيلها وكل ما يتصل بها، بنفس الشرط،

- والتنظيمات الإعلامية بكل أجهزتها ومؤسساتها وما تقدمه للناس بذات الشرط السابق،

- وسائر النظم الذى يحتاج إليها المجتمع المسلم ليحيا حياة إنسانية كريمة فيها ما يرضى الله، وما يحقق المتعة التى أحلها الله،

- وما يمكن أن يُستحدث من نظم وتنظيمات تستدعيها المتغيرات المستمرة فى حياة الإنسان مادامت لاتصطدم مع شرع الله تعالى ومنهجه.

* وأعم ما أقوله فى الأخلاق الإسلامية دعائمها وأوجزه، هو: أن الأخلاق الفاضلة الحسنة هى الهدف الأكبر من رسالة الإسلام، ومن عمل الرسول ﷺ، ونؤكد هذا بالأحاديث النبوية التالية:

- روى الإمام مالك بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق».

- وروى الإمام أحمد بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الا انبئكم بخياركم؟ أحاسنكم أخلاقا».

- وروى الترمذى بسنده عن أبى الدرداء رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من شيء أثقل فى الميزان من حسن الخلق».

- وروى الترمذى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا».

- وروى أبو داود بسنده عن أسامة بن شريك رضى الله عنه قال: شهدت الأعاريب يسألون النبى ﷺ يقولون: ما خير ما أعطى العبد؟ قال: «حسن الخلق».

- وروى ابن حبان في صحيحه بسنده عن سهل بن سعد رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله يحب معالى الامور ويكره سفاسفها».

- وروى السيوطى في الجامع الصغير عن البيهقى بسنده عن عائشة رضى الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «مكارم الأخلاق عشرة، تكون فى الرجل، ولا تكون فى ابنه، وتكون فى الابن ولا تكون فى الأب، وتكون فى العبد ولا تكون فى سيده، يقسمها الله لمن أراد به السعادة:

صدق الحديث،

وصدق الباس،

وإعطاء السائل،

والمكافاة بالصنائع،

وحفظ الأمانة،

وصلة الرحم،

والتذم للجار،

والتذم للصاحب،

وإقراء الضيف،

ورأسهن الحياء».

ورواه الحكيم الترمذي بسنده عن عائشة رضي الله عنها، وقد ضعفه بعض العلماء، ولكن كل فضيلة من هذه المكارم العشر هي من محاسن الأخلاق دون شك، فلعل صفة الضعف جاءته من غير متنه.

– وروى الإمام احمد بسنده عن ابن عمر –رضي الله عنهما– قال: قال رسول الله ﷺ: «أربع إذا كن فيك فلا عليك ما فاتك من الدنيا: صدق الحديث وحفظ الأمانة وحسن الخلق، وعفة مطعم».

ورواه الحاكم والبيهقي والطبراني وابن عدي وابن عساكر.

الفصل الأول

التربية الخلقية أساسها العقيدة

ويتناول :

١ ـ العقيدة الصحيحة فى الله تعالى .

٢ ـ والعقيدة الصحيحة فى الملائكة والكتب والرسل .

٣ ـ والعقيدة الصحيحة فى اليوم الآخر .

٤ ـ والعقيدة الصحيحة فى الشياطين .

التربية الخلقية أساسها العقيدة

الأساس الذى تقوم عليه التربية الخلقية عند المسلمين هو العقيدة الصحيحة فى الكون والحياة ، لان الاخلاق تُستمد من معين الاعتقاد ، وتغترف من فيضه ، وكلما كان الاعتقاد صحيحاً ، كانت الأخلاق حسنة .

* وإنما تكون العقيدة صحيحة وسليمة إذا كان تصورها وإيمانها بالخالق عز وجل على الوجه الصحيح ، لان من عرف الخالق معرفة صحيحة واعتقد بوجوده وصفاته وافعاله اعتقاداً صحيحاً ، سهل عليه ان يتخلق بالأخلاق الحسنة التى أمر الله تعالى بها ، وصعب عليه بل امتنع أن يتخلى عنها .

* ومن تمام العقيدة الصحيحة فى الله تعالى ، العقيدة الصحيحة فى ملائكته ، وكتبه التى أنزل على رسله عليهم السلام، وفى رسله وصدقهم وامانتهم فى التبليغ عن ربهم سبحانه وتعالى .

* ولا يتم الاعتقاد الصحيح فى الله وملائكته وكتبه ورسله وما جاءوا به من شرائع إلا بالإيمان باليوم الآخر وما يجرى فيه من بعث وحشر وحساب وجزاء لمن اطاع ولمن عصى ، فى الجنة او فى النار .

* وكل ذلك مرتبط بان تكون هناك عقيدة صحيحة فى قوى الشر والشياطين ، إذ هم الذين يحرضون على معصية الله تعالى ، ويزينون للناس الباطل والشهوات ، ويفسدون ما بين الناس من علاقات ، وتلك وظيفتهم التى خلقهم الله تعالى لاجلها ، لكى يثيب من عصى الشيطان ويعذب من أطاعه ، بعد أن حذّر الله منه ومن طاعته .

* إن التربية الخلقية إذا نبعت من العقيدة الصحيحة فى ذلك كانت أنماط السلوك التى يتبعها الإنسان فى حياته أرضى لله تعالى ، واجدر أن تجعل صاحبها موضع رضا الله تعالى وثوابه الحسن .

* وإن أى اضطراب فى حياة الإنسان إنما يكون نتيجة مباشرة لانحراف الأخلاق عما أمر به الله تعالى وجاءت به رسله عليهم الصلاة والسلام ، ولا تنحرف هذه الأخلاق عما أمر الله به إلا إذا كانت العقيدة غير صحيحة فى الله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر .

* ومن أجل أن تصح التربية الخلقية ويستقيم الإنسان على صراط الله المستقيم كانت العقيدة أساساً للتربية الخلقية .

وهذا ما نرجو أن نوضحه فى هذا الفصل بإذن الله تعالى وهو الموفق المعين .

١ ـ العقيدة الصحيحة فى الله تعالى

تعنى هذه العقيدة الصحيحة فى الله تعالى الإيمان به سبحانه والتصديق بوجوده وأنه الخالق الرازق المحيى المميت ، وأنه له الخلق والأمر وان إليه المصير ، والإيمان بذاته وصفاته واسمائه كما وصف نفسه وكما سمى نفسه سبحانه وتعالى .

* وكثيراً ما يدخل معنى الإسلام واركانه فى الإيمان ، فقد روى البخارى بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما ان رسول الله ﷺ قال لوفد عبد القيس حين قالوا له : مُرْنا بامرٍ فَصْلٍ نخبر به من وراءنا وندخل به الجنة ، وسالوه عن الاشربة ، فامرهم بأربع ونهاهم عن أربع .

امرهم بالإيمان بالله وحده ، وقال لهم : « اتدرون ما الإيمان بالله وحده ؟ » قالوا : الله ورسوله اعلم ، قال : « شهادة ان لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وان محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصيام رمضان ، وان تعطوا من المغنم الخمس » .

ونهاهم عن أربع : الحنتم والدُّباء والنقير والمزفَّت ، وربما قال : المقير ، وقال : « احفظوهن واخبروا بهن من وراءكم »، ففى هذا دخلت اركان الإسلام– وهى :

الشهادتان والصلاة والزكاة والصيام– فى مفهوم الإيمان .

* هذا الإيمان بهذا المفهوم الواسع هو الأساس الذى تقوم عليه التربية الخلقية الإسلامية ، إذ لا وزن لقيم أخلاقية لا يحركها مثل هذا الإيمان .

* إن الإيمان بالله تعالى يتطلب إرضاءه سبحانه وتعالى ، والله تعالى لا يرضيه من عباده شىء مثل التزامهم بمنهجه ونظامه ، وهذا المنهج يقوم على التحليل والتحريم لكل ما فى الحياة البشرية من أمور وأعمال ، أى الالتزام الخلقى بهذا الحلال وذاك الحرام .

* ولقد ضلت البشرية فى أزمانها العديدة المديدة ، ضلالاً كبيراً فى عبادتها لله عبادة صحيحة تقوم على العقل والوحى ، على الرغم من اعترافها بوجوده اعترافًا فطريًا حسيًا ، واعترافًا عقليًا لمن هداهم الله فاحسنوا استعمال عقولهم ، ضلوا فى ذلك ضلالاً بعيداً .

* ولقد كان من رحمة الله تعالى بالناس لكى يعبدوه ، ويوحدوه لا شريك له ان أرسل إليهم الرسل والانبياء على مدى الزمان الذى عاشوه ، ليعلموهم كيف يعبدون الله تعالى عبادة صحيحة ، فكانت مقولة كل نبى لقومه : « يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره » .

فقد وردت هذه الآية الكريمة على لسان أنبيائه :

ـ هود عليه السلام فى الآية الخمسين من سورة هود ، التى ذكرناها آنفاً،

ـ وصالح عليه السلام فى الآية الحادية والستين من نفس السورة بنفس اللفظ السابق،

ـ وشعيب عليه السلام فى الآية الرابعة والثمانين من نفس السورة بنفس اللفظ،

ـ ونوح عليه السلام حيث قال لقومه : ﴿ إنى لكم نذير مبين ألا تعبدوا إلا الله ﴾ الآيتان الخامسة والعشرون والسادسة والعشرون من نفس السورة. وقال نفس مقالة هود وصالح وشعيب ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ ﴾ [الأعراف: ٥٩] .

ـ والمسيح عيسى ابن مريم قال نفس المعنى : ﴿ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ﴾ [المائدة: ٧٢] .

ـ وإبراهيم عليه السلام : ﴿ وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ﴾ [العنكبوت: ١٦] .

* ولقد وردت عبارة : ﴿ اعبدو الله ﴾ على لسان كل نبى من أنبياء الله تعالى ، فقد قال سبحانه : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ ﴾ [النحل: ٣٦] .

* وعبادة الله وحده تعنى أموراً كثيرة منها :

ـ التلقى عنه وحده عن طريق رسله ، ورفض التلقى عن سواه،

ـ وقبول كل ما جاءت به الرسل دون تردد أو شك ، وتطبيق ما جاءوا به من أمر ونهى أى من قيم خلقية،

ـ والدخول فى الدين الخاتم الذى أوجب على أهل كل دين أن يدخلوا فيه ويتركوا ما كانوا عليه،

ـ وقبول ما جاء به محمد ﷺ من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ، وما تضمنه الكتاب والسنة من أمر ونهى،

ـ واتخاذ محمد ﷺ قدوة فى هديه وخلقه.

كل ذلك هو العقيدة الصحيحة فى الله تعالى، لا تستقيم للناس حياة فى معاشهم ومعادهم إلا بها ، وهذه العقيدة الصحيحة فى الله تعالى هى التى تجعل الإنسان ملتزماً بمنهجه سبحانه وبالقيم الخلقية التى جاءت فى هذا المنهج .

ومن هنا نعلم أن التربية الخلقية تقوم على العقيدة الصحيحة فى الله تعالى .

٢ ـ «العقيدة الصحيحة فى الملائكة والكتب والرسل ، عليهم الصلاة والسلام

العقيدة الصحيحة فى الملائكة والكتب والرسل لها صلة وثيقة بالعقيدة الصحيحة فى الله تعالى ، بل إن هذه نتيجة لتلك ، فمن آمن بالله ـ كما أوضحنا ـ آمن بملائكته وكتبه ورسله .

* وإنما جاء ترتيبها هكذا :

الإيمان بالملائكة ،

والإيمان بالكتب ،

والإيمان بالرسل عليهم الصلاة واسلام ، نظراً للترتيب الواقع فى الحقيقة ، لان الله تعالى ارسل الملك بالكتاب إلى الرسول .

* فقد روى الإمام مسلم بسنده عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « الإيمان ان تؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ... » الحديث .

والآية الكريمة التى تصف الرسول ﷺ والمؤمنين بهذا الإيمان وهى ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ﴾ [البقرة : ٢٨٥].

ـ ويلحظ على الآية الكريمة والحديث النبوى ان كلا منهما ذكر الإيمان بالملائكة دون تحديد لاحد منهم ودون تفصيل لوظائفهم، وذلك يعنى ان الإيمان بهم على وجه الإجمال وبمن ذكر منهم بالتحديد يكفى فى صحة الإيمان بهم .

* والإيمان بالملائكة إيمان بالغيب ، والمؤمنون بالغيب ممدوحون فى القرآن الكريم فى أكثر من آية .

والإيمان بالملائكة يعنى :

الإيمان بوجود الملائكة ، والإيمان بانهم معصومون مطهرون ، وانهم وسطاء بين الله تعالى والبشر ، وان كتب الله المنزلة على رسله إنما جاءتهم بوساطة الملائكة .

* واما الإيمان بالكتب التى جاءت من عند الله تعالى فيعنى أموراً هى :

ـ ان هذه الكتب وحى من الله إلى رسله،

ـ وانها ليست من باب الكهانة ولا من السحر ولا من إلقاء الشياطين والأرواح الخبيثة،

- وان هذه الكتب وإن جاءت عن طريق الملائكة إلا ان الله تعالى حفظ تلك الكتب ولم يمكن أحداً من الشياطين فى إضافة شيء إليها،

- وان القرآن الكريم لم يغير ولم يحرف ، وقد رتبه على هذا النحو رسول الله ﷺ ، وليس عثمان بن عفان رضى الله عنه،

- وان القرآن مشتمل على المحكم والمتشابه ، وان محكمه يكشف عن متشابهه،

* وأما الإيمان بالرسل فيعنى اموراً أهمها ما يلى :

- الإيمان بانهم صلوات الله عليهم وسلامه معصومون من الذنوب .

- والإيمان بأن أى نبى أفضل من غيره من البشر ، مهما كان هذا الغير صالحا ظاهر الصلاح.

- وأن هؤلاء الرسل عليهم السلام بعضهم أفضل من بعض من حيث تفضيل الله لبعضهم على بعض ، ولكنهم متساوون فى وجوب تصديق الناس لهم ، فقد قال تعالى : ﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ [البقرة: ٢٥٣] كما قال تعالى فى مدح المؤمنين ﴿ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ﴾ [البقرة: ٢٨٥] .

* والإيمان بالملائكة والكتب والرسل إنما هو التزام أخلاقى يلزم به المؤمن نفسه ، ولا رقيب عليه فى هذا الإيمان إلا الله تعالى .

* وكل العقائد الفاسدة فى الملائكة والكتب والرسل ، إنما مردها إلى فساد العقيدة فى الله سبحانه وتعالى ، ومن هنا يحدث الضلال عن الحق والكفر والشرك بالله تعالى .

ويترتب على ذلك الانحراف الأخلاقى عن القيم التى جاءت من عند الله ، فالله تبارك وتعالى يخاطبنا عن طريق الرسل ، ويخاطب الرسل عن طريق الملائكة .

* والناس يتعلمون الخير والشر من الرسل عليهم الصلاة والسلام ، والذين يزعمون انهم يستطيعون معرفة الخير والشر بعقولهم –دون الاستعانة بالرسل– مفتونون بالعقل ، ضالون عن الحق .

* والذين يفعلون الخير ويتجنبون الشر ملتزمون بمنهج الله متقيدون بما شرع لهم من قيم خلقية ، ولهم بذلك عند الله أحسن الجزاء .

٣ ـ والعقيدة الصحيحة فى اليوم الآخر

الإيمان باليوم الآخر والاعتقاد بما يجرى فيه ابتداء من البعث والنشر وانتهاء بدخول أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار ، هو من الإيمان بالغيب ، الذى مدح الله به أصحابه فى قوله تعالى عن القرآن الكريم : ﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ (٢) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ ﴾ [البقرة: ٢، ٣] أى الذين يؤمنون بما لا تقع عليه حواسهم ولا تقتضيه بِدَايَةُ العقول ، وإنما يعلم بخبر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام .

- ويرى العلماء أنَّ من لم يؤمن بالغيب فهو ملحد،

- وقال بعض العلماء : أساس التدين هو الإيمان بالغيب،

- وروى عن ابن مسعود رضى الله عنه قوله : ما آمَنَ مؤمن أفضل من إيمان بغيب ، ثم قرأ : ﴿ والذين يؤمنون بالغيب ﴾ .

- وقال القرطبى : وهذا هو الإيمان الشرعى المشار إليه فى حديث جبريل عليه السلام حين قال للنبى ﷺ : فأخبرنى عن الإيمان ، قال : « أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره » قال : صدقت .. وذكر الحديث .

* وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ (١٢) ﴾ [الملك: ١٢] ﴿ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُم مِّنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ (٤٩) ﴾ [الأنبياء: ٤٩] .

قال المفسرون فى معنى غيب الله تعالى : « هو غائب عن الأبصار غير مرئى فى هذه الدار، غير غائب بالنظر والاستدلال، فهم يؤمنون أن لهم ربًا قادراً يجازى على الأعمال، فهم يخشونه فى سرائرهم وخلواتهم التى يغيبون فيها عن الناس »[١] .

* والإيمان باليوم الآخر متمم للإيمان بالله والملائكة والكتب والرسل ، والإيمان باليوم الآخر يقتضى إيمانًا بأمور عديدة تتعلق باليوم الآخر ، منها :

- الإيمان بانقضاء هذه الدنيا وفنائها، وبقيام الساعة، فى الوقت الذى لا يعلمه أحد إلا الله،

- والإيمان بالبعث والنشور بعد الموت،

- والإيمان بحشر الناس بعدما يبعثون إلى الموقف ليحاسبوا،

---

(١) القرطبى : الجامع لأحكام القرآن : ١/ ١٦٣ - ١٦٤، مرجع سابق.

- والإيمان بوزن الأعمال من أجل الجزاء ، وأنه سبحانه يجازى كلا بما عمل مع تفضله ومغفرته لمن شاء من عباده،

- والإيمان بأن دار المؤمنين ومأواهم الجنة ، ودار الكافرين ومأواهم النار،

- والإيمان بوجود الجنة والنار وأنهما مخلوقتان مُعَدّتان لأهلهما،

- والإيمان بخلود أهل الجنة فى الجنة وخلود أهل النار فى النار،

- والإيمان بحوض النبى ﷺ وشفاعته،

- والإيمان بالصراط،

- والإيمان بكل ما ورد فى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة .

* فالعقيدة الصحيحة فى اليوم الآخر وما يجرى فيه ، مطلب شرعى يتحقق به إيمان المؤمن ، وبغيره فلا إيمان ، والمؤمن باليوم الآخر يعلم أن فيه الجزاء بعد الحساب ، فيلتزم بمنهج الله تعالى لينال ثوابه ، ويلتزم بكل قيمة خلقية جاء بها المنهج ليحظى برضا الله تبارك وتعالى .

٤ ـ والعقيدة الصحيحة فى الشياطين

الشياطين هم قوى الشر والإغواء ، والإغراء بالفساد والإفساد فى الدنيا ، تلك مهمتهم مع الناس منذ أن تمرد كبيرهم إبليس فعصى أمر ربه ، ولم يطعه حين طلب منه أن يسجد لآدم سجود تحية واحترام ـ لا سجود عبادة كما يقول بذلك بعض الغافلين ـ منذ ذلك الحين ، وقد أخذ الشيطان على عاتقه أن يفسد ذرية آدم .

* ولقد أرسل الله الرسل وأنزل معهم الكتب ليعلموا الناس الخير وفعل الخير ، فجاء الشيطان يلبس على الإنسان الخير بالشر ، والحق بالباطل ويحرضه على الشر ، فى عمل عدائى يستهدف الإضرار بالإنسان والانتصار عليه انتقاماً منه .

* ولقد حذر الله تعالى الإنسان من الشيطان فقال جل شأنه : ﴿ **وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ (١٦٨) إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (١٦٩)** ﴾ [البقرة : ١٦٨ ، ١٦٩] وقال عز وجل : ﴿ **إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ (٦)** ﴾ [فاطر : ٦] .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٩٠) إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ (٩١) وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (٩٢)** ﴾ [المائدة : ٩٠ - ٩٢] .

* وهذه الآيات الكريمة التى استشهدنا بها توضح لنا عدداً من الحقائق تتصل بهذا الشيطان اللعين ، نذكر منها ما يلى :

ـ أن عداوة الشيطان للإنسان منذ أن أمره الله بالسجود لآدم أبى البشر ، فهى عداوة قديمة واضحة ﴿ **عدو مبين** ﴾ ،

ـ وأن الإنسان مطالب من قبل الله تعالى بأن يعادى الشيطان ، وإنما تكون هذه المعاداة بعصيانه فى كل ما يوسوس به إلى الإنسان ﴿ **فاتخذوه عدوا** ﴾ ،

ـ وأن للشيطان أعمالا خبيثة ذكرت منها الآيات الكريمة :

* السوء : وهو كل ما يغم الإنسان من الأمور الدنيوية والأخروية ومن الأحوال النفسية والبدنية والخارجية ،

* والفحشاء : وهى ما عظم قبحه من الأقوال والأفعال ،

* والكذب والتضليل : وإليه الإشارة بقوله تعالى عن الشيطان ﴿ يأمركم بالسوء والفحشاء وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون ﴾،

* والدعوة إلى النار : أى إلى الأقوال والأفعال التى تدخل صاحبها النار ﴿ إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير ﴾،

* وأن للشيطان حزبا : وهم الذين يطيعونه فيما يأمرهم به ، والأصل فى المسلم أن يكون من حزب الله أى المطيعين لله تعالى فيما يأمر به وفيما ينهى عنه،

* وأنه يغرى بشرب الخمر وهى أم الكبائر،

* وأنه يغرى بلعب الميسر وهو أكل لأموال الناس بالباطل وتاريث للخصومات والأحقاد والعداوات،

* وأنه يأمر الناس بأن يذبحوا لغير الله أى على أنصابهم وهى حجارة كان العرب ينصبونها ليعبدوها،

* وأن يأتمروا بأمر الأزلام وهى سهام بغير ريش كان يستقسم بها أهل الجاهلية يكتبون عليها الأمر أو النهى ويضعونها فى وعاء ، فإذا أراد أحدهم أمراً أدخل يده فيه وأخرج سهماً فإذا خرج ما فيه الأمر مضى لقصده وإن خرج ما فيه النهى كفٌ،

* وأنه يوقع العداوة والبغضاء بين المسلمين،

* وأنه يصد الإنسان عن ذكر الله،

* وأنه يصد عن الصلاة وهى أهم عبادة مفروضة على الإنسان وأكثر الفرائض تكراراً فى عمره،

تلك أعمال الشيطان التى يكيد بها الإنسان وتصرفه عما أمره ربه ونهاه ، فيعاديه بذلك أشد العداء .

* والعقيدة الصحيحة فى الشيطان هى معرفة عداوته ومعرفة أعماله ، ومعاداته وعصيان ما يوسوس به،

* واعتقاد أن الشيطان متسلط على الإنسان وأنه يجرى منه مجرى الدم فى عروقه كما قال المعصوم ﷺ فيما رواه البخارى ومسلم بسنديهما عن صفية بنت حيى زوج النبى ﷺ قالت : كان رسول الله ﷺ معتكفاً فأتيته أزوره ليلاً ، فحدثته ، ثم قمت لأنقلب فقام معى

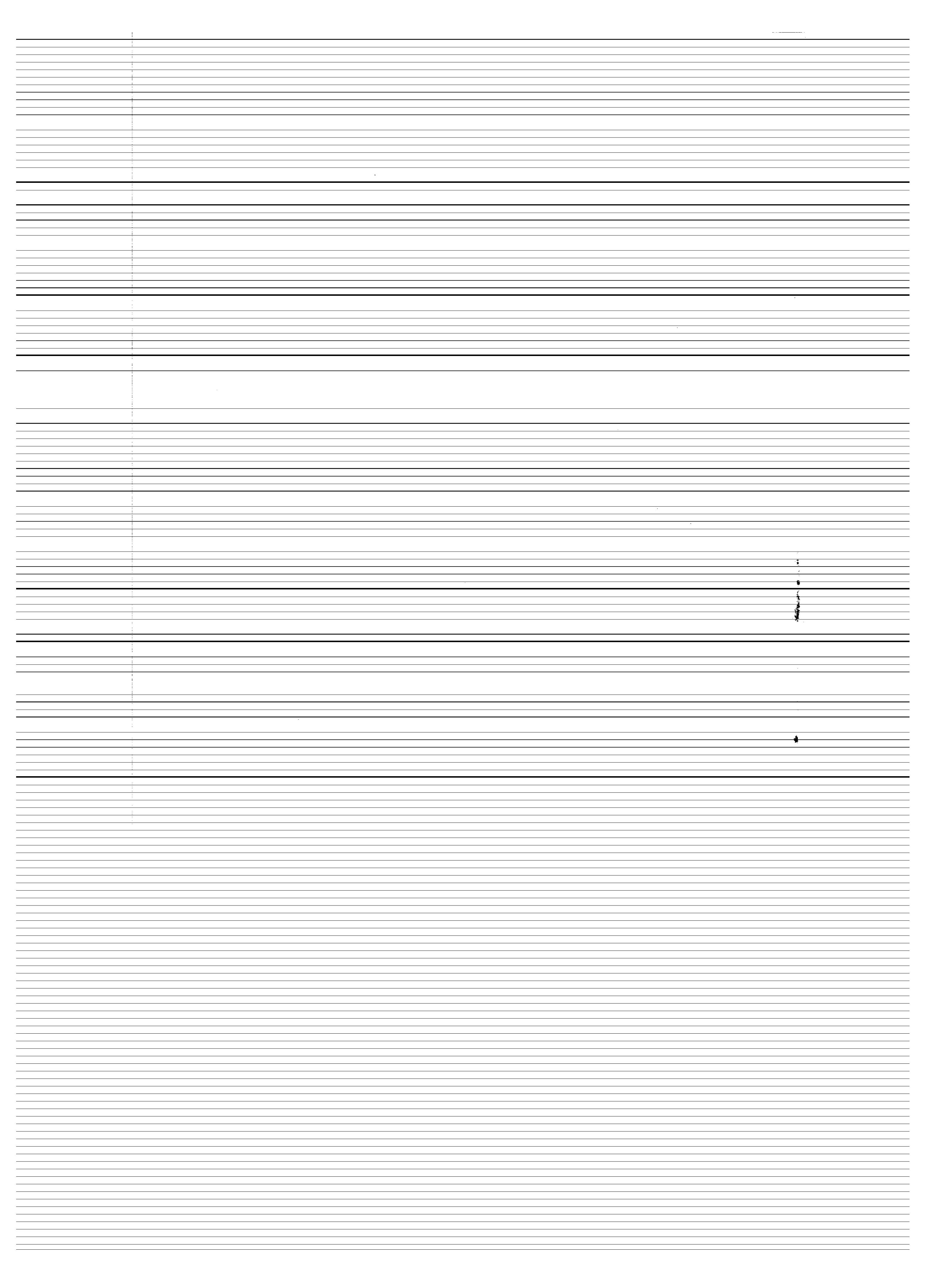
ليقلبني - وكان مسكنها في دار أسامة بن زيد - فمرُ رجلان من الانصار ، فلما رأيا رسول الله ﷺ أسرعا فقال النبي ﷺ : « على رسلكما، إنها صفية بنت حيي » فقالا : سبحان الله يارسول الله ! قال « إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم، وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما شراً - أو قال : شيئاً - » .

وبعد :

فهكذا ينبغي أن تكون عقيدة المسلم في الشياطين ، لأنه بغير هذه العقيدة الصحيحة فيهم ، يقع المسلم في خطأ طاعتهم أو تصور آخر لا يعاديهم من أجله ، فقد كان في تاريخ الإنسان من والى الشيطان ومن براه من المعصية لربه بل كان منهم من عبد الشيطان .

وهكذا نصل في ختام هذا الفصل إلى تقرير أن التربية الخلقية في الإسلام أساسها العقيدة الصحيحة في الله تبارك وتعالى وفي ملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وفي قوى الشر التي يمثلها الشيطان وقبيله .

وما لم تكن العقيدة صحيحة في ذلك كله - وكله من الإيمان بالغيب - فلن تستقيم أخلاق ، ولن يعرف الإنسان توجها صحيحاً نحو ما يسعده في معاشه أو معاده .



الفصل الثانى

التربية الخلقية أهم أسس الحياة الاجتماعية

ويتناول

١ ـ مفهوم الحياة الاجتماعية .

٢ ـ أسس الحياة الاجتماعية عند بعض المذاهب الفكرية .

٣ ـ أسس الحياة الاجتماعية فى الإسلام وهى :

أولا : تكريم الإنسان واحترامه .

ثانيًا : تأكيد قيمة الإنسان فى الحياة وحرمته .

ثالثًا : الإنسان جزء من مجتمع .

رابعًا : الموازنة الدقيقة بين حقوق الفرد وحقوق المجتمع .

٤ ـ الشروط لاستقرار هذه الأسس ، وهى :

أولاً : العلاقة الطيبة بين الإنسان وغيره من الناس .

ثانيا : العلاقة الصحيحة بين الحاكم والمحكوم .

ثالثًا : التمتع بطيبات الحياة الدنيا والامتناع عن المحرمات فيها .

رابعًا : الالتزام بالنظام الإسلامى للحياة .

التربية الخلقية أهم أسس الحياة الاجتماعية

١ ـ مفهوم الحياة الاجتماعية

الحياة الاجتماعية للناس لا تستقيم على جادّة ، ولا تستطيع ان تحقق لهم ما يصبون إليه من اغراض إلا إذا قامت على انماط صحيحة مستقرة في العلاقات التي تربط بعضهم ببعض .

ولا يدعم هذه الانماط المستقرة إلا ان يكون للمجتمع انشطة اجتماعية واخرى اقتصادية يتبادلون القيام بها وفق معايير دقيقة ، ومفاهيم صحيحة تحقق العدالة فيما بينهم .

* والحياة الاجتماعية للإنسان تعني اموراً كثيرة لا يمكن تجاهلها فضلاً عن الاستغناء عنها لكي يعيش الإنسان ، ومن اهم هذه الأمور ما نسوق بعضه فيما يلي :

ـ التعايش :

وهو يعني تعاون أفراد الجماعة فيما بينهم على تحقيق ما هم في حاجة إليه ، أو دفع ما يتهدد حياتهم أو متعلقاتهم ، وهذا التعاون اساسي لكي يحيا الإنسان حياة إنسانية كريمة تليق به وبمكانته في الحياة ، وبغير هذا التعاون فإن الإنسان يجد نفسه وحده مطالبًا بأن يقوم باعمال عديدة كثيراً ما يستحيل عليه ان يقوم بها .

* ولا يثمر التعاون ثمرته إلا إذا كان الدافع إليه والمحرك إليه قيمة خلقية ، تحبب إلى الإنسان ان يعمل شيئًا من اجل غيره ، حتى يعمل الآخر من اجله .

* وهذا التعاون الذي تدفع إليه القيم الخلقية يجب ان يكون تعاونًا على البر والتقوى كما سماه القرآن الكريم ويحرم ان يكون تعاونًا على الإثم والعدوان .

ـ التكافل :

وهو العلاقات التي تنشأ بين الوحدات الاجتماعية في الزمان والمكان والنوع .

والتكافل الاجتماعي يعني اعتماد وحدة اجتماعية على وحدة اخرى مع تبادل هذا الاعتماد إذا كان لكل من الوحدتين نظام اجتماعي واقتصادي واحد مثلاً ، او ان يوجد بينهما مصير مشترك او حرب مشتركة ، او تعرض لخطر مشترك ، التكافل الاجتماعي بهذا المعنى يبدو أوضح ما يكون بين المسلمين ، لعمق ما بينهم من روابط وثيقة في العقيدة والعبادة والقيم الخلقية ، وفي أنهم أمة من دون الناس .

* وهذا التكافل الاجتماعى بين المسلمين تحتمه فريضة الزكاة وتندب إليه وتحببه للنفس آيات كثيرة وأحاديث نبوية عديدة تُحَسِّن إلى الناس أن يتصدقوا على ذوى الحاجات إن لم تكفهم الزكاة ، والزكاة عبادة لله؛ إذ هى ركن من أركان الإسلام .

* والتكافل الاجتماعى يمثل قمة النضج الإنسانى فى القيم الخلقية الإسلامية ، ولا عجب فى ذلك لأن الإسلام بوصفه خاتم الأديان وأكملها وأتمها يمثل قمة النضج كذلك .

* والمتدبر لآيات القرآن الكريم يحس بأن التكافل بمعنى اعتماد الناس بعضهم على بعض -كل فيما يعرف ويجيد- مبدأ عام بين مخلوقات الله جميعًا كالشمس والقمر والأرض ، بل الإنسان والحيوان والنبات والجماد ، كل تلك المخلوقات جعلها الله بحيث يعتمد بعضها على بعض ، وليس فى الوجود من يستطيع أن يستغنى عن الاعتماد على غيره سوى الله سبحانه وتعالى .

* والأنشطة التكافلية بين المسلمين ليست مقصورة على الزكاة والصدقات بوصفها تكافلاً ماديًا ، وإنما تمتد هذه الأنشطة التكافلية لتشمل ما هو أوسع من ذلك وأشمل مثل :

الأخوة فى الإسلام،

والتواد والتراحم،

وعطف الكبير على الصغير ،

ومساعدة القوى للضعيف،

- والتناصر :

أى أن ينصر المسلم أخاه المسلم فى كل موقف يحتاج فيه إلى نصرة وتأييد ، بشرط أن يكون هذا المسلم المنصور على الحق ، فإن كان على غير الحق كان نصره فى أن يحول بينه وبين الظلم والباطل ، فقد روى البخارى بسنده عن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا » فقال رجل : يا رسول الله أنصره إذا كان مظلومًا ، أرأيت إن كان ظالمًا ، كيف أنصره ؟ قال : « تحجزه أو تمنعه من الظلم ، فإن ذلك نصره » .

- والموالاة :

وهى اتخاذ المؤمنين أولياء وأنصارًا وأحبابًا دون الكافرين وذلك أن الإسلام أوجب موالاة المسلمين بعضهم لبعض ، فقال تعالى : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ

بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ... ﴾ [التوبة: ٧١] ونهى عن موالاة غير المسلمين فقال تعالى:
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ ... ﴾ [الممتحنة: ١].

تلك صورة شديدة الإجمال للحياة الاجتماعية التى رسم أبعادها الإسلام خاتم الأديان وأتمها وأكملها ومَيَّز مفهومها -بهذه المبادئ- عن غيرها مما تعارف عليه الناس من مفاهيم للحياة الاجتماعية.

* وللحياة الاجتماعية أسس ترتكز عليها، وتلك الأسس عند غير المسلمين مختلفة اختلافًا بينا عنها عند المسلمين كما جاء بها خاتم الأديان.

وهذا ما نأمل أن نبينه فى الصفحات التالية بإذن الله تعالى.

٢ ـ أسس الحياة الاجتماعية عند بعض المذاهب

يكاد يتفق الناس ـ مسلمون وغير مسلمين ـ على ان الأسس الصحيحة للحياة الاجتماعية هى التى تحقق العدالة فيما بينهم ، ما يختلف على ذلك مذهب من مذاهب الفكر أو السياسة أو الاجتماع ، وذلك ان العدالة هدف نبيل من أهداف الحياة الإنسانية .

* ومن اجل ان تتحقق هذه العدالة فى المجتمع كان للمفكرين فى مختلف العصور اتجاهات ومذاهب عديدة لتحقيق هذا الهدف .

ومن أشهر هذه المذاهب مذهبان :

الأول :

يرى العدالة فى ان تتغلب مصلحة المجتمع على مصلحة الفرد ، ويوجب على الفرد أن يعيش من أجل المجتمع ، بمعنى ان تخضع إرادته لإرادة المجتمع فيكون تابعًا له .

كما يرى ان أعمال الفرد كائنة ما كانت يجب أن تتم فى إطار معين يفرضه عليه المجتمع ليحقق مصالحه العامة أولاً ، ثم تتحقق مصالح الفرد تبعًا لذلك .

* والتعريف الملائم للفرد عند أصحاب هذا المذهب هو : « أنه أداة إنتاج لخدمة المجتمع » .

وهم يبررون مذهبهم هذا أو اتجاههم ذاك تبريراً أخلاقيًا فيقولون : إن النزعة الاجتماعية فطرية فى الطبيعة الإنسانية ، فالفرد يميل بطبعه إلى الاجتماع ، بل لا يستطيع الفرد أن يعيش فى غير مجتمع أى وحيداً .

ويؤكدون ان خُلُق الإيثار ، وخُلُق نفع الغير نابعان من فطرة الإنسان ، وأن على الإنسان والمجتمع كليهما العمل على تنمية هذه الدوافع .

* وأصحاب هذا المذهب أو الاتجاه فى مقدمتهم :

ـ فريدرك إنجلز (١٨٢٠–١٩٨٥م) أحد واضِعَىْ النظرية الاشتراكية الحديثة والآخر كارل ماركس .

ـ وكارل ماركس (١٨١٨–١٨٨٣م) صاحب النظرية الماركسية وقد تعاون مع إنجلز فى إصدار البيان الشيوعى ١٨٤٨م . وكلا الرجلين من ألمانيا .

– ولينين (١٨٧٠ – ١٩٢٤م) الذى دافع عن الثورة العنيفة لإنهاء الرأسمالية، ومؤسس

الاتحاد السوفيتي الذي انهار في التسعينات وكان قد أسسه ١٩٢٠م بعد نشوب الثورة الروسية ١٩١٧م وقيام الحرب الأهلية.

والآخر:

يرى للفرد حقوقا يقررها له، ويعترف له بقيمة كبيرة في المجتمع، ويحافظ على حقوقه وحرياته كلها مثل:

حرية العقيدة والفكر،

وحرية التدين والعبادة،

وحرية التعبير،

وحرية السفر والانتقال... الخ.

* ويعتبر الفرد في هذا المذهب مسئولا عن قوله وعمله، ويعمل على إزالة المعوقات من أمام الفرد لكي يمارس كل حقوقه على الوجه الصحيح.

* ويبرر أصحاب هذا المذهب مذهبهم بأن المجتمع ونظمه كلها إنما كانت لكي تحقق للفرد مصالحه، وتحافظ عليه وعلى حرياته، ويقررون أنه لا وزن لمجتمع لاترعى فيه قيمة الفرد ومصالحه ولا تعيان فيه حقوقه وحرياته، ومن العار على المجتمع أن يتحول فيه الفرد إلى آلة إنتاج للمجتمع.

* ويؤكد أصحاب هذا المذهب أن خلق الأثرة والأنانية مركوز في طباع الأفراد، فالفرد لايبذل جهدا ولايقوم بعمل، بل لايفكر إلا فيما يعود عليه هو شخصيا بالمنفعة الخاصة، حتى إن الفرد عندما يسلك سلوكا اجتماعيا مثل: التعاون والتكافل والعدل والإحسان، إنما يفعل ذلك لما فيه من مصلحة خاصة له، ولأن الفرد مستيقن أنه لايستطيع أن يعيش في الحياة بمفرده.

* ومن أبرز أصحاب هذا المذهب أو الاتجاه:

- كانت (١٧٩٨ - ١٨٥٧م) وهو فيلسوف فرنسي يعد من رواد المدرسة الوضعية.

- واندريه كرسون وعديد من علماء الاجتماع في أوروبا وأمريكا، وهم أنصار المذهب الرأسمالي. وأكرر أن هذه صورة في غاية الإجمال لهذين المذهبين ولكنها صورة دالة ومعبرة، وبخاصة عندما نتحدث عن أسس الحياة الاجتماعية في الإسلام في الصفحات التالية بإذن الله تعالى.

٣ - أسس الحياة الاجتماعية فى الإسلام

أقام الإسلام الحياة الاجتماعية للناس على أسس من التوازن الدقيق بين حاجات الفرد وحاجات المجتمع، فلم يسمح بأن تستبد مصلحة المجتمع بمصلحة الفرد، ولا أن تسيطر مصلحة الفرد على مصلحة المجتمع، وإنما اتجه إلى رعاية المصلحتين معا فى توازن دقيق يضمن به للفرد أن يحيا حياة إنسانية كريمة وللمجتمع أن يحقق أهدافه، وأن تؤدى إليه واجباته.

* فما هى هذه الأسس التى حفظت لكل من الفرد والمجتمع حقوقه، وجعلته يقوم بواجباته؟

ذلك ما نحاول أن نوضحه فيما يلى والله ولى التوفيق:

الأساس الأول: تكريم الإنسان:

من أهم أسس الحياة الاجتماعية فى الإسلام، تكريم الإنسان واحترامه، واحترام حقوقه، وتحريم العدوان على أى حق من هذه الحقوق، وعمدة هذا التكريم قول الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ ﴾ [الإسراء: ٧٠].

وهذا التكريم من حيثيات عديدة منها:

* الخِلقة فهو يمشى على قدمين ومستوى القامة،
* والشرف والمكانة، إذ فيه نفخة من روح الله،
* ومن حيث نعمة العقل التى تميز بها،
* ومن حيث نعمة إرسال الرسل عليهم السلام إليه،
* ومن حيث حرية الإرادة والاختيار، فى مقابل أن سائر المخلوقات مسخرة بأمره سبحانه وتعالى،
* ومن حيث الأصل فكل بنى آدم إخوة لأنهم من أب واحد وأم واحدة، ولهذا يعطف بعضهم على بعض،
* ومن تفضيل الله تعالى للإنسان على كثير من خلقه،

* وأكبر نعم الله على الإنسان أن ختم له الرسالات بالإسلام وختم له الأنبياء بمحمد ﷺ، وذلك قد عرف الإنسان الخير والشر، ويسر له الخير بهذه الرسالة وما فيها من أوامر ونواه.

وهذا التكريم بهذه الرسالة الخاتمة يفهم من قول الله تبارك وتعالى: ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٥٧) ﴾ [الأعراف: ١٥٧]

فأي نعمة أكبر من دين؟

يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر،

ويحل الطيبات ويحرم الخبائث،

ويرفع عنهم إصرهم أي ما يعوقهم عن فعل الخيرات،

ويرفع عنهم القيود والأغلال التي كانت عليهم؟!

والأساس الثاني: تأكيد حرمة الإنسان:

فللإنسان في الإسلام مكانة كبيرة وحرمة عظيمة، حرّم الله على أحد أن يمسها أو ينال منها، فضلا عن أن يناله هو بأي نوع من أنواع الأذى في نفسه أو عرضه أو أي حق من حقوقه، وتجريم من يفعل شيئا من ذلك وتهديده بالعذاب، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا (٥٧) وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا (٥٨) ﴾ [الأحزاب: ٥٧، ٥٨]

حيث عطف إيذاء المؤمنين بقول أو عمل على إيذاء الله بالكفر وتكذيب نبيه وإيذاء رسوله بتكذيبه وتحديه.

والأحاديث النبوية التي تؤكد مكانة المسلم وحرمته كثيرة نذكر منها ما يوفق الله إليه فيما يلي:

روى أبو داود بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «كل المسلم على المسلم حرام، ماله وعرضه ودمه، حسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم».

وروى البخاري بسنده عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر».

وروى ابن ماجة بسنده عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «ما أطيبك وأطيب ريحك! ما أعظمك وأعظم حرمتك؟! - يعني الكعبة - والذي نفس محمد بيده لحرمة المؤمن أعظم عند الله حرمة منك، ماله، ودمه، وأن يظن به إلا خيرا».

والأساس الثالث: أن الإنسان جزء من مجتمع:

الإنسان جزء من المجتمع الذي يعيش فيه، فليس له أن يعتزل هذا المجتمع ويبتعد عن الناس إلا لضرورة تلجئ إلى ذلك الاعتزال من فتنة ونحوها.

ومعنى ذلك أن الاختلاط بالناس مطلب شرعي دعا إليه الإسلام وشجع عليه، وأثاب الله عليه، وإنما كان الاختلاط بالناس على هذا القدر من المنزلة لما يحققه من فوائد دنيوية وأخروية للفرد والمجتمع على السواء.

* ومن هذه الفوائد للاختلاط بالناس ما يلي:

- توصيل دعوة الله إلى عباده، فالإسلام دين دعوة، ولا يمكن أن تتم الدعوة إلا بالاختلاط بالناس والصبر على أذاهم،

- والتحرك في الناس لتوصيل النفع والخير إليهم، ولايكون ذلك إلا بالاختلاط بهم،

- والتعاون مع الناس على البر والتقوى أمر من الله تعالى للمؤمنين، ولايتم هذا التعاون إلا بالاختلاط بالناس،

- والإسلام دين تربية مستمرة تصاحب الإنسان حتى يلقى الله، والتربية تعلّم وتعليم، ولايكون هذا أو ذاك إلا بمخالطة الناس والتعلم منهم أو تعليمهم،

- والإسلام دين يدعو اتباعه إلى أن يمكنوا لدين الله في الارض وأن يتحاكموا إليه في كل ما بينهم، حتى لايعبد غير الله، ويكون الدين كله لله، ولايتُصور أن يتم التمكين لدين الله إلا مع الاختلاط بالناس وتوجيههم إلى ذلك وتوظيف طاقاتهم من أجله،

- والإسلام يطالب المسلمين -بعد أن يصلوا إلى تمكين دين الله في الأرض- أن يحافظوا على هذا التمكين.

ويتأكد تمكين دين الله في الأرض من آيات قرآنية عديدة منها قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ (٣٣)﴾ [التوبة: ٣٣]

وقوله عز وجل: ﴿فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ (٤) بِنَصْرِ

اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (٥) وَعْدَ اللَّهِ لا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ (٦) يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ (٧) ﴾ [الروم: ٤ - ٧].

* وكيف يكون كل ذلك دون اختلاط بالناس؟

– وقد جاء فى السنة النبوية عن الاختلاط بالناس ما رواه أحمد والترمذى وابن ماجة، والبخارى في الأدب المفرد بأسانيدهم عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «المؤمن الذى يخالط الناس ويصبر على أذاهم، أفضل من المؤمن الذى لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم».

وما رواه البخارى فى الأدب المفرد، والترمذى وابن ماجة والحاكم فى مستدركه بأسانيدهم عن أبى مسعود الأنصارى[1] رضى الله عنه قال: قال رسول ﷺ: «حوسب رجل ممن كان قبلكم فلم يوجد له من الخير شيء، إلا انه كان رجلا موسرا، وكان يخالط الناس، وكان يأمر غلمانه ان يتجاوزوا عن المعسر، فقال الله عز وجل لملائكته: نحن أحق بذلك منه، تجاوزوا عنه».

* وفوائد التآلف والاختلاط بالناس، وبخاصة من كان منهم صالحا أو فى طريقه إلى الصلاح، أكبر من ان تحصى هاهنا.

* وقد أفاض الأسلاف رحمهم الله تعالى فى ذلك، ومنهم الإمام أبو حامد الغزالى فى كتابه: «إحياء علوم الدين» فذكر من فوائد الاختلاط بالناس سبع فوائد هى:

– التعليم للغير والتعلم منه،

– والنفع والانتفاع،

– والتاديب والتادب،

– والاستئناس والإيناس،

– ونيل الثواب وإنالته،

– والتواضع،

– وكسب التجارب والخبرة.

(١) هو عقبة بن عمر بن ثعلبة ابو مسعود الانصاري رضى الله عنه وهو ممن شهد العقبة ولم يشهد بدرا، وكان واليا على الكوفة فى خلافة على بن ابى طالب رضى الله عنه، وتوفى بالكوفة فى خلافة على رضى الله عنه.

ثم أفاض في شرح كل فائدة على حدة[1].

* وكان النصوص الإسلامية تلزم بهذا الاختلاط وتشجع عليه كما يفهم ذلك من بعض الأحاديث النبوية الشريفة، ومنها:

- ما رواه مسلم بسنده عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى».

- وما رواه الإمام أحمد بسنده عن أبي ذر رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «اثنان خير من واحد وثلاثة خير من اثنين، وأربعة خير من ثلاثة، فعليكم بالجماعة، فإن الله لن يجمع أمتي إلا على هدى».

والأساس الرابع: الموزانة الدقيقة بين حقوق الفرد وحقوق المجتمع:

فالفرد - كما رأينا آنفا - له كيانه واحترامه وحقوقه، وله حرمته، وفي الوقت نفسه عليه واجباته، ومن المنطقي أنه لايستطيع أن يستمتع بحقوقه إلا إذا أدى واجباته.

والمجتمع في ظل النظام الإسلامي مرعي الحرمة، محترم المكانة يجب على الفرد أن يحترمه وأن يؤدي نحوه واجباته، وأن يحترم القيم الإسلامية السائدة فيه، وهي قيم في صالح المجتمع لكنها في صالح الفرد أيضا.

* وهذه القيم الإسلامية السائدة في المجتمع المسلم نابعة من الكتاب الكريم والسنة النبوية المطهرة، وهي في مجموعها جملة من الفضائل يجب أن يتحلى بها المسلم، وأعمال تنتمي إلى الرذائل يجب أن يتخلى عنها كل مسلم.

* وكل فضيلة إسلامية يتحلى بها المسلم فهي محققة لصالح الفرد في ذاته، ولصالح المجتمع في مجموعه.

* ومن الضروري أن ننبه إلى أنه ليس هناك فصل بين مصلحة الفرد ومصلحة المجتمع لأن الفرد جزء من المجتمع، والمجتمع عديد من الأفراد، بل نذهب إلى أبعد من ذلك فنقول: إن كل ضرر بالفرد ضرر بالمجتمع والعكس صحيح أيضا، لنفس التعليل.

(1) انظر: إحياء علوم الدين: ٢/٢١٠ - ٢١٤ ط العثمانية بالقاهرة ١٣٥٢هـ - ١٩٣٣م. باختصار.

* وإن التوازن في ظل النظام الإسلامي بين حقوق الفرد وحقوق المجتمع يمكن ان يلخص في كلمات هي:

– بالنسبة للفرد:

لايجوز له ان يمارس عملا فيه ضرر بالمجتمع أو باى قيمة من قيمه، وليس له ان يمتنع عن القيام بعمل فيه مصلحة للمجتمع مادام قادرا على القيام به.

– وبالنسبة للمجتمع:

لايجوز له ان يمارس عملا فيه ضرر بالفرد أو تفويت لمصلحة دينية أو دنيوية له، وليس للمجتمع أن يمتنع عن عمل يحقق مصلحة للفرد في دينه او دنياه.

* وهذه الحقيقة أو المسلمة تؤكدها آيات القرآن الكريم والاحاديث النبوية الشريفة، وفي ذلك ما يدعم هذا التوازن بين حقوق الفرد وحقوق المجتمع.

– قال الله تعالى: ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ (٢) ﴾ [المائدة: ٢].

– وقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ (٧١) ﴾ [التوبة: ٧١].

– وقال جل وعلا: ﴿ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ (١٧٧) ﴾ [البقرة: ١٧٧].

– وقال عز وجل: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (١١) ﴾ [الحجرات: ١١].

– وقال عز شانه: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ (١٢) ﴾ [الحجرات: ١٢].

إلى غير ذلك من الآيات الكريمة المشابهة لهذه الآيات في الأمر بالأعمال الصالحة والأخلاق الفاضلة، والنهى عن الأعمال السيئة والأخلاق الذميمة، وهذه وتلك تدل على وجوب رعاية الفرد لحقوق المجتمع، ووجوب محافظة المجتمع على حقوق الأفراد.

وعلى سبيل المثال:

* فإن التعاون على البر والتقوى، وتقوى الله،

* والأمر بالمعروف، وإقامة الصلاة – وهى تنهى عن الفحشاء والمنكر – وإيتاء الزكاة، وطاعة الله ورسوله،

* وطاعة ولى الأمر، والاحتكام عند التنازع إلى شرع الله،

* والإيمان بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وإيتاء المال – على حبه – ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب، والوفاء بالعهد، والصبر فى البأساء والضراء وحين البأس،

* واجتناب الكثير من الظن لأن بعض الظن إثم.

كل هذه الأمور التى أمر الله تعالى بها فى امتثالها مصلحة للفرد والمجتمع فى الدين والدنيا معا، وهذا هو التوازن بين مصالح الفرد ومصالح المجتمع.

* وإن الامتناع عن التعاون على الإثم والعدوان،

* والنهى عن المنكر،

* وترك السخرية من الناس عموما، وترك اللمز، والتنابز بالألقاب، وترك التوبة عن الذنب، وترك التجسس والغيبة،

كل هذه الأمور إذا تركت حققت مصلحة للفرد وللمجتمع، ما يشك في ذلك من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

– ومن الأحاديث النبوية التى تشهد لهذا التوازن «بين حقوق الفرد وحقوق المجتمع» ما نسوق بعضه فيما يلى:

* روى مسلم بسنده عن أبى سعيد الخدرى – رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان».

* وروى مسلم بسنده عن ابن مسعود – رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ما من نبى بعثه الله في أمة قبلى إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب، يأخذون بسنته ويقتدون بأمره، ثم إنها تخلف بعدهم خلوف يقولون ما لايفعلون، ويفعلون ما لايؤمرون، فمن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ليس وراء ذلك من الإيمان

حبة خردل ».

* وروى البخاري بسنده عن النعمان بن بشير رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال: « مثل القائم فى حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة، فصار قوم أعلاها وبعضهم أسفلها، وكان الذين فى أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم، فقالوا: لو أنا خرقنا فى نصيبنا خرقا، لم نؤذ من فوقنا فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا ».

* وروى مسلم بسنده عن أم سلمة رضى الله عنها زوج النبى ﷺ أنه قال: « إنه يستعمل عليكم أمراء فتعرفون وتنكرون، فمن كره فقد برئ، ومن أنكر فقد سلم، ولكن من رضى وتابع » قالوا يارسول الله: ألا نقاتلهم؟ قال: « لا، ما أقاموا فيكم الصلاة ».

* وروى البخارى بسنده عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى ﷺ: « إياكم والجلوس فى الطرقات » قالوا: يارسول الله ما لنا من مجالسنا بد، نتحدث فيها، فقال رسول الله ﷺ: « فإذا أبيتم إلا المجلس فأعطوا الطريق حقه » قالوا: وما حق الطريق يارسول الله؟ قال: « غض البصر، وكف الأذى، ورد السلام، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ».

* وروى الترمذي بسنده عن حذيفة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: « والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابا منه، ثم تدعونه فلا يستجاب لكم ».

- فهذه الأحاديث الشريفة - كتلك الآيات الكريمة - تأمر بكل ما يكون فى امتثاله مصلحة للفرد وللمجتمع، وتنهى عن كل ما يكون فى اجتنابه مصلحة للفرد وللمجتمع على السواء، وهذا هو التوازن بين حقوق الفرد والمجتمع كما جاء بها الإسلام.

* وإن الفرد المسلم فى المجتمع المسلم محكوم بإطار أخلاقى دقيق، يحدد للفرد نوع السلوك الذي يسلكه فى الحياة، لكى ينجو من عذاب الله فى الآخرة، ولكي يعيش حياة إنسانية آمنة ترعى فيها حقوق الفرد والمجتمع.

تتضح هذه الحقيقة فى الحديث الشريف الذى نختم به هذا الحديث عن التوازن بين حقوق الفرد وحقوق المجتمع وواجبات كل منهما.

روى الإمام أحمد بسنده عن أبى ذر - رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ لأبى هريرة رضى الله عنه: « يا أبا هريرة: إذا استطعت أن تلقى الله وأنت خفيف الظهر من دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم فافعل تكن من المقربين، ولا تتخذن أحداً من خلق الله غرضا لشرور جهنم يوم القيامة ».

٤ - الشروط لأجل استقرار هذه الأسس

هذه الأسس التى تقوم عليها الحياة الاجتماعية فى الإسلام لابد لها من شروط تلتزم لكى تستقر هذه الأسس فى المجتمع، وهذا الالتزام بهذه الشروط يجب أن يلزم به المسلم نفسه إيمانا منه بربه وامتثالا لاوامر دينه، فإن لم يفعل ألزمه بها نظام المجتمع، وما يشتمل عليه التشريع الإسلامى من أمر ونهى وحلال وحرام.

فما أهم هذه الشروط؟

أولا: العلاقة الطيبة بين الإنسان وغيره من الناس

يفترض منهج الإسلام أن تكون العلاقة طيبة وخيرة بين الناس جميعا مؤمنهم وغير مؤمنهم، ولذلك يقيم وزنا كبيرا للتربية الخلقية فى كل مؤسسات التربية عند المسلمين:

البيت، والمسجد، والمدرسة، والمجتمع،

ويؤكد هذه العلاقة الطيبة الخيرة فى البيت المسلم وما يجب أن يسوده من رعاية ومودة ورحمة وحسن تنشئة للأبناء على أخلاق الإسلام وآدابه، ثم فى المسجد والمدرسة والمجتمع.

* وتبدأ هذه العلاقة الطيبة بأفراد الأسرة، حيث يجب أن تكون العلاقة كما دعا إليها الإسلام وهى:

- علاقة الرعاية والمودة والرحمة من جانب:

وذلك بإلزام الوالدين والوالد بصفة خاصة -لما له من قوامة على الأسرة- بوقاية هذه الأسرة من كل شر أو خطر يتهددها فى دينها أو دنياها: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ (٦) ﴾ [التحريم: ٦].

أى بالانتهاء عما نهاكم الله عنه، أى أن يؤدب المسلم نفسه وأهله فيأمرهم بالخير وينهاهم عن الشر، أو آخذوهم بما تؤاخذون به أنفسكم.

- وعلاقة الطاعة والاحترام من الجانب الآخر:

وذلك واجب الأبناء نحو آبائهم ومن هم فى حكم الآباء كالأعمام والأخوال والعمات والخالات، فهؤلاء جميعا لهم من الأبناء الحب والطاعة والاحترام والتقدير.

* ومن نُشِّئَ على هذه الأخلاق فى بيته منذ صغره هو الذى يمارس هذه الأخلاق وتلك

الآداب فى المسجد والمدرسة والمجتمع، فتكون علاقته طيبة خيرة مع كل الناس.

- وعلاقة التضامن والتكافل بين أعضاء الأسرة:

وهذا التضامن والتكافل يتمثل فى ركيزتين أساسيتين يجب أن يقوم عليهما بناء الأسرة المسلمة وهما:

* جعل القوامة على الأسرة للرجل - زوجا كان أو أبا - والقوامة تعنى:

التوجيه والإرشاد،

والتربية والرعاية،

والإنفاق وسد الاحتياجات.

وهى قوامة جاء بها المنهج الإسلامي وأقرها، ودلت عليها الآية الكريمة: ﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ ﴿٣٤﴾ ﴾ [النساء: ٣٤].

وإنما كانت القوامة للرجل لقدرته على السعى فى سبيل العيش وملاءمة طبيعته الجسدية لهذه المهام.

* ويدخل فى معنى التضامن والتكافل فى الأسرة أن يتعامل أفرادها فيما بينهم بالشورى، بوصفهم مجموعة من المؤمنين يجب أن يتعاملوا بها لعموم قوله تعالى فى وصف المؤمنين: ﴿ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ [الشورى: ٣٨].

وما يترتب على هذه الشورى من تعاون على البر والتقوى ونبذ التعاون على الإثم والعدوان.

* والركيزة الثانية التى يقوم عليها بناء الأسرة المسلمة هى: وحدة الأسرة واعتبارها لبنة فى بناء المجتمع المسلم، وما يترتب على ذلك الاعتبار من:

- رفض النظام القبلى، كما يذهب إلى ذلك أتباع الفكر الاجتماعى اليهودى، إذ تسيطر عليهم هذه النزعة حتى يوم الناس هذا، ومنها تولدت لديهم مقولة أنهم شعب الله المختار.

- ورفض فكرة الخلية الجماهيرية التى تقوم على الفكر المادى والتلاحم الأنانى الذى يستحيل عليه أن يصهر الأسرة فى وحدة اجتماعية نفسية وأخلاقية.

* فالأسرة هى القوة الأساسية فى المجتمع الإنسانى المسلم، وهى التى تحفظ له تماسكه بل بقاءه، لأنها وحدة طبيعية فى فطرة الإنسان وليست مجتلبة من مذهب اجتماعى غريب عن

هذه الفطرة التى فطر الله الناس عليها.

* وهذه العلاقة الطيبة الخيرة بين أفراد الأسرة تحتاج إلى قيم أخلاقية يتربى عليها الإنسان منذ نعومة أظفاره وبين رعاية والديه وأوليائه.

وعندما تتسع دائرة الأسرة، ويخرج أبناؤها إلى الحياة فى المسجد، وفى المدرسة وفى المجتمع، فإن المنهج الإسلامى يعلمهم أن تتوطد القيم الخلقية التى شبوا عليها فيطالبهم بأن يكونوا إخوة فى الإسلام مع سائر المسلمين.

* وهذه الأخوة فى الإسلام لها حقوق وعليها واجبات [١] وهى أخوة أقرها القرآن الكريم بين المؤمنين، فقال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ⑩﴾ [الحجرات: ١٠].

* وأبرز ما تقتضيه هذه الأخوة ثلاثة مبادئ:

الأول:

مبدأ التعاون على البر والتقوى ورفض التعاون على أى شر أو عدوان على أحد: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ②﴾ [المائدة: ٢].

والثانى:

مبدأ التكافل بين المسلمين، وهو مبدأ إسلامى صميم أصيل فى المنهج، بحيث لا يمكن الاستغناء عنه، وقد أقره القرآن الكريم، وأوضحته السنة النبوية المطهرة. قال الله تعالى: ﴿مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ ⑪﴾ [الحديد: ١١]، وإقراض الله تعالى - والله غنى عن العالمين - إنما هو إقراض لعباده بدفع الحاجة عن المحتاجين منهم.

وأوضحت السنة النبوية هذا التكافل فى أحاديث نبوية كثيرة منها:

- ما رواه البزّار فى مسنده، والطبرانى فى معجمه الكبير بسنديهما عن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما آمن بى من بات شبعان وجاره جائع إلى جنبه وهو يعلم به».

- وما رواه أحمد والترمذى بسنديهما عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «مازال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه».

---

(١) للتوسع: انظر للمؤلف: فقه الأخوة فى الإسلام - نشر دار التوزيع والنشر الإسلامية - القاهرة ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

– وتدخل الزكاة المفروضة في دعم التكافل بين المسلمين، وقد فرض الله الزكاة على القادرين كل حول، وحدد المستحقين لها من المسلمين ووضعت الشريعة للزكاة من الشروط ما لو طبقت وفقًا له لقضت على حاجة المحتاجين، واحدثت نوعا من التكافل لم تعرف له البشرية نظيرا.

– وعلى فرض ان الزكاة المفروضة لم تكف لسد حاجة المحتاجين، فإن الشريعة ندبت إلى الصدقات وجعلت جزاء الحسنة فيها بعشر امثالها إلى سبعمائة ضعف، ثم أطلقت الجزاء فقالت الآية الكريمة: ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٢٦١) الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لا يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُوا مَنًّا وَلا أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ (٢٦٢) ﴾ [البقرة: ٢٦١، ٢٦٢].

– وما رواه مسلم بسنده عن النعمان بن بشير – رضى الله عنهما– قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى».

والثالث:

مبدأ المناصرة والموالاة بين المؤمنين:

وهو من المبادئ الاساسية التي تقتضيها الاخوة في الإسلام، قال الله تعالى: ﴿ وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ (٥٦) ﴾ [المائدة: ٥٦]. والمعنى ان ولاء المسلم ومناصرته ينبغي ان يكون لله تعالى ورسوله وللمؤمنين فقط، اما غير المؤمنين فليس بين المسلمين وبينهم ولاء ومناصرة وإنما هي معاملة حسنة وفق ما أقرته الشريعة الإسلامية.

ومما يفهم من هذه الآية الكريمة ان من يتولى الله ورسوله والمؤمنين فإنه عندئذ –والمؤمنين الذين تولاهم وناصرهم– هم حزب الله الذي كتب الله له ان يغلب كل عدو له.

ومعنى تولّي الله تعالى: الإيمان به والتوكل عليه.

ومعنى تولّي الرسول ﷺ: اتباع ما جاء به، ومعني تولّي المؤمنين: مناصرتهم وشد أزرهم والاستنصار بهم.

ثانيا : العلاقة الصحيحة بين الحاكم والمحكوم

ليست العلاقة بين الحاكم والمحكوم في الإسلام علاقة تحد أو تربص كما يحلو لبعض النظم ان تتصور ذلك، وانما هي علاقة تعاون وتناصح وتشاور، وطاعة للحاكم في غير معصية لله تعالي، وامانة من الحاكم فيما استرعي عليه من حقوق الناس وكراماتهم الإنسانية.

لذلك كانت هذه العلاقة الصحيحة بين الحاكم والمحكوم شرطا لاستقرار الحياة الاجتماعية في الإسلام .

وإنما تكون العلاقة بين الحاكم والمحكوم صحيحة إذا قامت على مبادئ معينة اقرتها الشريعة الإسلامية والزمت بها كلا من الحاكم والمحكوم، واعتبرت الالتزام بها عبادة لله تعالي، لانه طاعة لله ولرسوله .

ومن اهم تلك المبادىء مايلي :

المبدأ الأول:

ان يكون الحاكم اهلا لممارسة الحكم، وان اهل الصلاح والعلم قد اختاروه وأسندوا إليه هذه السلطة .

والمبدأ الثاني :

الا يتصور الحاكم انه فوق المساءلة عند الخطا، والا يتصور انه معصوم من الخطا .

والمبدأ الثالث :

ان يساوى بين الناس في الحقوق والواجبات، وذلك يتضمن العدل والالتزام باحكام الشريعة الإسلامية .

والمبدأ الرابع :

ان يطبق الشورى فى نظام حكمه، ويأخذ بشرع الله فيه .

والمبدأ الخامس :

الا يدخر وسعا فى تامين حقوق الناس وحرياتهم وان يؤمنهم من اعدائهم بحسن الإعداد والاستعداد .

والمبدأ السادس :

ان يعمل لجلب المنافع لهم، ودفع المضار عنهم .

* وبالنسبة للمحكوم فإن هناك مبادئ يجب ان يعامل المحكوم على اساسها ، واهمها مايلي :

المبدأ الأول :

ان يخلص لحاكمه وان يسدي إليه النصح إن كان ذلك يحقق مصلحة .

المبدأ الثاني :

ان يسمع له ويطيع مادام ذلك في غير معصية لله .

المبدأ الثالث :

ان يستجيب إذا استنفره لقتال عدو، مضحيا بوقته وماله ونفسه .

المبدأ الرابع :

ان يحتكم وحاكمه إلى كتاب الله وسنة رسوله عند وقوع اي تنازع بينهما .

المبدأ الخامس :

الا يتصور في حاكمه العصمة عن الخطأ .

المبدأ السادس :

الا يخلعه او يخلع نفسه من بيعته إلا عند وجود المقتضي لذلك .

والآية القرآنية الكريمة التي تعد أمًّا في هذه المبادئ هي قول الله تبارك وتعالي : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا (٥٨) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً (٥٩)** ﴾ [النساء: ٥٨ ، ٥٩]

ثالثا : التمتع بطيبات الحياة الدنيا

وقد يستغرب بعض الناس ان يكون التمتع بطيبات الحياة الدنيا شرطا في استقرار المجتمع المسلم، ولكن هذا الاستغراب او الدهشة من هذا الشرط تزول عند التامل في ترك التمتع

بما أحل الله في هذه الحياة الدنيا، لأن ترك ذلك ضعف عن عبادة الله وضعف عن القيام بواجب الحرب والدفاع، وترك الأخذ بأسباب القوة، وقوة البدن لاتأتي إلا بالتمتع بطيبات الحياة في غير إسراف ولا مخيلة .

فإن دخل بترك هذا التمتع بالطيبات في دائرة أن يحرم علي نفسه كذا مما لم يحرم الله زهدا أو ورعا أو نحو ذلك فقد شرع لنفسه ماليس من حقه أن يشرعه ودخل في دائرة أضيق وأخطر وأدخل في غضب الله تعالي .

وشرط عدم الإسراف أو المخيلة من أجل ألا ينكب الناس علي التمتع بطيبات الحياة، فيؤدي هذا الانكباب إلي الوقوع في الإسراف أو الوقوع في تناول الحرام .

وقد أوضحت آيات القرآن الكريم هذا المعني في أكثر من آية كريمة، ونكتفي نحن هنا بذكر قوله تعالي : ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٣٢) ﴾ [الأعراف : ٣٢]

رابعا : الامتناع عن ممارسة الحرام

وذلك أن الله تبارك وتعالي أحل وحرم، فما أحل يتمتع به في غير إسراف ولا مخيلة، وماحرم يجتنب تماما، وماحرمه الله تعالي هو كل مايضر بالإنسان في بدنه أو ماله أو عرضه أو دنياه عموما أو دينه .

فماذا حرم الله ؟

إن القرآن الكريم تحدث في إجمال عما حرم الله علي عباده فقد قال تعالي :

﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ (٣٣) ﴾ [الأعراف : ٣٣]

* والفواحش : هي الكبائر وعلي رأسها الزنا،
* وما ظهر من الفواحش : هو ما وقع من الزنا،
* ومابطن : هو سر الزنا، كالعشق والمحبة ونحوهما،
* والإثم : جريمة توجب الحد، والمراد بها شرب الخمر ،
* والبغي بغير الحق : هو الإقدام على الغير نفسا أو مالا أو عرضا بغير حق،

* وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا : وجعل العلماء هذه العبارة دليلا على القول بأن التقليد باطل،

* وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون : أي تنسبون إلى الله تعالى من التحليل والتحريم مالم يأت عليه دليل .

وهذا الالتزام باجتناب ماحرم الله تعالى إنما تحركه فى نفس المؤمن القيم الخلقية التى يربى عليها المسلم في بيته وفي المسجد والمدرسة والمجتمع .

خامسا : الالتزام بالنظام الإسلامى للحياة

لاشك ان للإسلام نظاما لحياة الناس، يتناول من شُعبها الكثيرة ما لابد ان يكون فيه تنزيل من القرآن الكريم وأن تشرحه السنة النبوية وتدل عليه .

أما سائر شعب الحياة الإنسانية مما لم ينزل فيه قرآن ولا جاءت فيه سنة، فإنه ترك للمسلمين في كل عصر لكي يجتهدوا فيه، او يجمعوا فيه علي رأي، ولن يجمع الله أمة محمد علي باطل أو ضلال كما قال ﷺ في الحديث الذي ذكرناه من قبل .

وإذا كانت شُعب الحياة في عصرنا هذا قد تنوعت إلى ،

الاجتماع،

والسياسة،

والاقتصاد .

فإن الإسلام اقر في كل شعبة من هذه الشعب مبادئ وقيما أساسية الزم بها، وترك ما وراء ذلك لظروف الناس والعصر الذي يعيشون فيه، ومايرد على حياة الناس فيه من متغيرات .

وهذه المبادئ والقيم هي الثوابت التي لايجوز للمسلم ان يخالفها بحال، وهى على وجه الإجمالى مايلى :

في النظام الاجتماعى :

المبادئ التي تنظم الزواج والطلاق والأسرة والنفقات، وعلاقة الأسرة بالمجتمع، والعقود كلها من بيع وصرف وسلم وإجارة ووكالة، وميراث ووقف، وغيرها من كل عقد يحفظ الحق

ويلزم به، ويدفع الباطل والضرر عن الفرد والمجتمع، مع ترك مايجد للاجتهاد والإجماع.

وفي النظام السياسي :

وضع المبادئ التي تكفل العدالة والشوري، وتحدد العلاقة بين الحاكم والمحكوم، والعلاقة بين الحكومة المسلمة وغيرها من الحكومات، والزم الحكومة بالدفاع عن الأمة ضد كل عدو يتهددها، وألزم الأفراد بالاستجابة للتغيير العام إذا دعاهم الحاكم المسلم إليه، وترك تفاصيل الأنظمة السياسية للاجتهاد ولمواجهة المتغيرات.

وفي النظام الاقتصادي :

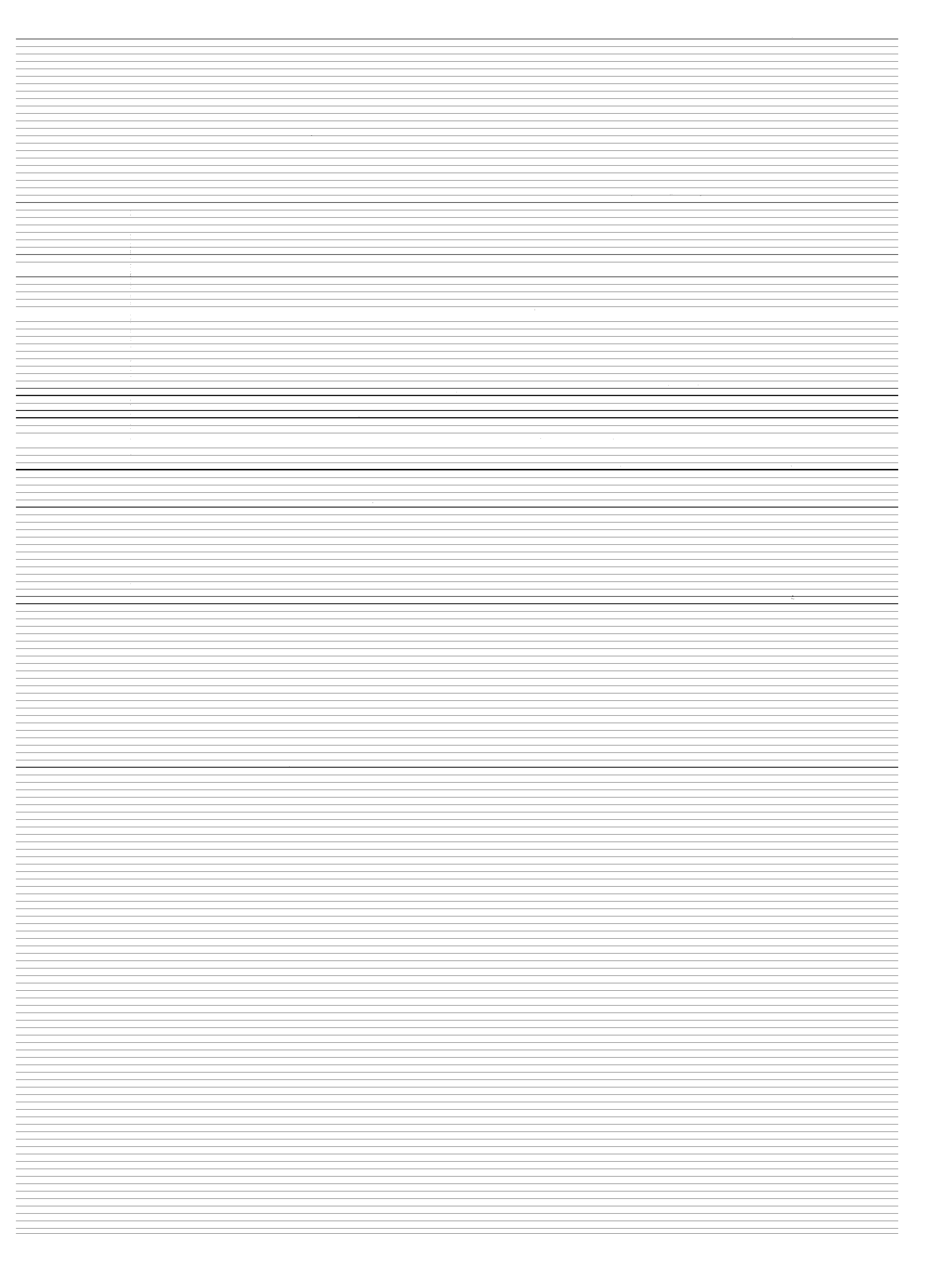
وضع المبادىء والقيم الخلقية التالية :

فرض الزكاة على القادرين ببيان مقاديرها وتحديد مصارفها،

والدعوة إلي صدقات التطوع، وفرض العمل علي كل قادر عليه،

وتحريم الربا، والغش والتدليس، والغرر، والاحتكار ، وسائر المعاملات المالية التى لا تحفظ للناس حقوقهم، وترك الإسلام كثيرا من التفصيلات لظروف الناس والمتغيرات في حياتهم ليواجهوها بالأسس العامة للحلال والحرام، وباجتهاد العلماء وإجماع المسلمين.

ولا يتسع لنا المجال هنا للحديث عن كل هذه الأنظمة ، وإنما سوف نتناول الحديث عنها في حلقات هذه السلسلة في التربية الإسلامية، عندما نتحدث عن التربية السياسية والتربية الاجتماعية والتربية الاقتصادية وغيرها.



الفصل الثالث

التربية الخلقية الإسلامية

تقدر الواقع الذي يعيشه الإنسان وترشده

ويتناول :

١ - بين الواقعية والمثالية .

٢ - موقف الإسلام من الواقعية والمثالية .

٣ - الإسلام والفطرة البشرية .

الفصل الثالث

التربية الخلقية الإسلامية

تقدر الواقع الذى يعيشه الإنسان وترشده

التربية الخلقية الإسلامية جاءت مبادئها وقيمها من عند الله تبارك وتعالي، فكانت الملائمة للإنسان في حياتيه الدنيا والآخرة، وكانت بهذه الملائمة اكثر قدرة علي تحقيق آمال الإنسان المشروعة .

وهي تربية تعترف بان الإنسان يعيش حياة فيها الخير والشر، وفيها الحق والباطل، وفيها العدل والظلم، وفيها السلم والحرب، وتضع للإنسان قيما ومبادىء يستطيع بها ان يعيش تلك الحياة المليئة بالمتناقضات، قادرا على ان يحقق مصلحته الدنيوية، والآخروية، وقادراً على ان يتعامل مع الاخيار والاشرار.

والمجتمع المسلم الذي تحكمه حكومة مسلمة لايمكن ان يخلو من اشرار ومنحرفين وراغبين في معصية الله تعالي بانتهاك حرماته، وهؤلاء لهم في المجتمع المسلم حسابهم وعقابهم الدنيوي، لكى ينقى المجتمع من هؤلاء المنحرفين الضالين ويعيش الناس امنا، وإقبالا علي الحياة وإنتاجا، وتقربا إلي الله بصالح الاعمال.

وهذا الواقع الذي يعيشه الإنسان بكل مافيه من تناقضات لاتتركه التربية الخلقية الإسلامية على حاله، وإلا ازداد تناقضا وسوءا، وإنما تعمل على ترشيده، بشد ازر الصالحين، وتضييق الخناق على الفاسدين والعصاة وحصارهم اجتماعيا حتى يقلعوا عن المعاصى، ويبتعدوا عن الفساد والإفساد، وليست العقوبات البدنية والتعزيرات التى قررتها الشريعة الإسلامية إلا أسلوبا لردع المفسد وترشيد سلوكه فى الحياة ليحقق الأمن لنفسه وللمجتمع الذى يعيش فيه .

والنظرة العامة للإنسان كما هو واضح فى النصوص الإسلامية ان الإنسان إنسان بكل ما أودع الله فى فطرته من نزعات ونزغات ومن عواطف وميول واتجاهات، فهو على القطع ليس بملاك أو معصوم عن الخطأ، وليس بشيطان أو ممن تستحيل عليه الطاعة، قال الله تعالى : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨) قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا(١٠) ﴾ [الشمس : ٧ - ١٠].

وروى البخارى ومسلم بسنديهما عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:
« لن يدخل أحداً عملُه الجنة، ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله بفضل رحمته، فسددوا وقاربوا، ولايتمنى أحدكم الموت، إما محسن فلعله يزداد خيرا، وإما مسيىء، فلعله أن يُستعتب » .

فالإنسان يفلح إن هو زكى نفسه بالطاعات، ويخيب أى يخسر الدنيا والآخرة إن هو أدخل نفسه فى المعاصى.

والإنسان مطالب بأن يسدد فى عمله ويقارب، ولن يستطيع أن يبلغ به درجة الكمال، ولكنه إذا عاش وهو محسن فعليه أن يزداد خيرا، وإن كان من المسيئين فلعله بالعيش فى الحياة يقلع عن الإساءة والمعاصى.

فالإنسان قد يخطئ، بل هو خطاء، ولكنه يستطيع أن يمحو هذا الخطأ بالتوبة النصوح.

روى الإمام أحمد والترمذى وابن ماجة والحاكم بأسانيدهم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « كل بنى آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون » .

فالإسلام يعترف بالواقع الإنسانى ويقدره ويعمل على ترشيد سلوك الإنسان فى الحياة، لتصلح له دنياه، وتصلح له آخرته، وهذا هو هدف التربية الخلقية فى الإسلام.

١ – بين الواقعية والمثالية

نحاول – تحت هذا العنوان – أن نذكر بمفهوم هاتين الكلمتين بما هو شائع عنهما بين الفلاسفة وعلماء الاجتماع، والمشغولين بالدراسات النفسية، لنمهد بذلك لموقف الإسلام من هذه الواقعية وتلك المثالية ، فنقول وبالله التوفيق :

المثالية :

نسبة إلى المثال ، أو المثل ، أو الأنموذج،

– وهى عند الفلاسفة :

اتجاه فلسفى يشمل جانبا كبيرا من المذاهب «الميتافيزيقية» والعقلية التى ترى أن العقل أو الفكر هو الحقيقة النهائية ، أو أنه أساس التجربة والمعرفة .

وهذه المثالية عندهم مرتبطة بالمعرفة وبالقيم الخلقية عند أفلاطون ، وهى موازية للأجناس العليا التى يعم وجودها الأفراد وهى جواهر قائمة بذاتها ثابتة أزلية .. والأخلاق عند أفلاطون اقتداء بمثل عليا وفضائل على رأسها الخير المطلق .

وعند علماء الاجتماع :

هى الاتجاه الذى يتركز فى تحقيق الرضا الاجتماعى طبقا للمفاهيم الخلقية .

وتقترن المثالية عند الفلاسفة وعلماء الاجتماع بالسمو الروحى أو العقلى ، وبمحاكاة المثال .

وربما دلت المثالية عندهم على محاربة الطبيعة، وعدم الاستسلام لضغوط الحياة مهما كانت طبيعتها لارتباط سمو الإنسان وخلاصه من آلامه فى الحياة عندهم بمحاربة الطبيعة والتسامى على واقعها ومتطلباتها!!

أما الواقعية :

فهى نسبة إلى الواقع،

ويقصد بها إشباع حاجات الكائن العضوى مع مراعاة التوافق مع الواقع.

– والواقعية عند الفلاسفة :

هى المذهب الذى يجعل للواقع المحسوس الاعتبار الأول، ويرى أن المفاهيم المجردة ليس لها وجود حقيقى.

وللفلاسفة نظرات مختلفة فى هذا الواقع:

* فبعضهم يرى أن الواقع هو العالم المحسوس الذى يدرك بالحواس، كما يرى ذلك أرسطو.

* وبعضهم يرى أن الواقع هو العالم الحسى المؤلف من المحدود وغير المحدود -كما يرى أفلاطون - ويقابله بهذا المعنى عالم المثل.

* وبعضهم يراه حركة سواء أكانت حركة فكر أم حركة مادة، وأصحاب هذا الرأى هم دعاة الفلسفة « الدياليكتيكية ».

- والواقعية عند علماء الاجتماع:

تقترن بالاتجاه الذى يرى أن المفاهيم المختلفة كالمجتمع والثقافة والجماعية، والقيمة... تشير إلى كيان موجود يمكن فحصه من الناحية الواقعية.

* ويقابل تلك الواقعية عندهم المذهب الأسمى الذى يتقيد بأن المعنى الكلى قائم فى عقل الفرد، ولا مقابل له فى الخارج من حيث هو كذلك.

* والواقعية فى العلوم الاجتماعية تبدو أكثر وضوحا منها فى الفلسفة، وذلك أن الواقع الاجتماعى هو الواقع المعاش الذى يتشكل من أصغر الخلايا الاجتماعية حتى أكبرها، والتوصل لكشف هذا الواقع إنما يتم من خلال الدراسات الوضعية، أو من خلال دراسة الظواهر التى يشكل تكرارها حدثا اجتماعيا معينا.

* وهذه الواقعية على أى تفسير من تفسيراتها إنما تقوم على تجاهل مطالب الروح، والعقل أحيانا، وتتحول بالإنسان فى مطالبه المادية إلى ما يقرب من الحيوان، وهذا دليل خللها واضطرابها.

وبعد:

فهذا تعريف شديد الإيجاز للمثالية والواقعية، نمهد به إلى نظرة الإسلام إلى واقع الإنسان والعمل على ترشيده.

فما موقف الإسلام من هذه المثالية وتلك الواقعية؟

ذلك ما نحاول توضيحه فيما يلى، والله الموفق.

٢ – موقف الإسلام من المثالية والواقعية

كل النظريات والمذاهب الاجتماعية أو الفلسفية أو السياسية أو الاقتصادية، عند عرضها على الإسلام ومنهجه فى الحياة، لابد أن نجد لهذا المنهج الإسلامى موقفا واضحا بل محددا منها، وذلك أن هذه النظريات والمذاهب جميعا تحاول أن تضع نمطا ما لأسلوب الحياة، والإسلام قد وضع للحياة الإنسانية منهجا متكاملا، لا تستغنى عنه البشرية فى أى زمن تعيش فيه ولا فى أى مكان تقيم به.

* ومن هنا يكون عرض هذه النظريات والمذاهب على المنهج الإسلامى للحياة توضيحا لصحة هذه النظريات أو خطئها وتحديدا لمدى ما فيها من خطأ أو صواب، لأن منهج الإسلام فى الحياة من وضع الله تعالى ووحيه لنبيه ﷺ، وتلك النظريات والمذاهب من وضع الناس وتصوراتهم البشرية، وهذه التصورات يستحيل عليها بلوغ درجة الكمال.

* وليس من الصواب – فى رأيى – ما يردده بعض المفكرين من المسلمين حين عَرْضِ نظرية أو مذهب على منهج الإسلام من قولهم: إن الإسلام وسط بين المثالية والواقعية، أو وسط بين كذا وكذا من النظريات والمذاهب، وذلك أن الإسلام منهج متفرد من بين النظريات والمذاهب كلها، ومتكامل، ومن صنع الله الذى خلق البشرية ورسم لها بمنهج الإسلام طريق الحياة الإنسانية الكريمة التى تحقق لها سعادة الدنيا والآخرة.

* إن كل نظرية أو مذهب من هذه المذاهب تعنى بجانب من حياة الإنسان أكثر من عنايتها بجانب آخر، وأحيانا على حساب جانب آخر، وذلك شأن البشر تحكمهم العواطف، وربما غلبت عليهم الأهواء مهما ادعوا العقلانية والموضوعية والحياد.

وأما المنهج الإسلامى فيوازن بين الجوانب كلها فى حياة الإنسان ولايسمح لجانب أن ينال من الاهتمام فيه أكثر مما يستحق، ولا أن يكون هذا الاهتمام على حساب جانب آخر، ذلك أنه لاتتحكم فيه أهواء؛ لأنه من صنع رب الناس الذى يريد تكريم الناس ورحمتهم وهدايتهم لما فيه خير دينهم ودنياهم.

* وموقف المنهج الإسلامى من المثالية والواقعية لابد أن يكون التوازن الذى يستهدف صالح الإنسان فى دنياه وآخرته فى ضوء المبادئ العامة التالية:

- أن الإنسان مكرم عند الله، وأنه سبحانه سخر له ما في السموات وما في الأرض جميعا لكي يكون في خدمته.

* أما التكريم ففي قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا (٧٠) ﴾ [الإسراء: ٧٠].

ومظاهر التكريم هي: حسن القوام والنطق وحرية الإرادة، ومنحنا العزة والكرامة إن أطعنا الله، وحملنا في البر على الدواب وغيرها، وفي البحر على السفن ونحوها، ورزقنا من المستلذات الطيبات وتفضيلنا على كثير من المخلوقات بالعقل والتفكير والوحي والرسل عليهم السلام.

* وأما تسخير ما في السموات والأرض لنا، فيفهم من قوله تعالى: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (١٣) ﴾ [الجاثية: ١٣].

* ومن هاتين الآيتين الكريمتين يمكن أن نستنبط قانون الحياة الإنسانية كلها، وقانون المحافظة على هذه الحياة.

- والمبدأ الثاني: أن الإنسان مطالب بأن يعمر الأرض، وأن إعمار الأرض يكون بأمور عديدة.

* بالزواج والتكاثر، وحسن رعاية الزوجة والأبناء،
* وبالتعلم والعلم والتعليم،
* وبالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر،
* وبالجهاد في سبيل الله لتكون كلمة الله هي العليا،
* وبالالتزام بمنهج الإسلام في الحياة، القائم على عبادة الله وحده، وعلى الشورى والعدل، ودفع الضرر وجلب المصلحة.

- والمبدأ الثالث: أن الإنسان مطالب بالتفكر والتدبر في ملكوت السموات والأرض ليعمل فكره وعقله من أجل أن يرتقي بحياته وبما يحيط به، ويطورها نحو الأحسن والأرضى لله تعالى، وكل توقف عن هذا التفكير والتدبر وإعمال العقل، خروج من هذا المبدأ لايجوز من مسلم.

- والمبدأ الرابع: أن الإنسان مطالب بأن يتحلى بالفضائل، ويتخلى عن الرذائل، وأن

يحسن التعامل مع الناس جميعا مسلمين وغير مسلمين، قال الله تعالى: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (١١٢) وَلا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لا تُنصَرُونَ (١١٣)﴾ [هود: ١١٢، ١١٣]

* وكلمة فاستقم كما أمرت، تعنى: التحلى بالفضائل التى أمر بها الإسلام، والتخلى عن الرذائل التى نهى عنها.

* والآيات القرآنية التى تحدد هذه الفضائل وتلك الرذائل كثيرة سوف نذكرها بالتفصيل عند حديثنا عن التربية الخلقية فى القرآن الكريم.(١)

- والمبدأ الخامس: الاعتراف بحاجات الإنسان البدنية والعمل على توفير الظروف التى يستطيع بها الإنسان أن يحقق حاجات بدنه فى ظل شرعية تحترم إنسانية الإنسان وتحترم حقوق الآخرين، ووضع لتحقيق ذلك قواعد ضابطة تحول بين الإنسان وبين الإسراف والمخيلة، كما تحول بين الإنسان وبين ما حرّم الله.

- والمبدأ السادس: أن تعامل الإنسان مع الطبيعة ليس صراعا ولا حربا، وإنما هو تعامل يسخر الطبيعة لخدمة الإنسان، فى توازن دقيق يضع كلا من الإنسان والطبيعة فى مكانه الصحيح بحفظ الكرامة للإنسان.

- والمبدأ السابع: أن منهج الإسلام قد كفل للإنسان حرياته جميعا، حرية العقيدة وحرية العبادة وحرية التعبير وحرية العمل والكسب، وسائر الحريات الضرورية للإنسان الذى كرمه الله تعالى.

* هذه المبادئ -عند الأخذ بها- تحقق للإنسان خيرى الدنيا والآخرة وتغنيه عن أى نظريات أو مذاهب تدعى قدرتها على إصلاح حياة الإنسان.

* وعندما يفقد المسلم -فى عصر من العصور وفى أى مكان من الأرض- الثقة فى هذه المبادئ، وفى أن الأخذ بها ينقذه من كل ضائقة ويحل كل إشكال، عندما يفقد هذه الثقة فيستورد نظريات ومذاهب مغايرة لمنهج الإسلام فى تنظيم الحياة، فإنه يشقى بتلك النظريات والمذاهب، يشقى دنيويا فيما يتمثل فى التبعية لأصحاب هذه النظريات والمذاهب، وفى العجز عن إنتاج مايكفيه وما يدافع به عن نفسه من عتاد وقوة، فيعيش فى تبعية سياسية وفى عجز اقتصادى، وفى تفكك اجتماعى، وخواء عقيدى، وضحالة عقلية، وتخلف

---

(١) سوف يكون ذلك فى الباب الثالث من هذا الكتاب بإذن الله تعالى.

علمى، وتراجع حضارى، وذلك هو شأن معظم بلدان العالم الإسلامى اليوم فى بدايات القرن الخامس عشر الهجرى وأخريات القرن العشرين الميلادى!!!

* وسبب ذلك الأهم - عندى - هو أن تلك النظريات والمذاهب لاتستطيع أن تستجيب لفطرة الإنسان استجابة متوازنة كما يفعل المنهج الإسلامى.

وذلك ما نوضحه فى الصفحات التالية بإذن الله تعالى.

٣ - الإسلام والفطرة البشرية

واقع الإنسان يتمثل أولا فى فطرته التى فطره الله عليها، فهو يعيش هذا الواقع ويعبر عن فطرته، أى طاقاته التى خلقها الله لنا أو خلقه بها، وهذه الفطرة بمختلف طاقاتها - التى - سنتحدث عنها بعد ذلك - يعترف الإسلام بها وبحاجاتها، ويسمح منهجه لهذه الفطرة أن تعبر عن نفسها فى ظل شرعية تحفظ لها التوازن وتحول بينها وبين الإسراف والمخيلة، ولاتبيح لها الحرمان من التعبير عن نفسها.

* ولما كانت فطرة الإنسان وطبيعته تقوم على طاقات ثلاث - هى التى يمارس من خلالها حياته الإنسانية - وهى:

الطاقة الروحية،

والطاقة العقلية،

والطاقة البدنية.

ولما كانت كل واحدة من هذه الطاقات لها متطلباتها التى ينبغى أن تتوفر لها فى ظل أى نظام أو منهج، حاولت جميع النظم والمناهج -التى عرفتها البشرية- أن توفر لكل طاقة من هذه الطاقات حاجاتها، فلم تنجح لسبب يكاد يكون وحيدا هو عجزها عن إحداث توازن بين حاجات هذه الطاقات، فكانت تلك النظم والمناهج تقع فى خطأ جسيم هو أن تستجيب لحاجة إحدى هذه الطاقات على حساب غيرها.

* وقصة ذلك معروفة فى تاريخ هذه النظريات والنظم:

وفى إشارات سريعة وجيزة إلى ذلك نقول:

- هناك من غلبوا الجانب الروحى فى الإنسان، فوفروا للروح مطالبها واحتياجاتها من رياضة تهذبها وتصفيها، ويكون ذلك بحرمانها من الإسراف فى مطالب البدن وشهواته، وبخاصة شهوتا البطن والفرج، بل قد يصل هذا التهذيب إلى حد الحرمان من بعض الحاجات، وتقوم هذه الرياضة للروح على تناول أقل قدر من احتياجات البدن، ذلك القدر

الذى يحفظ على الإنسان حياته!!![1].

– وهناك من غلبوا الجانب العقلى فى الإنسان على غيره من الجوانب، واستجابوا لحاجات العقل على حساب غيره، بل فتنوا بالعقل فأعطوه أكثر مما يستحق من الاهتمام، واعتبروه فيصلا فى الحكم على الخير والشر والناس والأشياء، وما ينفع وما يضر، بل اعتبروه فى غنى عن الوحى وما تجىء به الرسل عليهم الصلاة والسلام، بل فضله بعضهم على الوحى!![2].

– وهناك من كان همهم الاستجابة لمطالب البدن، فأولوا الطاقة البدنية مزيدا من الاهتمام على حساب الروح والعقل، وأطلقوا لهذا البدن العنان يمارس من ملذاته ما يشاء، مع تجاهل مطالب الروح والعقل!!![3].

* أما المنهج الإسلامى فى التعامل مع الفطرة البشرية، فقد جاء من عند الله تعالى، فكان ملائما لهذه الفطرة التى فطر الله الناس عليها، وملائما للحياة الإنسانية التى يعيشها الإنسان، فأعطى لكل طاقة من هذه الطاقات الثلاث –التى تمثل الفطرة البشرية أو الطبيعة الإنسانية– حقها فى التعبير عن نفسها بأن تشبع حاجاتها فى توازن وانسجام لايخل بغيرها من الطاقات.

* ولنضرب على ذلك بعض الأمثلة :

– فى مجال الطاقة الروحية :

يستجيب المنهج الإسلامى لمطالب الروح وحاجاتها لكى تظل مشرقة صافية، قادرة على حسن الاتصال بخالقها سبحانه، الذى شرفت بالانتساب إليه فهى منه سبحانه، كما يتضح ذلك من قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (٢٩) ﴾ [الحجر: ٢٩].

وقد رسم منهج الإسلام للروح طريقا واضح المعالم يوصلها إلى الله تعالى، وهو طريق ذو مراحل ومعالم، ومن معالمه ما نشير إليه فيما يلى :

* دعم إشراق الروح وصفائها عن طريق عبادة الله وحده وفق ما فرض على المسلمين أو

---

(١) أشرنا إلى بعض ذلك فى كتابنا «التربية الروحية» الحلقة الأولى من سلسلة مفردات التربية الإسلامية أو المدخل إلى التربية الإسلامية. نشر دار النشر والتوزيع الإسلامية، القاهرة ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م.

(٢) سوف نتحدث عن هذا بالتفصيل فى الحلقة الثالثة من هذه السلسلة «التربية العقلية» وهو فى الطريق إلى النشر بإذن الله تعالى.

(٣) سوف نتحدث عن هذا فى الحلقة الرابعة من هذه السلسلة: «التربية الجسمية» بإذن الله تعالى.

ندبهم إليه من: صلاة وصيام وزكاة وحج وعمرة وذكر،

* والعمل على استمرار إشراقها وصفائها، بإيجاب مراقبة الله تعالى فى كل قول أو صمت وفى كل عمل أو ترك،

* ودعوة هذه الروح إلى حب الله وحب الحق والخير والجمال، وحب الناس، وحب الخير لهم، أهلا وأرحاما، وقرابات وجيرانا، فهذا الحب جلاء للروح وتهذيب لها،

* وتوجيه الروح إلى تقوى الله وخشيته من خلال الالتزام بمنهجه، والإقبال على الله تعالى بطاعته، حتى تشعر هذه الروح بعز الطاعة، وتستشعر ذل المعصية، وطريق الطاعات أداء الفرائض وازدياد التقرب إلى الله تعالى بالنوافل،

* وتوجيه الروح إلى الرضا بقضاء الله وقدره، بل السعادة بما تجرى به المقادير، لأنها لابد كائنة، وما على الإنسان إلا أن يأخذ بالأسباب، ويحسن التوكل على الله، ومنزلة الرضاء بقضاء الله وقدره من أكرم المنازل واليقها بالمسلم الحسن الإيمان والإسلام.

* إن الروح التى يلبى لها المنهج هذه الحاجات على هذا النحو، هى التى تحسن الحياة، وتحسن الصلة بالله وبالناس والعالم الذى تعيش فيه، وتقبل على الحياة محبة للخير فيها لنفسها ولغيرها، وهى الروح التى تستطيع أن تبذر الحبّ والخير فى كل طريق تسعى فيه.

* وما يضمن لها ذلك إلا منهج الإسلام، ويقدمه لها، لا على حساب طاقة أخرى من طاقاتها.

– وفى مجال الطاقة العقلية:

يقر المنهج الإسلامى بأن العقل نعمة جليلة منحها الله للإنسان تعد من أكبر النعم، إذ ميّزه بها على كثير ممن خلق، وجعل العقل مناط التكليف أى أعفى غير العقلاء من التكاليف الشرعية كلها.

* وقد استجاب منهج الإسلام لحاجات العقل من خلال نظم شرعها للتعامل مع العقل، تربيه وتهذبه، وترشده، ونحن نشير من هذه النظم أو المبادئ إلى مايلى:

* دعوة هذا العقل إلى التفكير والتامل والتدبر فيما تقع عليه حواسّه، مما خلق الله تعالى؛ ابتداء من التفكر والتدبر فى خلق الإنسان نفسه، كما يفهم ذلك من قوله تعالى: ﴿ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ (٢١) ﴾ [الذاريات: ٢١]،

ثم التدبر فيما خلق الله فى السموات والأرض، كما يشير إلى ذلك قوله تعالى: ﴿ قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ (١٠١) ﴾ [يونس: ١٠١].

وتقرير أن العقل ما لم يهتد إلى الحق وإلى الإيمان فلا قيمة نافعة له. وإنما القيمة الحقيقية له فى التأمل والتدبر، كما يفهم ذلك من قوله سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُولِي الأَلْبَابِ (١٩٠) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (١٩١) ﴾ [آل عمران: ١٩٠، ١٩١].

* ويدعو المنهج الإسلامى العقل إلى الاستقلالية وترك التقليد، بل ينعى على المقلدين تقليدهم حتى لو كان هذا التقليد للآباء والأجداد، فإنه غير لائق بالإنسان الذى كرمه الله تعالى بالعقل. ونحن نشعر بانتقاد موقف المقلدين وبيان سوء تصرفهم فى قول الله تعالى: ﴿ بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ (٢٢) ﴾ [الزخرف: ٢٢].

وقضية «أن الإيمان عن طريق التقليد ليس بإيمان» من المسلمات فى فقه العقيدة الإسلامية، ولعلماء الإسلام فى ذلك كثير من الأدلة والبراهين.

* ويدعوه إلى التروى والتثبت والتأكد من كل أمر قبل أن يصدقه أو يكذبه فضلا عن أن يصدر عليه حكما من الأحكام، يفهم ذلك من قول الله تعالى: ﴿ وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً (٣٦) ﴾ [الإسراء: ٣٦] ومن قوله جل شانه: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ (٦) ﴾ [الحجرات: ٦].

* ويدعوه إلى التأمل والنظر فى تاريخ الأولين، ليتعظ بحال من أطاعوا منهم فنالوا رضا الله، وحال من عصوه فكانوا موضع غضبه، نفهم ذلك من قوله تعالى: ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (١١) ﴾ [الأنعام: ١١].

ومن قوله جل شانه: ﴿ أَوَ لَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (٩) ﴾ [الروم: ٩].

ومن قوله عز وجل: ﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ

الْمُكَذِّبِينَ (١٣٧) هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ (١٣٨) ﴾ [آل عمران: ١٣٧، ١٣٨].

* هذه هى الطاقة العقلية فى المنهج الإسلامى، وكيف يربيها ويحترم طبيعتها، ويجعلها تؤدى فى الحياة الدنيا وظيفتها على خير وجه، دون أن يكون فى ذلك إهمال لغيرها من الطاقات.

– وأما فى مجال الطاقة البدنية:

فإن منهج الإسلام يعترف بأن لهذا البدن مطالب واحتياجات مادية ليست بالقليلة، وليست بالتى يمكن أن تُتجاهل، حيث لا تقوم الحياة الإنسانية إلا بها، وجميع احتياجات البدن المادية يمكن أن تتحقق فى ظل المنهج الإسلامى مادامت خاضعة لعدد من المبادئ العامة التى نشير إلى بعضها فيما يلى:

* مبدأ ممارسة ما أحل الله والامتناع عما حرم:

وذلك أن حاجات البدن المتساوقة مع الفطرة هى: الطعام والشراب واللباس والمسكن والزواج، كل تلك الحاجات إذا مارسها الإنسان في إطار الحلال والحرام، فلا تثريب عليه. يفهم ذلك من قوله تعالى: ﴿ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ (٣١) ﴾ [الأعراف: ٣١]، ومن قوله سبحانه وتعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (١) ﴾ [النساء: ١].

هذا إلى جانب مما أحل الله من متع مادية هى من حاجات البدن التى لاتستقيم حياته إلا بها إذا مورست باعتدال.

وأما جانب ما حرم الله على هذا الإنسان، لما فيه من ضرر ببدنه وعقله ودينه، فقد وردت فيه آيات من القرآن الكريم نذكر منها مايلى:

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلا عَادٍ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٧٣) ﴾ [البقرة: ١٧٣]، وقال جل وعلا: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ (٣٣) ﴾ [الأعراف: ٣٣].

وأما ما حرمه الله فى العلاقات الجنسية، فقد حرم الزنا واللواط وحرم الزواج من عدد من النساء يرتبطن بعلاقات تمنع من الزواج بهن أو بإحداهن، وقد اشتملت آيتان كريمتان على ذكر هؤلاء المحرمات من النساء، قال الله تعالى:

﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالاتُكُمْ وَبَنَاتُ الأَخِ وَبَنَاتُ الأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللاَّتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللاَّتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَائِكُمُ اللاَّتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلابِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا بَيْنَ الأُخْتَيْنِ إِلاَّ مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا (٢٣) وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلاَّ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَاءَ ذَلِكُمْ أَن تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُم بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا (٢٤) ﴾ [النساء: ٢٣، ٢٤].

* ومبدأ عدم المغالاة فى التعامل مع الحلال والحرام:

وهو يقتضى ترك التشدد فى الدين أو المغالاة فيه، فإن المنبتّ لا أرضا قطع ولا ظهر أبقى، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، والمسلم عليه أن يسدد ويقارب - كما أوضحنا كل ذلك آنفا، ويقتضى الا يتساهل، ولايستهين بالصغائر، وأن يترك الشبهات، ليسلم له دينه وعرضه، ويتجنب بهذا الترك الوقوع فى الحرام.

فالمتشددون المضيقون على أنفسهم، يردعهم قول الله تبارك وتعالى: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ (٣٢) ﴾ [الأعراف: ٣٢].

والمتسيبون المتساهلون عليهم أن يتأملوا طويلا فى قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ (١٤) ﴾ [الفجر: ١٤].

وقوله تعالى: ﴿ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ (١٥) ﴾ [النور: ١٥].

وعليهم أن يتذكروا ما رواه البخارى ومسلم بسنديهما عن النعمان بن بشير رضى الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الحلال بين، وإن الحرام بين، وبينهما مشتبهات لايعلمهن كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع فى الشبهات وقع فى الحرام، كالراعى يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه، الا وإن لكل ملك حمى، الا وإن حمى الله محارمه...».

وما رواه الترمذى بسنده عن عطية بن عروة السعدى رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لايبلغ العبد أن يكون من المتقين حتى يدع ما لابأس به حذرا مما به بأس».

ومبدأ الأخذ بأسباب القوة:

فقد أعطى منهج الإسلام لهذا البدن حقه فى الأخذ بأسباب القوة، بل دعاه إلى ذلك

وحببه فيه، بل أوجبه عليه في بعض الأحيان.

* لقد حرم الإسلام على الإنسان كل ما يضر جسده أو يضعفه أو يعجزه عن أداء وظائفه، فحرم عليه الخمر والزنا واللواط وسائر الفواحش، وحرم عليه كل مسكر وكل نجس، وكل خبيث، وحرم عليه أكل الميتة و الدم ولحم الخنزير، وكل ذى ناب أو مخلب، لان كل ذلك يضر بصحة الإنسان وبدنه.

وحرم عليه الإسراف والإفراط فى مطعمه ومشربه وملبسه.

* وطالبه المنهج الإسلامي بأن يكون قويا صحيحا مباعدا عن نفسه كل أسباب الضعف والفساد، وجعل أسباب قوة البدن النظافة والطهارة والاعتدال فى كل شيء، وتعلم السباحة والرماية وكل أنواع الفروسية، وترك أسباب الترفه والتنعم، وإعداد نفسه للجهاد فى سبيل الله لتكون كلمة الله هي العليا.

* وفى هذه المعانى الداعية إلى قوة البدن وردت أحاديث نبوية شريفة كثيرة، نذكر منها مايلي:

– روى مسلم بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفى كل خير..».

– وروى الإمام أحمد بسنده ومسلم وأبو داود وابن ماجة بأسانيدهم عن عقبة بن عامر -رضى الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «الا إن القوة الرمى، الا ان القوة الرمى، الا ان القوة الرمى».

– وروى أحمد والترمذى والبيهقى بأسانيدهم عن عقبة بن عامر رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ارموا واركبوا، وان ترموا احب إلىّ من ان تركبوا، كل شيء يلهو به الرجل باطل، إلا رمى الرجل بقوسه، أو تأديبه فرسه، أو ملاعبته امرأته، فإنهم من الحق، ومن ترك الرمى بعد ما علمه فقد كفر الذى علمه».

– وروى مسلم بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «المؤمن القوى خير من المؤمن الضعيف، وفى كل خير، احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولاتعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل: لو انى فعلت كان كذا وكذا، ولكن قل: قدّر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان».

* ومبدأ احترام حاجات البدن :

فمنهج الإسلام يعترف لهذا البدن بحقوقه في التعبير عن حاجاته في ظل المبادئ التي ذكرناها آنفا، ويرفض احتقار هذه الحاجات أو حظر إشباعها، فضلا عن أن يدنسها كما تفعل بعض المناهج والنظم.

بل إن منهج الإسلام يدعو إلى التمتع بطيبات الحياة الدنيا، كما يفهم هذا من قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا ... ﴿١٤﴾ ﴾ [النحل: ١٤].

ومن قوله تعالى: ﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ [البقرة: ٥٧].

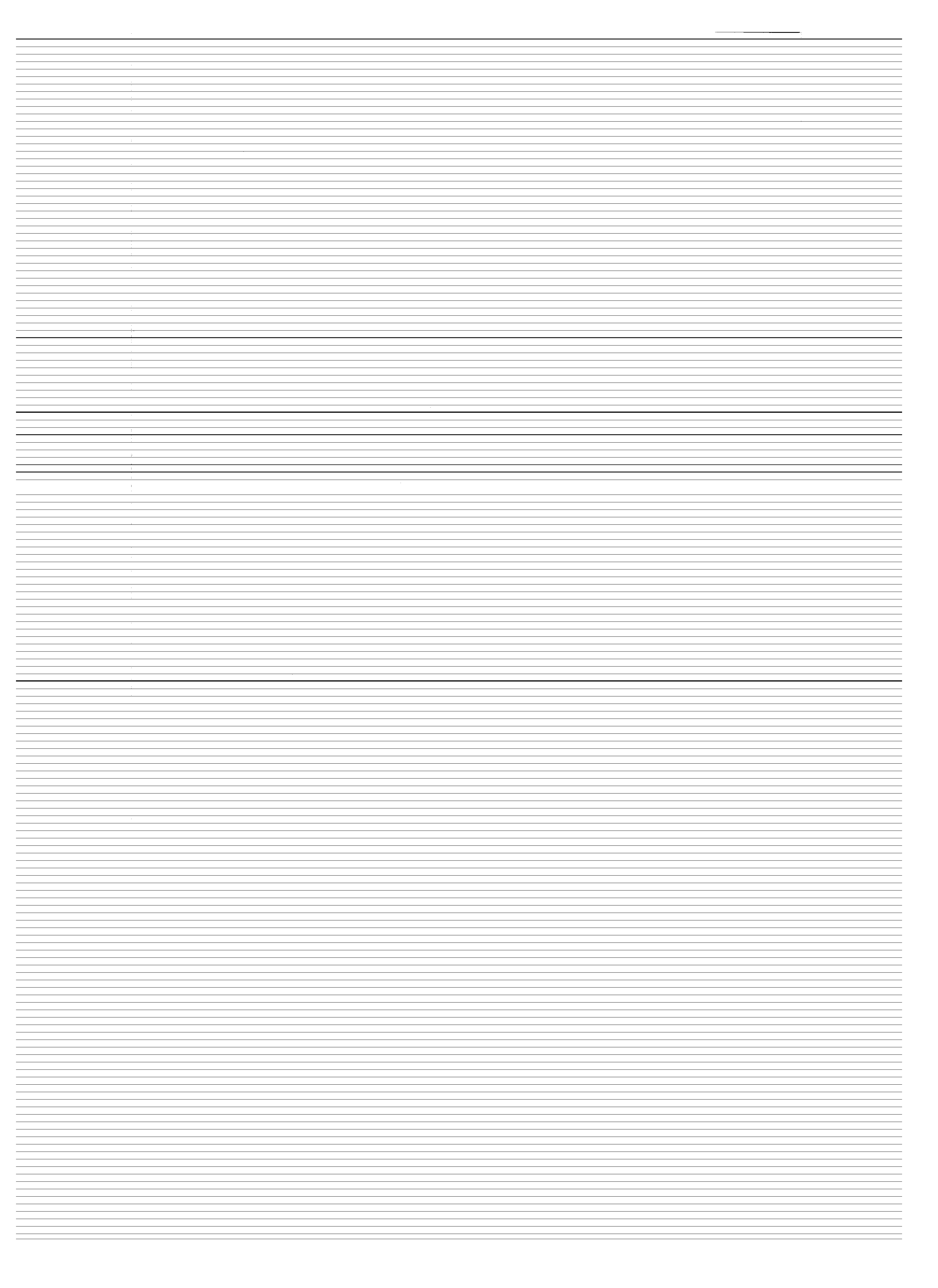
ومن قوله تعالى: ﴿ كُلُوا مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ﴿١٤١﴾ ﴾ [الأنعام: ١٤١].

ومن قوله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴿١٥﴾ ﴾ [الملك: ١٥].

ومن قوله تعالى: ﴿ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُم مُّلَاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٢٣﴾ ﴾ [البقرة: ٢٢٣].

– وروى الإمام مسلم بسنده عن أبى ذر رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أو ليس قد جعل الله لكم ما تصدقون به؟ إن بكل تسبيحة صدقة، وبكل تكبيرة صدقة، وبكل تحميدة صدقة، وبكل تهليلة صدقة، وأمر بالمعروف صدقة، ونهى عن المنكر صدقة، وفي بضع أحدكم صدقة، قالوا يارسول الله: أيأتى أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟ قال: أرأيتم لو وضعها فى الحرام، أليس يكون عليه وزر؟ فكذلك إذا وضعها فى الحلال يكون له أجر».

وبعد: فتلك هى الواقعية التى يعترف بها الإسلام ومنهجه للإنسان، يلبى حاجات الإنسان جميعها فى إطار الشرعية التى أوضح المنهج الإسلامى حدودها ومعالمها.



الفصل الرابع

التربية الخلقية إلزام والتزام، ومسئولية وجزاء

ويتناول :

١ - الإلزام والالتزام.

٢ - المسئولية والجزاء.

التربية الخلقية إلزام والتزام ومسؤولية وجزاء

تربية الإنسان تربية خلقية تقوم على تحلّيه بمكارم الاخلاق وتخليه عن مساوئها هي من اهم الضمانات التى كفلها المنهج الإسلامى لكى يعيش الفرد فى المجتمع حياة آمنة مستقرة، تحقق له، بل ولسواه من الناس رضا عن النفس ورضا عن الناس الذين يعايشهم إذا كانوا على مستوى التحلى بالفضائل والتخلى عن الرذائل.

* وبلوغ الإنسان درجة الرضا عن نفسه وهو متحل بالفضائل متخل عن الرذائل، من أهم الأسباب التى تجعله يحب العمل، ويحب الإيجابية فى الحياة، وينتظر ذلك من غيره من الناس.

* والمجتمع الذى تشيع فيه القيم الخلقية الفاضلة مجتمع قادر على أن يحقق أهدافا اجتماعية كثيرة منها ما نشير إليه فيما يلى:

- محاصرة الجريمة بكافة أنواعها:

وذلك ان الجريمة والانحراف لابد ان يكون السبب فيهما تنكب للقيم الخلقية الفاضلة، إذ لو كانت هذه القيم قائمة بنفس المجرم أو المنحرف لمنعته عن ممارسة الجريمة أو الانحراف، فالقيم الخلقية الفاضلة عندما تسود مجتمعا من المجتمعات تعمل وحدها على تقليص الجريمة وتقليل عدد المجرمين، وهذا وحده - اى دون الوصول إلى منع الجريمة والانحراف منعا مطلقا - يكفى لكى يعيش المجتمع حياة آمنة.

- والتشجيع على التحلى بالفضائل.

وذلك من خلال خطين اساسيين فى منهج الإسلام لمقاومة الشر والأشرار، ومجازاة الخير وفاعليه، وهما:

- الخط الأول:

تصريح النصوص الإسلامية بإثابة أصحاب القيم الخلقية الفاضلة وفاعلي الخير الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، كما يفهم ذلك من قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً (٣٠) أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الأَرَائِكِ

نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا (٣١) ﴾ [الكهف: ٣٠، ٣١]

وقوله جل شأنه في المتمسكين بالقيم الخلقية الفاضلة وجزائهم عند الله تعالى: ﴿ التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (١١٢) ﴾ [التوبة: ١١٢]

وهو خط يشجع على التحلى بالفضيلة.

- **والخط الثاني:**

تصريح النصوص الإسلامية بعقاب المجرمين والمنحرفين في الدنيا بعقوبات بدنية رادعة هي الحدود، كحد الزنا وحد القذف، وحد السرقة وحد الحرابة وحد شرب الخمر.

والذين يرتكبون الجريمة ولا تنالهم العقوبات الدنيوية لسبب من الأسباب، ينتظرهم عذاب الله في الآخرة.

يفهم ذلك من قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لا يَمُوتُ فِيهَا وَلا يَحْيَىٰ (٧٤) ﴾ [طه: ٧٤]

ومن قوله تعالى: ﴿ وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَٰذَا الْكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا (٤٩) ﴾ [الكهف: ٤٩]

وكلا الخطين تربية خلقية تشجع على التحلي بالفضائل والتخلي عن الرذائل، والنصوص الإسلامية تعد هذا بأحسن الجزاء وتوقع على ذاك العقوبات البدنية في الدنيا، وتوعده إذا افلت من هذه العقوبات.

* إن التربية الخلقية في الإسلام ليست موضوعا تجريديا وإنما هي أخلاق واقعية يمارسها الإنسان على وجهها الصحيح فيحقق لنفسه ولمجتمعه الأمن والاستقرار أو أن ينحرف عنها فيتسبب لنفسه ولمجتمعه في مزيد من القلق والاضطراب في الدنيا ويستحق عليه العقاب في الآخرة.

والتربية الخلقية في الإسلام إلزام والتزام، كما أنها مسؤولية وجزاء، وهذا ما نأمل أن نوضحه في هذا الفصل من الكتاب والله المستعان.

١- الإلزام والالتزام

الإلزام: مصدر للفعل الزم، والزمه أى أوجب عليه.

والإلزام في المعارف الإسلامية ومن خلال وروده في القرآن الكريم يدل علي نوعين من الإلزام:

الأول: إلزام بالتسخير من الله تعالى للإنسان أو من الإنسان لغيره من الناس.

والآخر: الإلزام بالحكم أو بالأمر.

* والإلزام أساس ركين ثابت في التربية الخلقية، إذ لا أثر للأخلاق ما لم يكن هناك إلزام بقيمها، لأن هذا الإلزام هو الذي يدفع الناس إلى العمل بهذه الأخلاق.

* ولهذا الإلزام مصادر ينبع منها:

- فقد يكون هذا الإلزام صادراً من سلطة خارجية بالنسبة للإنسان،

- وقد يكون صادرا من ذات الإنسان فيكون مصدره ذاتيا.

* وليس هناك خلاف بين الدين والفلسفة في هذين المصدرين وإنما الخلاف في تحديد المصدر الخارجي منهما.

* حيث ترى الفلسفة أن المصدر الخارجي للإلزام هو الجماعة أو المجتمع.

* ويرى علماء الدين أن المصدر الخارجي للإلزام هو الدين.

- وكذلك يختلف الفلاسفة فيما بينهم حول المصدر الذاتي للإلزام.

* فيرى بعضهم أن مصدر للإلزام هو العقل،

* ويرى بعضهم أن المصدر هو الوجدان أو الحاسة الخلقية.

* ويرى بعضهم أن مصدر للإلزام هو دافع المنفعة والحصول على اللذة، والابتعاد عن أسباب الألم.

- ومصدر الإلزام الخلقي وفق شريعة الإسلام ومنهجه هو الوحي الذي أوحاه الله تعالى إلى خاتم انبيائه ورسله محمد ﷺ، من القرآن الكريم والسنة النبوية التي شرحته وفصلته.

ـ فهذا الوحى الكريم تضمن نظامًا أخلاقيًا كاملا ، يكفل للإنسان حياة إنسانية راشدة ، ويضمن له رضا الله تعالى .

وهذا النظام الأخلاقى سوف نوضح مفرداته فى هذا الكتاب إذا أذن الله وأعان(١) .

* وعند التأمل فى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة نجد أنهما وإن كانا المصدر الأساسى للإلزام إلا أن الجماعة أو المجتمع أو الحكومة المسلمة تعد مصدراً ثانيًا للإلزام ، وذلك أن الجماعة بما يحكمها من نظام وقواعد وقيم خلقية فى الاجتماع والسياسة والاقتصاد وغيرها ، تعد سلطة خارجية تلتزم بالوحى وتلزم به الناس ، والوحى يطالب بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، ويطالب بحب الناس وحب الخير لهم ، وينهاهم عن الشر .

ـ والجماعة أو الحكومة المسلمة مسئولة أمام الله وأمام الناس الذين اختاروا رئيسها عن وقوع أى خلل أخلاقى فى المجتمع ، لأن الراعى وهو الحاكم مسئول عن رعيته ، مسئول أن يقيمها على الجادة وعلى الصراط المستقيم صراط الله .

* المجتمع المسلم حكامًا ومحكومين مطالبون بأن يقاوموا كل انحراف أخلاقى ، ويحاصروا صاحبه ، بل الحكومة مطالبة أن تعاقبه بإقامة حد الله عليه إن ارتكب جريمة تستحق حدا ، أو أن تعزره إن ارتكب جريمة لا حدٌ فيها .

* والشريعة الإسلامية تعتبر كل إنسان مسئولاً عن نفسه وعمن يلى ، فهو بذلك مصدر للإلزام ، فعليه أن يلزم نفسه ومن يلى بكل ما أمر به الإسلام وأن ينتهى ومن يلى عن كل ما نهى عنه الإسلام دون رقابة من سلطة خارجية عن ذاته ، وذلك أن الإنسان على نفسه بصير ، كما قال الله تعالى : ﴿ بَلِ الْإِنسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ (١٤) وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ (١٥) ﴾ [القيامة : ١٤ ، ١٥] .

* وفى الوقت نفسه فإن الشريعة تشترط فى هذا الإنسان المسئول أن يكون كامل الأهلية من بلوغ وعقل و . . . حتى يكون مكلفًا ، ولا ينكر المنهج الإسلامى أن النفع الدنيوى والأخروى ، أى الحصول على سعادة الدنيا والآخرة ، أحد المصادر التى تلزم الإنسان بالقيم الخلقية التى جاء بها الإسلام . هذا عن الإلزام .

وأما الالتزام :

فهو مصدر للفعل التزم ، بمعنى أوجب على نفسه ، وتعهّد

(١) سيكون ذلك فى الباب الثالث من هذا الكتاب بإذن الله تعالى .

والالتزام فى مجال التربية الخلقية الإسلامية هو أن يلتزم الإنسان بما ألزمته به تلك المصادر، سواء أكانت خارجة عن ذاته كالوحى أو نابعة من ذاته ، بمعنى أنه أوجبها على نفسه .

* وهذا الالتزام لا ينبغى أن يوجبه المسلم على نفسه بشكل آلىّ جامد ، وإنما يجب أن يصاحبه شعور عميق بأن فى هذا الالتزام طاعة لله ورسوله ، وتقربًا إلى الله تعالى بما يحب من أخلاق ، وليس نتيجة لخوف من سلطة تحمله على الالتزام ، وإنما يحس المسلم الملتزم بأخلاق الإسلام أنه شرف له عند الله وعند الناس وعند نفسه أن يقبل باختياره وبملء إرادته على هذا الالتزام .

* كما ينبغى أن يحرك المسلم إلى الالتزام بأخلاق الإسلام إيمانه بالله واستجابته لما دعاه إليه الرسول ﷺ ، وليس لمجرد تحقيق مصلحة دنيوية ـ وإن كان الالتزام بخلق الإسلام سوف يحقق هذه المصلحة على وجه القطع ـ فضلاً عن المصلحة الأخروية .

* كما لا ينبغى للمسلم أن يتصور أن الالتزام بأخلاق الإسلام هو الاستجابة لداعى العقل أو داعى العاطفة ـ وإن كان هذا الالتزام لن يتناقض بحال مع العقل السليم ولا مع العاطفة المستبصرة الهادئة ـ وإنما هو استجابة لما أمر الله به وانتهاء عما نهى عنه .

* ومنهج الإسلام حين أوجب الالتزام بالأخلاق الفاضلة التى تحقق لصاحبها صالح دنياه وأخراه ، فإنه علمه أن لهذه الأخلاق دعامتين أساسيتين هما :

ـ النصوص الإسلامية من القرآن الكريم والسنة النبوية ،

ـ والإنسان المسلم ذو القلب النقى الذى يدفعه إلى فعل الخير .

ولا يغنى النص مادام لا يجد من يأخذ به ويطبقه .

كما لا يغنى الإنسان ذو القلب النقى إذا لم يجد وحيا يوجهه .

ومعنى ذلك أن النص الإسلامى والفرد المسلم الملتزم بهذا النص هما معًا الضمان الصحيح لسيادة القيم الخلقية الفاضلة فى المجتمع المسلم ، ومن هنا كان للتربية الخلقية فى الإسلام أهمية قصوى فى أن تمهد للنصوص الإسلامية طريقها إلى التطبيق ، وأن تمهد للفرد المسلم طريقه إلى الامتثال ، والالتزام .

* ولا تتوقف معرفة القيم الخلقية الفاضلة أو الرذيلة فى فقه الإسلام على العقل أو العرف

أو المنفعة ، وإنما حسمها المنهج الإسلامى حسما لا يحتاج معه احد إلى تأويل فضلاً عن تردد أو ارتياب ، وذلك حين جعل مهمة الرسول ﷺ واضحة بيّنة فى خطوط لا خلاف عليها وهى :

- الأمر بالمعروف أى الخير ،
- والنهى عن المنكر أى الشر ،
- وتحليل الطيبات أى إباحتها ،
- وتحريم الخبائث أى حظر ممارستها ،
- وإزالة الحرج والمتاعب عن الناس .

وفى الأخذ بهذه الخطوط الرئيسية فلاح الدنيا والآخرة ، يفهم ذلك من قول الله تبارك وتعالى : ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٥٧) ﴾ [الأعراف : ١٥٧] .

* وزاد منهج الإسلام هذه القضية حسماً بأن جعل الحلال بينا والحرام بينا ، وأخبر أن بين الحلال والحرام أموراً متشابهة لا يعلم حقيقتها إلا قلة من الناس ، وطالب المسلمين أن يتجنبوا هذه الأمور المشتبهات خشية الوقوع فى الحرام ورغبة فى الاستبراء للدين والعرض ، وخوفاً من الوقوع فى محارم الله تعالى ، واعتمد فى الاستجابة لذلك على قلب المؤمن وإيمانه .

- يفهم ذلك مما رواه البخارى بسنده عن النعمان بن بشير رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمها كثير من الناس ، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لعرضه ودينه ، ومن وقع فى الشبهات وقع فى الحرام ، كراع يرعى حول الحمى يوشك أن يواقعه ، ألا وإن لكل ملك حمى ، ألا وإن حمى الله تعالى فى أرضه محارمه ، ألا وإن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا وهى القلب » .

- ومما رواه الترمذى بسنده عن الحسن رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « دع ما يريبك إلى ما لايريبك ، فإن الصدق طمأنينة والكذب ريبة » .

- ومما رواه مسلم بسنده عن النواس بن سمعان رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « البر حسن الخلق ، والإثم ما حاك فى صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس » .

- وما رواه الطبرانى فى الكبير بسنده عن أبى أمامة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ماحاك فى صدرك فدعه » .

* وخلاصة هذه النصوص الكريمة من الكتاب والسنة هى تقرير حقيقة أساسية فى الالتزام بأخلاق الإسلام وهى : أن الالتزام نابع من النصوص الإسلامية ليستقر فى قلب المؤمن إيمانا ثم يخرج إلى الواقع أخلاقا وسلوكًا .

وبعد : فإن هناك حقائق أحب أن أذكر بها فى مجال فقه الإلزام والالتزام ، ليكون المسلم على بينة من أمره ، وتلك الحقائق هى :

١ - حدود الإلزام فى الإسلام عميقة تشمل كل تعامل فى الحياة ، سواء أكان تعاملا مع الله ، أم كان تعاملا مع النفس ، أم كان تعاملا مع الناس ، أم كان تعاملا مع الشيطان وقوى الشر ، أم كان تعاملا مع الأعداء .

بمعنى أن الإسلام يلزم بقيم خلقية معينة فى كل هذه التعاملات .

٢ - وحدود الإلزام فى الإسلام فسيحة وعميقة أيضا فيما يتصل بالإنسان المكرم عند الله الذى سخر له ما فى السموات والأرض ، بحيث تتناول كل جانب من جوانب شخصيته كالجانب الروحى أو الخلقى أو العقلى أو البدنى أو الدينى أو الاجتماعى أو السياسى أو الاقتصادى أو الجهادى أو الجمالى .

بمعنى أن يخضع كل جانب من هذه الجوانب لمنهج الإسلام فى الأخلاق ، وبمعنى وجوب خضوع هذه الجوانب كلها للمنهج إذ لا يجدى خضوع بعضها للمنهج دون بعض ، فإن الإنسان كل متكامل .

٣ - وأن هذه الإلزام بهذا العمق وذلك الشمول ، ليس فيه حرج أو مشقة على الملتزم به ، فالمنهج الإسلامى من عند الله ، والله تعالى يقول : ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ [الحج : ٧٨] ويقول : ﴿ مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ (٢) ﴾ [طه : ٢] ، ويقول : ﴿ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا ﴾ [البقرة : ٢٨٦] .

والرسول ﷺ يقول فيما رواه مسلم بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ذرونى ما تركتكم ، فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم

واختلافهم على أنبيائهم ، فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم ، وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه ».

٤ - ولا أثر للإلزام في الإنسان ولا في المجتمع ما لم يكن معه التزام .

فالله تبارك وتعالى يأمر وينهى ليصلح دين الإنسان ودنياه. ومهما كثرت الأوامر والنواهي، فلا أثر لها ما لم تجد مؤمنًا يلتزم بها وينفذها ، عندئذ فقط يسعد الإنسان ويسعد المجتمع الذي يعيش فيه سعادة الدنياوالآخرة .

٥ - وهذا الإلزام الذي يجب أن يصاحبه التزام هو الأصل العام في التكاليف الشرعية كلها التي يطالب بها كل مكلف استجمع أهلية التكليف .

ويستثنى من هذا التكليف أو من هذا الإلزام والالتزام أصحاب الأعذار وهم : كل عاجز وكل ضعيف وكل زَمِن ، فهؤلاء جميعًا ومن في حكمهم أعفوا من التكاليف الشرعية ، حتى لو كانت جهادًا في سبيل الله ودفعًا لعدو معتد ، يفهم ذلك من قول الله تعالى: ﴿ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ ﴾ [الفتح:١٧] .

٦ - ومن الحقائق المؤكدة في مجال الإلزام والالتزام أنه لا وزن ولا قيمة للأخلاق مهما كانت فاضلة ما لم تدخل في حيز التطبيق وتصبح عملاً وسلوكًا في التعامل مع الحياة ومن فيها وما فيها .

٧ - وأن المسلم الملتزم هو الناجي من عذاب الله يوم القيامة ، وهو بهذا الالتزام قادر على أن يشق طريقه في الحياة الدنيا آمنا مطمئنًا ، يستطيع بذلك أن يجعل الحياة سعيدة له ولغيره من الناس ، مرضية لله تعالى .

٢ - المسئولية والجزاء

التربية الخلقية في الإسلام - كما رأينا آنفًا - إلزام والتزام ، ونحاول هنا أن نوضح كيف تكون مسئولية وجزاءً ، سائلين الله تعالى التوفيق والسداد .

* تبدو الصلة بين التربية الخلقية والمسئولية والجزاء واضحة لكل ذى تأمل ، بسبب أن الالتزام الأخلاقى عمل يقوم على الإحساس بالمسئولية ، ونود أن نتحدث في هذا المجال عن عدد من النقاط فى هذه المسئولية ، وهى :

مفهوم المسئولية ،

وشروط تحمل الإنسان لها ،

وأبعادها ، وأسباب مشروعيتها،

وجزاؤها الدنيوى والأخروى،

ومتى تزول ؟

سائلين الله تعالى التوفيق .

* **مفهوم المسئولية :**

تعنى المسئولية أن يتحمل الإنسان نتائج ما يمارسه من :

قول أو صمت ،

وعمل أو امتناع عن العمل ،

يتحمل نتائج ذلك أمام الله أولاً ، وأمام نفسه وأمام المجتمع الذى يعيش فيه ، وتلك النتائج التى يتحملها قد تكون ثوابًا عند الله تعالى وقد تكون عقابًا ، وقد تكون أمام النفس سرورًا أو ألمًا ، وتكون أمام المجتمع ثوابًا أو عقابًا كذلك .

* **شروط تحمل المسئولية :**

من رحمة الله تعالى بالإنسان ، ومنْ بالغ حكمته سبحانه وتعالى أن جعل لهذه المسئولية أهلية ، لا يتحمل نتائجها إلا من استوفى تلك الأهلية ، إقرارًا لعدله سبحانه وتعالى برفع المسئولية عمن ليس أهلا لها .

* ومن شروط تحمل النتائج لهذه المسئولية ما اتفق عليه العلماء فيما يلى :

١ ـ ان يكون الإنسان قد بلغ حدَّ التكليف رجلاً كان أو امرأة ، بأن غادر مرحلة الطفولة والصبا فبلغ الحلم إن كان رجلاً، أو حاضت البنت فبلغت بذلك مبلغ النساء،

٢ ـ وان يكون عاقلا ، أى مدركا لأقواله وأعماله ، ومستوعبًا لنتائج هذه الأقوال والأعمال ، فيما يعود عليه أو على غيره من الناس من آثار،

٣ ـ وان يكون حر الإرادة مختاراً لما يقول أو يعمل ، اى غير مكره على شيء من ذلك ،

٤ ـ وان تكون له قدرة على ممارسة القول أو العمل .

إذا توفرت هذه الشروط امكن للإنسان ان يكون مسئولا اى ملتزمًا بمنهج الله ونظامه فى هذه الحياة الدنيا(١) . وعليه عندئذ ان يتحمل نتائج مسئوليته امام الله وامام نفسه وامام المجتمع الذى يعيش فيه أيا كانت هذه النتائج ، وبغير هذا التحمل لا يكون نظام للمجتمع ولا امن ولا استقرار .

* **أبعاد هذه المسئولية :**

تتركز هذه المسئولية فى الإنسان ، ولكنها تتعدد امامه فتشمل ذاته ومن يلى ، وتصل إلى مسئوليته عن المجتمع الذى يعيش فيه وعن الإسلام الذى يدين به .

ولكى نوضح ذلك نشير إلى ما يلى :

ـ اما الإنسان نفسه :

فإن مسئوليته تتناول كل ما يقوم به من عمل طوال حياته : ماذا قال ؟ وماذا عمل ؟ وماذا اكل أو شرب ؟ وماذا لبس ؟ وماذا كسب وماذا أنفق ؟ وماذا علم ؟ وماذا علَّم ؟ وماذا عمل ؟ إنه مسئول عن كل ذلك ومحاسب عليه أمام الله يوم القيامة .

روى الترمذى بسنده عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تزول قدما ابن آدم يوم القيامة من عند ربه حتى يسأل عن خمس :

عن عمره فيما أفناه ؟

وعن شبابه فيما أبلاه ؟

(١) وفى هذه الشروط توسع فى كثير من كتب الفقه الإسلامى لمن أراد .

وعن ماله من أين اكتسبه ؟

وفيم أنفقه ؟

وماذا عَمِلَ فيما عَلِم ؟».

- والمسلم مسئول عمّن يلى أمره :

يتولى المسلم أمر غيره من أسرته : زوجه وأبنائه ، وصغير أو يتيم يرعاه ، وأقارب وأرحام يعيشون فى كنفه ممن تجب عليه نفقتهم .

ثبتت هذه المسئولية بالسنة النبوية المطهرة فى أكثر من حديث نبوى .

روى البخارى بسنده عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ، فالإمام راع ومسئول عن رعيته ، والرجل راع فى أهله وهو مسئول عن رعيته ، والمرأة راعية فى بيت زوجها وهى مسئولة عن رعيتها ، والخادم راع فى مال سيده وهو مسئول عن رعيته ، والرجل راع فى مال أبيه وهو مسئول عن رعيته ، فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته » .

والآية الكريمة الأم فى هذا الباب هى قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ... ﴾ [التحريم : ٦] .

- والمسلم مسئول عن غيره ممن ليسوا فى ولايته :

وذلك من خلال مسئوليته عن الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، والتعاون على البر والتقوى .

كل ذلك ثابت بالنصوص الإسلامية .

قال الله تعالى : ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ... ﴾ [النحل : ١٢٥] .

وقال جل وعلا : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ (١٩٩) ﴾ [الأعراف ١٩٩] .

وروى مسلم بسنده عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ما من نبى بعثه الله فى أمة إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره ، ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف ، يقولون ما لا يفعلون ، ويفعلون ما لا يؤمرون ، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بلسانه فهو

مؤمن، ليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل ».

وروى البخارى بسنده عن النعمان بن بشير رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال : « مثل القائم فى حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة ، فصار بعضهم اعلاها ، وبعضهم أسفلها ، وكان الذين فى أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم ، فقالوا : لو أنا خرقنا فى نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا ، فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعًا وإن اخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعًا ».

*** أما أسباب مشروعية المسئولية :**

فإنها شرعت لتامين الفرد والمجتمع جميعًا ، وذلك ان الفرد المسئول عن نفسه فقط ، قد يسيىء إليه اى فرد آخر يمارس اى نوع من الفساد فى المجتمع ، إذ كل ما فى المجتمع من خير أو شر ، إنما ينعكس على الفرد إيجابًا وسلبًا ، فكان لابد من مسئولية كل فرد لتامين المجتمع كله ، بل إن المجتمع نفسه لا يعفى من المسئولية عن الفساد الذى يقع فيه .

- ومن المسلمات فى فقه الإسلام ومنهجه ان الفرد الساكت عن الفساد والمفسدين الذى لا يقاوم ذلك وهو قادر عليه يعاقب عقابًا دنيويًا بان يصيبه من ذلك الشر ما يصيبه ، فضلاً عن عقوبة اخرى يفرضها عليه المجتمع وهى عقوبة الساكت أو المتستر على الأشرار ، فضلاً عن عقوبة اخروية يوم القيامة .

- يفهم ذلك كله من قول الله تعالى : ﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٢٥) ﴾ [الأنفال : ٢٥] . إذ المعنى ان الضرر لا يقتصر على إصابة الذين ظلموا وحدهم بل يعم الصالحين كذلك لانهم لم يمنعوا هذا الضرر ولم يقاوموه .

وروى أبو داود بسنده عن العرس بن عميرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : « إذا عملت الخطيئة فى الأرض كان من شهدها فكرهها كمن غاب عنها ، ومن غاب عنها فرضيها كان كمن شهدها ».

*** جزاء المسئولية فى الدنيا والآخرة :**

مع تقرير المسئولية - كما أوضحنا ذلك آنفًا ودللنا عليه - ننظر هنا فى تقرير الجزاء ، فنذكر بقول الله تعالى : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ (٣٨) إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ (٣٩) ﴾ [المدثر : ٣٨، ٣٩] . فهذه الآية الكريمة تقرر ان كل إنسان رهن بكسبه عند الله تعالى غير مفكوك ، إلا أصحاب اليمين فإنهم فكوا رقابهم من الرهن بأعمالهم الصالحة والتزامهم بما

امرهم الله به ، واجتنابهم لما نهاهم عنه ، كما جاء هذا المعنى فى قوله تعالى : ﴿ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ (٢١) ﴾ [الطور : ٢١] .

وهذا فى جانب الاعمال السيئة التى ترهن صاحبها فى العذاب .

واما الاعمال الصالحة فإن الجزاء عليها مضاعف ومستمر على مدى الزمان حتى بعد وفاة من عمل عملاً صالحًا ، ومعنى هذا ان المسئولية فى الإسلام تمتد لتشمل من عمل صالحا فى حياته وتمتد له الحسنات بعد مماته حينما يحتذى حذوه فى العمل الصالح اى واحد من الناس، تلك الحقيقة تؤكد سنة النبى ﷺ .

فقد روى مسلم بسنده عن جرير بن عبد الله رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ سَنَّ فى الإسلام سنة حسنة فله اجرها واجر من عمل بها من بعده ، من غير ان ينقص من أجرهم شيء ، ومَنْ سَنَّ فى الإسلام سنة سيئة فعليه وزرها ، ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء » ورواه أحمد والترمذى والنسائى وابن ماجة .

وروى أحمد بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ دعا إلى هدى كان له من الاجر مثل أجور من تبعه ، لا ينقص ذلك من اجورهم شيئًا ، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئًا » ورواه مسلم وابو داود والترمذى والنسائى وابن ماجة(١) .

*** متى تزول المسئولية عن الإنسان ؟**

من رحمة الله بعباده ان أعفى بعضهم من المسئولية وبالتالى اعفاهم من جزائها ، لان عدله سبحانه مطلق ، وما هو بظلام للعبيد ، وهو الذى حرَّم الظلم على نفسه وجعله بين عباده حرامًا ، ونادى عليهم : الا تظالموا .

* ليس الإنسان مسئولاً عن قول أو عمل أُكره عليه .
* وليس مسئولاً عن قول أو عمل نسى ان يقوم به .
* وليس مسئولاً عن قول أو عمل اخطأ فيه .

فقد جاء فى النصوص الإسلامية مايثبت صحة ذلك .

قال الله تعالى : ﴿ مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِن بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ .... ﴾ [النحل : ١٠٦] .

(١) من اراد التوسع فى فقه المسئولية فلينظر فى كتابنا فقه المسئولية فى الإسلام : نشر دار التوزيع والنشر الإسلامية القاهرة ١٤١٥هـ-١٩٩٥م .

والمعنى : ان الذين ينطقون بالكفر بعد الإيمان عليهم غضب من الله إلا من أكره على النطق بكلمة الكفر وقلبه عامر بالإيمان فلا إثم عليه ولا حرج .

وقال الله تعالى على لسان المؤمنين: ﴿ رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا .. ﴾ [البقرة: ٢٨٦] .

والمعنى : ان الله تعالى لا يحاسب على الخطأ والنسيان، وقال جل شأنه : ﴿ .. وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ وَلَكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝ ﴾ [الأحزاب: ٥] .

وجمعت هذه الثلاثة الخطأ والنسيان والإكراه في حديث نبوى واحد قرر رفع الحرج عن المخطئ والناسى والمكره ، فقد روى الطبرانى فى الكبير بسنده عن ثوبان[1] رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : « رفع عن أمتى الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه » .

* وليس مسئولا عن قوله أو عمله من كان نائمًا وهو يقول أو يعمل أثناء نومه،

* وليس مسئولا عن قوله أو عمله من كان صبيا لم يبلغ الحلم ،

* وليس مسئولا عن قوله أو عمله من كان لا يعقل ما يقول أو يعمل .

ثبت ذلك بالسنة النبوية ، فقد روى أبو داود بسنده عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « رفع القلم عن ثلاثة :

عن النائم حتى يستيقظ،

وعن الصبى حتى يشب ،

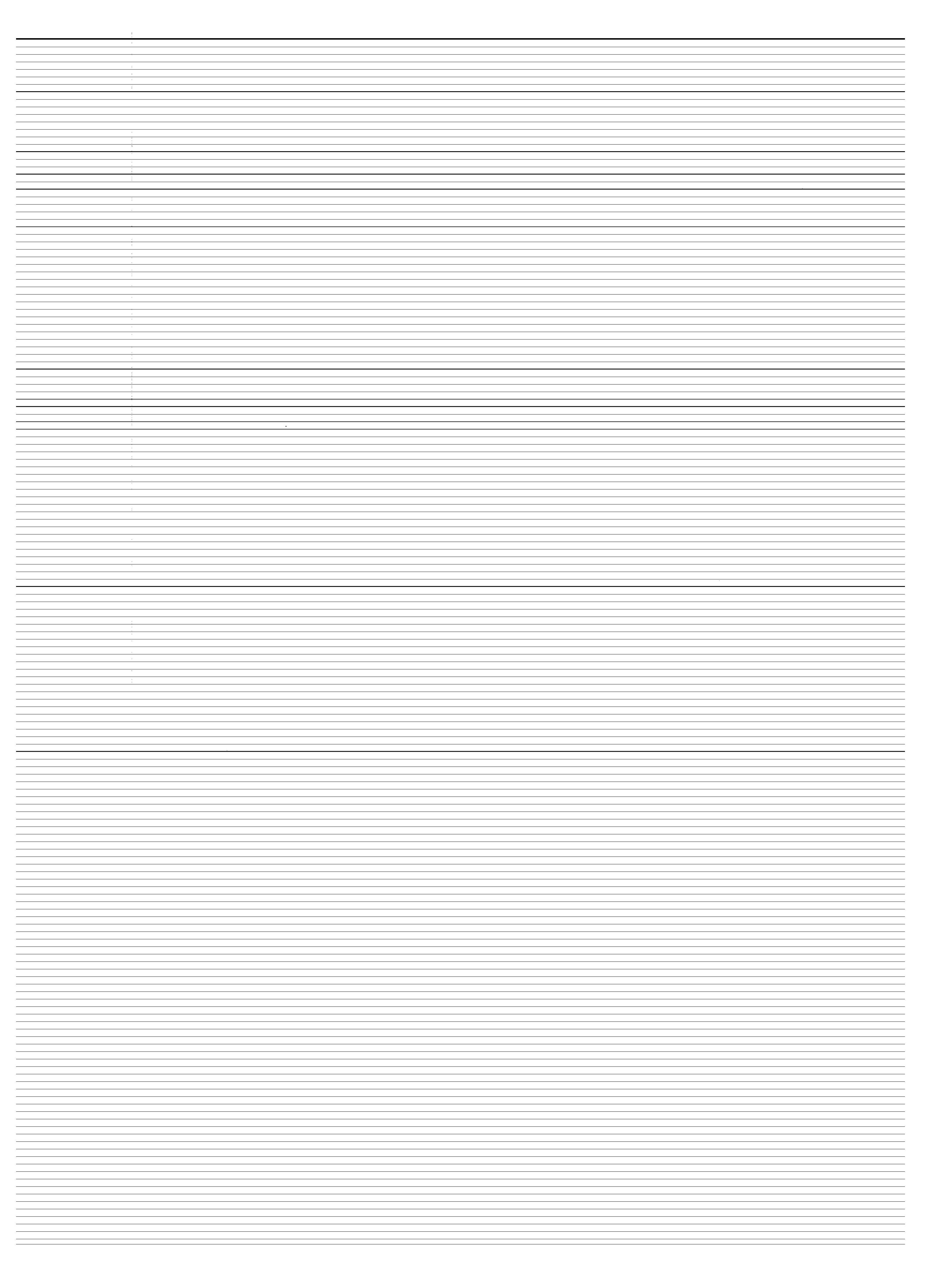
وعن المعتوه حتى يعقل » . ورواه الترمذى وابن ماجة والحاكم فى مستدركه بأسانيدهم عن على بن أبى طالب رضى الله عنه .

وبعد :

فقد اتضح لنا أن التربية الخلقية فى الإسلام إلزام والتزام ، ومسئولية وجزاء ، والحمد لله تعالى .

---

(١) هو ثوبان بن بُجْدُد الهاشمى مولى رسول الله ﷺ ، يكنى أبا عبد الرحمن ، خدم رسول الله ﷺ طوال حياته، ثم تحول إلى الرملة ثم حمص وبها مات سنة أربع وخمسين من الهجرة، وفى تاريخه أنه روى عن النبى ﷺ : من يتكفل لى أن لا يسأل الناس وأتكفل له بالجنة ؟ » فقال ثوبان : أنا . فكان لا يسأل أحدًا شيئًا .



الفصل الخامس

التربية الخلقية فى الإسلام إسعاد للبشرية
كلها فى معاشها ومعادها

ويتناول :

١ - أهداف التربية الخلقية فى الإسلام .

٢ - قيمة الحياة الدنيا فى المنهج الإسلامى .

٣ - أثر التربية الخلقية الإسلامية .

٤ - القرآن الكريم والتحلى بالفضائل والتخلى عن الرذائل .

التربية الخلقية فى الإسلام
إسعاد للبشرية كلها فى معاشها ومعادها

لا يسعد الإنسان فى معاشه ومعاده - كما يقرر ذلك الدين الخاتم - إلا إذا عبد الله كما شرع ، فحقق بتلك العبادة الهدف من خلق الله تعالى له ، كما يفهم ذلك من قوله تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ (٥٦) ﴾ [الذاريات : ٥٦] .

ولا تستقيم للإنسان سعادة فى الدنيا والآخرة وهو يعبد الله وحده لا شريك له إلا إذا حقق فى حياته الدنيا أمرين على جانب كبير من الأهمية هما :

* الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره،

* واتباع المنهج الإسلامى فى الحياة ، بكل ما اشتمل عليه المنهج من أركان للإسلام ومعانى للإحسان والعدل والشورى والدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والجهاد فى سبيل الله لتكون كلمة الله هى العليا،

* والالتزام بكل النظم التى جاء بها المنهج فى العبادة والمعاملة والنظم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية وكافة ما كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه رضوان الله عليهم وأهل القرون الثلاثة الأولى من تاريخ الإسلام من هدى وتشريع ونظام،

* والالتزام بما يجمع عليه الصالحون من المسلمين ، وما يجتهد فيه أهل العلم والصلاح .

* إن فى ذلك السعادة للإنسان فى دنياه وآخرته ، الإنسان فى كل عصر ومصر وإنما كان ذلك بسبب مسلَّمة هى أن المنهج الإسلامى للحياة صالح لكل زمان ومكان ، ومسلَّمة أن الإسلام جاء للبشرية كلها أحمرها وأسودها وخاطب هذه البشرية فى كل زمن تعيش فيه .

* وأن محمداً ﷺ خاتم النبيين هو الذى خاطب الناس جميعًا ودعاهم إلى الإيمان بالله ، فى حين أن الأنبياء والمرسلين من قبله ما كانت دعوتهم عامة للبشرية كلها ، يفهم ذلك من قوله تعالى على لسان محمد ﷺ : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٥٨) ﴾ [الأعراف : ١٥٨] . قال المفسرون : يأيها الناس هنا : خطاب للحمر والسود والعرب والعجم .

والأمر في قوله : ﴿ واتبعوه لعلكم تهتدون ﴾ يقتضي الوجوب لمن أراد أن يتّبع ، ومن اتبع اهتدى .

والهداية - كما قال أسلافنا من العلماء - على أربعة أوجه :

الأول :

الهداية التي عم الله بجنسها كل مكلّف من العقل والفطنة والمعارف الضرورية ، التي أعطي فيها كل شيء بحسب احتماله ، كما في قوله تعالى : ﴿ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ (٥٠) ﴾ [طه : ٥٠] .

والثاني :

الهداية التي وجهها الله إلى الناس على ألسنة أنبيائه ورسله عليهم الصلاة والسلام وإنزال القرآن الكريم ونحو ذلك ، وهو المقصود بقوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ (٢٤) ﴾ [السجدة : ٢٤] .

والثالث :

التوفيق الذي يختص به من اهتدى ، وهو المعنى بقوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ... ﴾ [العنكبوت : ٦٩] .

والرابع :

الهداية في الآخرة إلى الجنة ، وذلك هو المعنى بقوله تعالى : ﴿ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ (٥) وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ (٦) ﴾ [محمد : ٥، ٦] .

وهذا النوع الرابع من هذه الهدايات مترتب على الثلاثة التي قبله ، فكان الهداية إلى سعادة الدنيا والآخرة هي هدف الإنسان الراشد ، ولا يتحقق هذا الهدف إلا باتباع محمد ﷺ .

وذلك معنى قولنا : إن التربية الخلقية في الإسلام إسعاد للبشرية كلها في معاشها ومعادها ، فالأخلاق كما أوضحنا غير مرة التزام ، والالتزام إذا كان بمنهج الإسلام ففيه سعادة الدنيا والآخرة كما أوضحنا .

١ ـ أهداف التربية الخلقية فى الإسلام

لا تستهدف التربية الخلقية فى الإسلام أمرًا أهم من أن تقيم الناس على جادة الحق وعلى الصراط المستقيم، صراط الله لأن هذا هو الذى يحقق لهم سعادة الدارين .

* وحسن الخلق هدف أساسى لهذه التربية ، وإنما يكون الخلق حسنًا إذا وافق ما فى القرآن الكريم، على ما سنوضح فى الباب الثالث من هذا الكتاب ـ بإذن الله تعالى .

ويمكن أن نشير هنا إلى مجمل ما يكون به الخلق حسنًا ، وهو :

ـ التحبب إلى الناس بالقول والفعل،

ـ والتساهل والتسامح فى العقود كالبيع ونحوه،

ـ وأداء حقوق الأهل والأقارب والأرحام والجيران دون أن يطلبوا هم ذلك .

ـ والتحرز من الشح والبخل والغضب وسائر الرذائل،

ـ وترك التقاطع والهجران،

ـ وترك التشدد فى التعامل مع الناس،

ـ والتحلى بفضائل الأخلاق .

كل واحدة من هذه الصفات يعد الوصول إليها تحقيقًا لهدف من أهداف التربية الخلقية فى الإسلام .

* وللتربية الخلقية أهداف أخرى نشير إلى بعضها فيما يلى :

أولا :

إعداد الإنسان المؤمن الذى يعمل الصالحات :

إذ ليس كالعمل الصالح شىء يعبر عن الأخلاق الإسلامية ، وليس كالأخلاق الحسنة المقتدية بالنبى ﷺ شىء يستطيع أن يعبر عن الإيمان بالله والالتزام بالمنهج الإسلامى فى الحياة.

ثانيا:

إعداد الإنسان المؤمن الصالح الذى يمارس حياته الدنيا من خلال ما أحل الله وما حرم،

يستمتع فيها بالطيبات والزينة، ويجتنب فيها كل خبيث وفاحش ومنكر وشر.

ثالثا:

إعداد الإنسان المؤمن الصالح الذى يحسن التعامل مع الناس من المسلمين وغيرهم تعاملا يرضى الله تبارك وتعالى، لانه موافق لما شرع، ولهدى محمد ﷺ، من اجل امن المجتمع واستقرار الحياة الإنسانية الكريمة فيه.

رابعا:

إعداد الإنسان المؤمن الصالح الذي يستطيع ان يدعو إلى الله وان يامر بالمعروف وان ينهى عن المنكر وان يجاهد فى سبيل الله لتكون كلمة الله هى العليا.

خامسا:

إعداد الإنسان المؤمن الصالح الذى يعتز باخوته لكل مسلم ويؤدى حقوق هذه الأخوة، ويحب فى الله ويبغض فى الله ولايخاف فى الله لومة لائم.

سادسا:

إعداد الإنسان المؤمن الصالح الذي يحس بانه جزء من امة إسلامية متعددة الاقطار واللغات، ويكون مستعدا لان يقوم باى واجب تفرضه عليه ظروف هذه الامة المسلمة، مادام قادرا عليه.

سابعا:

إعداد الإنسان المؤمن الصالح الذي يعتز بانتمائه لهذا الدين الخاتم، ويعمل ما وسعه من اجل رفعة هذا الدين وسيادته وتطبيق شريعته على المسلمين، مضحيا فى سبيل تحقيق هذه الغاية بكل ما يستطيع من مال وجاه ووقت ونفس.

* وتتميز التربية الخلقية فى الإسلام بانها من بين مختلف انواع التربية، هى التى تقيم اكبر وزن للدار الآخرة وما يجرى فيها من حساب وثواب وعقاب، ومن هنا كانت تربية تُوازن دائما بين صالح الإنسان فى الدنيا وصالحه فى الآخرة.

وبعد: فتلك اهداف التربية الخلقية فى الإسلام فى صورة موجزة ولكنها دالة وموحية ومؤثرة، وملائمة لسيرة الإنسان علي هذه الارض، ومتسقة مع إنسانيته التى كرمها الله وفضله بها على كثير ممن خلق.

إن التربية الخلقية الإسلامية فى كلمات: تريد ان توجد المجتمع المؤمن المستقيم على الحق الذى ياخذ بالعدل والإحسان والشورى، ويدعم العلم ويجعله وسيلة لان يعيش الإنسان حياة إنسانية كريمة.

٢ – قيمة الحياة الدنيا فى المنهج الإسلامى

لاتستقر القيم الخلقية فى المجتمع وتؤتى ثمارها، وتحقق أهدافها التى اشرنا إليها آنفا دون ان تتحدد لدى الإنسان قيمة هذه الحياة الدنيا التى يحياها ويمارس فيها الأخلاق الإسلامية ممارسة عملية.

* ولابد لنا من ان نشير فى هذا الصدد إلى بعض الحقائق التى تعين على تعرف قيمة هذه الحياة الدنيا من وجهة نظر المنهج الإسلامى، وتلك الحقائق هى:

الحقيقة الأولى:

– من الخلل الذى وقع فيه بعض المسلمين في الماضى، ولايزال يقع فيه بعض المسلمين، ما توهموه من ان المنهج الإسلامي قلل من شان الحياة الدنيا او هون منها، إذ لو كانت كما توهموا لما جعلها دار بلاء واختبار، ودار عبادة لله وحده لاشريك له.

– ولقد ساعد هؤلاء المخطئين فى فهم الحياة الدنيا وقيمتها من السابقين او المعاصرين من المسلمين، سوء فهمهم لبعض النصوص الإسلامية، وسوء استدلالهم بها.

ومن هذه النصوص التى أسيء فهمها:

* قول الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ (٣٨) ﴾[التوبة: ٣٨].

فسوء فهم هذه الآية الكريمة أدى عند بعض المسلمين إلى احتقار الحياة الدنيا والانصراف عنها، مع ما يؤدى إليه هذا الاحتقار وهذا الانصراف من تفريط فى الدفاع عن النفس وعن الكرامة القومية، ومن قعود عن مقاومة الأعداء والإعداد لهم، كما أمر الله تعالى بذلك فى كتابه الكريم وكما جاء على لسان المعصوم ﷺ.

على حين أن الفهم الصحيح لهذه الآية الكريمة هو بذل النفس والمال وكل شيء فى سبيل الله دفاعا عن الحق وعن النفس امام اى عدو، ومن لم يفعل ذلك، فبخل بنفسه او ماله أو جهده، فقد آثر الحياة الدنيا على الآخرة فكان موضع الذم من الله تعالي، وعرض نفسه بذلك للهزيمة والضياع لانه قعد عن الجهاد فى سبيل الله، وهو فريضة ماضية إلى يوم القيامة.

* وقول الرسول ﷺ فيما رواه الترمذي بسنده عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول ﷺ: «لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة، ما سقى الكافر منها شربة ماء».

ففهموا من هذا الحديث ان الدنيا حقيرة وهينة وما ينبغي ان يهتم بها المسلم، وهو فهم ساذج وغير صحيح.

والمعنى المقصود من هذا الحديث النبوى الشريف ان الدنيا بالنسبة لما فى ملك الله الواسع العظيم، لاتساوى -إذا قورنت بهذا الملك العظيم- جناح بعوضة، وان الكافر بالله -على الرغم من هوان هذه الدنيا بتلك النسبية، إذ لاتساوي جناح بعوضة- قد أعطى من هذه الدنيا المآكل والملبس والمسكن فضلا عن شربة الماء، ولو كانت الدنيا تساوى بالنسبة لعظيم ملك الله جناح بعوضة ما أعطى الكافر منها مجرد شربة ماء.

* فالذين يزهدون فى الدنيا، فيتركون ما أحل الله فيها من الطيبات والزينة، بل يحرّمون ذلك على انفسهم، هؤلاء مخطئون مخالفون لسنة الله تعالى.

وقد استنكرت بعض آيات القرآن الكريم عليهم ذلك، كما يفهم ذلك من قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٣٢) ﴾ [الأعراف: ٣٢]

والمعنى ان هذه الزينة والطيبات مباحة في الدنيا للمؤمنين وغيرهم لكنها فى الآخرة موقوفة على المؤمنين وحدهم تكريما لهم وتمييزا لهم عن غير المؤمنين.

والله سبحانه وتعالى يوسع على عباده بما يحل لهم من الطيبات، بل يطالبهم بالتمتع بهذه الطيبات وينهاهم عن تحريمها علي انفسهم، لتستقيم حياتهم الدنيا على منهجه القويم، وقد أمر الله بهذا التمتع الأنبياء والمسلمين كما امر به المؤمنين.

روى الإمام احمد بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أيها الناس إن الله طيب لايقبل إلا طيبا، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، فقال: ﴿ يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا إني بما تعملون عليم ﴾ وقال ﴿ يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم ﴾ ثم ذكر الرجل يطيل السفر اشعث اغبر ثم يمد يديه إلى السماء: يارب يارب، ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام، وغذى بالحرام فانى يستجاب لذلك».

والحقيقة الثانية:

- أن من الخلل أيضا ذلك التكالب على الدنيا، ونسيان الآخرة، فيعيش هؤلاء المتكالبون على الدنيا للطعام والشراب واللذائذ والشهوات، جاعلين الدنيا غايتهم.

وخطأ هؤلاء لايقل عن خطأ الذين احتقروا الدنيا وزهدوا فيها، مخالفون لأمر الله تبارك وتعالى، لأن الله تبارك وتعالى دعا إلى إعمار الأرض والأخذ بكل الأسباب المشروعة التى تؤدى إلى إعمارها والتمتع بما فيها، ويطالبهم بالتعلم والعلم والتعليم حتى يرتقوا بمستوى الحياة الدنيا، ويواجهوا أعداء الله من اليهود والذين أشركوا بعد توجيه الدعوة إليهم ليتحولوا عن باطلهم إلى الحق.

يفهم ذلك من قول الله تعالى: ﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ (٧٧) ﴾ [القصص: ٧٧]

فالدنيا كلها متاع ما ينبغى أن ينسى المسلم نصيبه منها وهو يبتغى بعمله الدار الآخرة.

كما يفهم أن الدعوة إلى التمتع الحلال بما فى الدنيا من متع جاء على لسان المعصوم ﷺ فيما رواه مسلم والترمذى وابن ماجة وأحمد بأسانيدهم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة» ورواه الطبرانى فى الكبير والحاكم فى المستدرك بسنديهما عن سلمان رضى الله عنه ورواه البزار بسنده عن ابن عمر رضى الله عنهما.

وروى الطبرانى فى الكبير بسنده عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ «الدينا حلوة خضرة، فمن أخذها بحقها بورك له فيها، ورُبَّ متخوّض فيما اشتهت نفسه ليس له يوم القيامة إلا النار».

*** والحقيقة الثالثة:**

أن شريعة الإسلام حثت على الاستمتاع بالدنيا وما فيها، ولكن فى إطار ما أحل الله، بل توجب استغلال ما فى الدنيا من خيرات وأسباب قوة مادية ذخرها الله فيها، وسخرها من أجل الإنسان، توجب ذلك لصالح الفرد والمجتمع والأمة الإسلامية كلها، وما لم يفعل المسلمون ذلك وتركوا البحث والتنقيب عن مذخورات الأرض، فكيف يمكنون لدين الله فى الأرض؟ وكيف يكونون أقوياء؟ وكيف يعدون لأعدائهم ما استطاعوا من قوة؟ وكيف يستجيبون لنصرة ضعيف من المسلمين؟ بل كيف يجاهدون فى سبيل الله لتكون كلمة الله

هى العليا؟ وكيف يؤمنون ظهر المسلمين وحاضرهم ومستقبلهم؟

يفهم ذلك من قول الله تعالى :

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٥٥) ﴾ [النور: ٥٥].

– والنظر والتدبر فى هذه الآية الكريمة قد أدى بى إلى فهم خاص لها، إذ شعرت أن التمكين قد حصر بين أمرين أحدهما كالبداية والتمهيد للتمكين، والثانى كالنتيجة لهذا التمكين – أما الأمر الأول الممهد للتمكين فهو الاستخلاف أى الملك والحكم الذى وعد الله به الذين آمنوا وعملوا الصالحات من أمة المسلمين.

– وأما الأمر الآخر وهو كالنتيجة للتمكين فهو : تبديل الخوف أمنا.

وبين هذين الأمرين أمر وسط هو عملية التمكين فى الأرض.

فيا سبحان الله!!!

إذا ملك المسلمون وحكموا بمنهج الله مُكنوا فى الأرض وعدا من الله الذى لايخلف الميعاد.

وإذا مُكنوا فى الأرض ذهب عنهم كل خوف ليحل محله الأمن.

الا من متبصرين لهذه الحكمة القرآنية؟

الا من مؤمنين يفقهون ويتدبرون القرآن؟[1]

(١) ذكرت هذا التأويل في كتابي : فقه الدعوة إلى الله – نشر دار الوفاء – مصر ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م.

٣ - أثر التربية الخلقية الإسلامية

التربية الخلقية الإسلامية تعنى - كما سنوضح فى الباب الثالث والأخير من هذا الكتاب - مجموعة من الفضائل زكاها القرآن الكريم وحبب فيها فوجب التحلى بها والتخلق باخلاقها، كما تعنى التربية الخلقية الإسلامية مجموعة من الرذائل نفّر منها القرآن الكريم ودعا إلى التخلى عنها.

وقد عاونت السنة النبوية المطهرة على تفصيل هذه الفضائل، وتعريف هذه الرذائل.(١)

* وتلك المجموعة من الفضائل عندما يتحلى بها المسلم وتصبح خلقا له فإنه بها يستطيع ان يحقق من المكاسب مايلى:

- اسلوبًا جيدا من التعامل مع الناس أهل وأبناء وأقارب وأرحام وأصدقاء وجيران، يحكم هذا الاسلوب بما أحل الله وما حرم، وهذا كسب على مستوى الفرد والمجتمع.

- وأسلوبًا متميزا فى الشعور بهموم الناس وحسن تقدير ظروفهم مما يزرع فى المجتمع امنا واطمئنانا وحبا وبرا ورحمة وتعاونا على البر والتقوى وتكافلا، وتواصيا بالحق وبالصبر.

* ومجموعة الرذائل عندمايتخلى عنها المسلم فإنه يستطيع من خلال اجتنابها ان يحقق المكاسب التالية:

- الطهارة المعنوية والمادية ونقاء القلب وصفاءه، والعفة فى المطعم والمشرب والملبس والمسكن، والمنكح، وعفة البصر وعفة الجوارح كلها بمعنى إمساكها عن الحرام، بل يستطيع بذلك ان يتغلب على الشيطان ووسوسته، وهذا لصالح الفرد والمجتمع معا.

- وتضييقا ومحاصرة للاشرار والشر، ومقاومة للجريمة والمجرمين، مما يغرس فى المجتمع الامن والطمأنينة، ورفضا لأى تعاون على الإثم والعدوان، ورفضا لكل باطل وكل ضلال، لا تعيش المجتمعات الإنسانية سعادة أعمق من ان تحارب فيها الرذائل ويتخلى عنها الناس.

- ويستطيع المجتمع الذى تحلى أهله بالفضائل وتخلوا عن الرذائل أن يربى ابناءه تربية سليمة، تتنزه فيه جوارح الأبناء عن مخالطة أهل الباطل، وتستفيد من مخالطة أهل الخلق الفاضل والحق، وبذلك يبنى المجتمع لحاضره ولمستقبله قاعدة قوية من الرجال الصالحين

---

(١) سنجعل الباب الثالث من هذا الكتاب مسجلا لهذه الآيات القرآنية والاحاديث النبوية الشريفة.

والنساء الصالحات، ويصبح قادرا بهؤلاء على ان يشق طريقه نحو الأمن والطمأنينة والتقدم في مختلف المجالات، لأن النهضة العلمية إنما تقوم على عقول الصالحين والصالحات من أبناء الوطن.

- وفي ظل هذه الفضائل، وبالبعد عن تلك الرذائل يستطيع الدعاة إلى الله ان يمارسوا عملهم في الدعوة وفي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إذ يتوجهون إلى صالحين وصالحات، فلا يجدون عنادا ولا رفضا للحق ولاتعنتا في التعامل مع الدعاة، فضلا عن الإساءة إليهم والتضييق عليهم والزج بهم في متاهات الشبهات والافتراءات، ثم حربهم وحرب ما يدعون إليه. إن من الرذائل الشائعة في مجتمع ما ان يتحدى اهله دعاة الحق وانصاره بكل خسيس من أساليب الحرب.

* والتربية الخلقية الإسلامية لها أثر فعال في كل عمل من اعمال المسلم، لها اثر في إيمانه وإسلامه وإحسانه وأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر وجهاده في سبيل الله، وذلك ان هذه الأعمال لاتتم ولاتكون ولا تقبل عند الله إلا إذا كان فيها الإخلاص والصدق والاقتداء بمحمد ﷺ، وكل تلك قيم خلقية تربوية جاء بها الإسلام ليصحح بها اعمال الناس.

* وكل عمل يتقدم به صاحبه إلى الله، سواء أكان عملا من اعمال الدنيا أم عملا من اعمال الآخرة، وسواء أكان هذا العمل مما فرض الله أو مما ندب إليه، كل ذلك يحتاج إلى قيم خلقية فاضلة كالصدق والإخلاص والعفة والصبر والتضحية لكي يرتفع إلى درجة القبول عند الله تعالى.

* وتأثير القيم الخلقية الإسلامية يمتد ليشمل غير المسلمين سواء أكانوا في المجتمع المسلم أم في غيره، وذلك أن منهج الإسلام وضع أسلوبا للتعامل مع هؤلاء وأولئك، ولايصبر نفسه على التقيد بأدب هذا الأسلوب وشروطه إلا من كان على مستوى من التربية الخلقية الإسلامية تحمله على ان يعدل حتى مع اعدائه، فقد قال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (٨) ﴾ [المائدة: ٨]

فاهل العدل هم أهل الخلق الإسلامي حتى لو كانوا يتعاملون مع عدو.

* ويمتد اثر التربية الخلقية في الإسلام إلى مستوى الحكومات والحكام، فالحكومة المسلمة لاتستطيع ان تعيش بمعزل عن التعامل أو الاحتكاك بحكومات غير مسلمة، في

حالتي السلم والحرب.

والحكومة في تعاملها مقيدة بأحكام الإسلام وشروطه وآدابه ولا تستطيع أن تؤدي ذلك وتتمسك به إلا إذا كانت تحكمها القيم الخلقية الإسلامية فتأخذ ما لها وتعطي ما عليها، ولاتتمكن من ذلك إلا إذا تحلت بفضائل حسن الجوار والعدل والإعداد والاستعداد للحرب عند الحاجة إليها، وهي في الحرب مقيدة بالقيم الخلقية الإسلامية في التعامل مع أسرى أعدائها ومع قتلاهم، ولا تستطيع ان تسيىء معاملة أسير ولا ان تمثل بجثة قتيل حتى لو قام الاعداء بالتمثيل بجثث شهداء المسلمين، إن هذا عمل يحتاج إلى مزيد من ضبط النفس وكظم الغيظ والصبر، وكل هذه قيم خلقية إسلامية لولاها لوقع المسلمون في معصية الله والخروج على منهجه.

وبعد :

فتلك آثار التربية الخلقية الإسلامية في الفرد والجماعة والمجتمع والحكومة والامة الإسلامية كلها، إنها لاتستطيع ان تطبق أحكام الإسلام ولا ان تلتزم بشروطه وآدابه إلا إذا كانت متمسكة بالقيم الخلقية الإسلامية.

٤ - القران الكريم والتحلى بالفضائل والتخلى عن الرذائل

إن التأمل في القرآن الكريم -والتدبر في آياته الكريمة- ليؤكد لهذا المتأمل والمتدبر أن القرآن الكريم فى مجمله دعوة إلى التحلى بالفضائل، والتخلى عن الرذائل، والفضائل قيم خلقية جاء بها الإسلام، والرذائل صفات لاتليق بالإنسان نهى عنها الإسلام.

ومن التحلى بالفضائل والتخلى عن الرذائل نجد القرآن الكريم يستهدف إسعاد الإنسان والمجتمع فى الدنيا والآخرة.

* إن القرآن الكريم فى مجمله:

أمر ونهى، وحلال وحرام، ووعد ووعيد، وزجر وندب، واخبار وقصص، واحكام، وكل ذلك يقوم على الاخلاق الفاضلة وعلى وجوب التحلى بها.

- فالقرآن إذا أمر فإنما يأمر بالخير والحق، والهدى والبر، والصبر والنجدة، ونحو ذلك من الفضائل، وكلها فضائل يجب أن يتحلى بها الإنسان المسلم،

- والقرآن الكريم إذا نهى فإنما ينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى والظلم ونحو ذلك، وكل تلك الرذائل يجب على المسلم أن يجتنبها،

- والقرآن الكريم إذا أحل فإنما يحل الطيبات،

- وإذا حرم فإنما يحرم الخبائث،

- وإذا وعد فإنما يعد بالخير والثواب،

- وإذا توعد فإنما يتوعد بالعقاب،

- وإذا زجر فإنما يزجر عن كل ما لايليق بالإنسان،

- وإذا ندب فإنما يندب إلى أمر محبوب يليق بالإنسان،

- وإذا أخبر ففى خبره الصدق والعظة،

- وإذا قصّ فلكى يعتبر أولو الألباب،

- وإذا حكم فبالعدل، وبما يصلح المعاش والمعاد.

وكل هذه الأمور عند التمسك بفضائلها، وعند اجتناب ما ذكرته من رذائل، إنما هى فى

صالح الفرد والمجتمع فى الحاضر والمستقبل، فى المعاش الدنيوى، وفى المعاد الأخروى.

* إن الحقيقة التى نحب ان نؤكدها فى موقف القرآن الكريم من التحلى بالفضائل والتخلى عن الرذائل، هى أن هذا الكتاب الكريم إنما أنزل من أجل إصلاح الدنيا والآخرة، ومن أجل سلامة العقيدة وصحة العبادة، ومن أجل التعامل بالإحسان مع الله ومع النفس ومع الناس والأشياء.

ومن أجل تقرير مبادئ ونظم ومنهج ينظم حياة الناس كلها فى اجتماعها واقتصادها وسياستها وثقافتها، وعلمها وعملها وحضارتها وتقدمها ورقيها.

وفى كل ذلك نجد آيات قرآنية كريمة، وأحاديث نبوية شريفة تشرح وتفصل.

* وحقيقة أخرى نحب أن نؤكدها هى أن القرآن الكريم قد اهتم بكثير من مفردات حياة الإنسان فى هذه الدنيا، أعماله وسلوكه، وفكره وثقافته، ومعاملاته، وحبه وكراهيته، وموالاته ومعاداته، وطعامه وشرابه، وملبسه ومسكنه وزواجه وطلاقه، وأبنائه وأهله وأقربائه وكل من يتعامل معهم. كل ذلك وغيره مما لايتسع المجال لتفصيل القول فيه قد اهتم القرآن الكريم بأن يضع له القيم الخلقية التى تحكمه وترشده، وصدق الله العظيم: ﴿ وَهَٰذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ (١٢٦) ﴾ [الأنعام: ١٢٦]، وقال جل شأنه: ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا (١١٤) ﴾ [الأنعام: ١١٤]، وقال عز وجل: ﴿ .. مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (١١١) ﴾ [يوسف: ١١١] وقال جلا وعلا: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ (٨٩) ﴾ [النحل: ٨٩]

وعندما يجمل القرآن الكريم بعض شؤون الدنيا فإن السنة النبوية تشرح وتفصل.

* وحقيقة ثالثة نحب أن نوضحها فى موقف القرآن الكريم من الفضائل والرذائل هى أن القرآن الكريم أعلن أن الله تعالى يثيب المؤمنين الذي يعملون الصالحات والذين يتخلقون بخلق القرآن الكريم، وأنه سبحانه يعاقب الذين لايعملون الصالحات والذين يمارسون الرذائل، ويستجيبون لوسوسات الشياطين.

* وحقيقة أخيرة أود أن أوضحها بل أؤكدها، وهى أن الإسلام بهذه الأخلاق التى جاء بها القرآن وفصلتها السنة النبوية هو دين المستقبل، وأن البشرية كلها سوف تصل إلى التحلى بأخلاقه، إذا انقشع عن العقول الضلال وانحسر عن القلوب الهوى، وأحبت البشرية

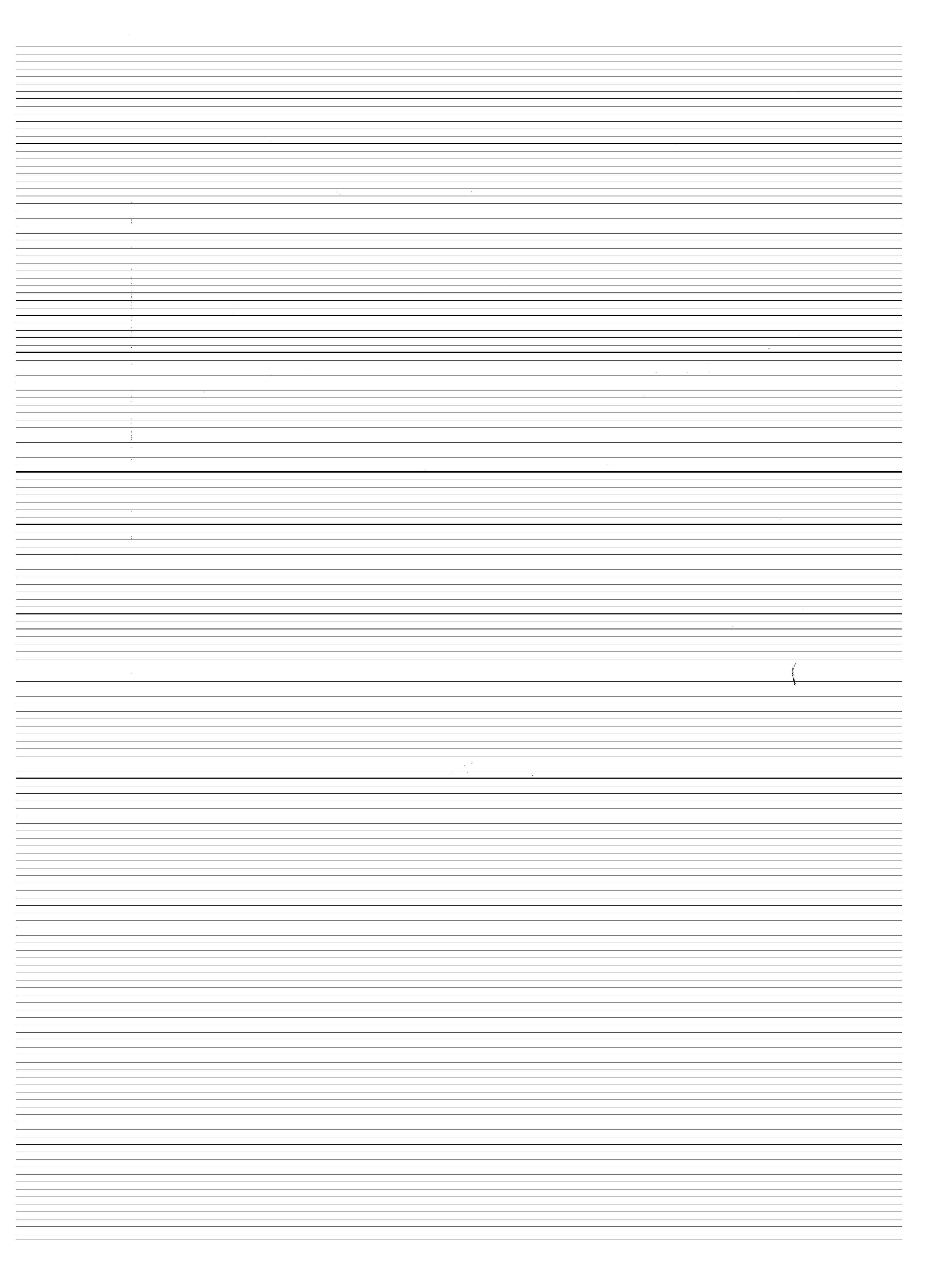
الحق وعلمت أن فيه خلاصها مما تعانيه.

إنه وحده دين صلاح الدينا والآخرة.

– وإن البشائر اليوم بتوجه غير المسلمين إلى الإسلام كثيرة متمثلة فى عدد غير قليل من الذين اقبلوا على الدخول فى الإسلام من أهل الغرب نتيجة لقراءة متأنية عن الإسلام، منهجه ونظامه، فاقتنعوا به ودخلوا فيه، ولكثير منهم كلمات موحية ودالة تؤكد صدق توجههم إلى هذا الدين الأخلاقى العظيم.

– وإن هذا الدين متفرد بمنهجه الخلقى عن كل دين آخر وعن كل نظام، وذلك أن قيمه الخلقية والفضائل التى يدعو إليها والرذائل التى يحذر منها تؤكد أنه دين المستقبل. وصدق الله العظيم فقد قال: ﴿ أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا (٨٢) ﴾ [النساء: ٨٢].

وبعد: فإن سجلا من القيم الخلقية الفاضلة التى جاءت بها آيات القرآن الكريم، وأحاديث المعصوم ﷺ سوف يذخر به الباب الثالث والأخير من هذا الكتاب والله سبحانه الموفق المعين.



الباب الثالث

التربية الخلقية فى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة

ويتناول :

الفصل الأول:

التربية الخلقية فى القرآن الكريم وفيه :

١ – الآيات الكريمة فى الحض على محاسن الأخلاق .

٢ – الآيات الكريمة فى التنفير من مساوئ الأخلاق .

الفصل الثانى:

التربية الخلقية فى السنة النبوية ، وفيه :

١ – أحاديث نبوية فى الحض على محاسن الأخلاق .

٢ – أحاديث نبوية فى التنفير من مساوئ الأخلاق .

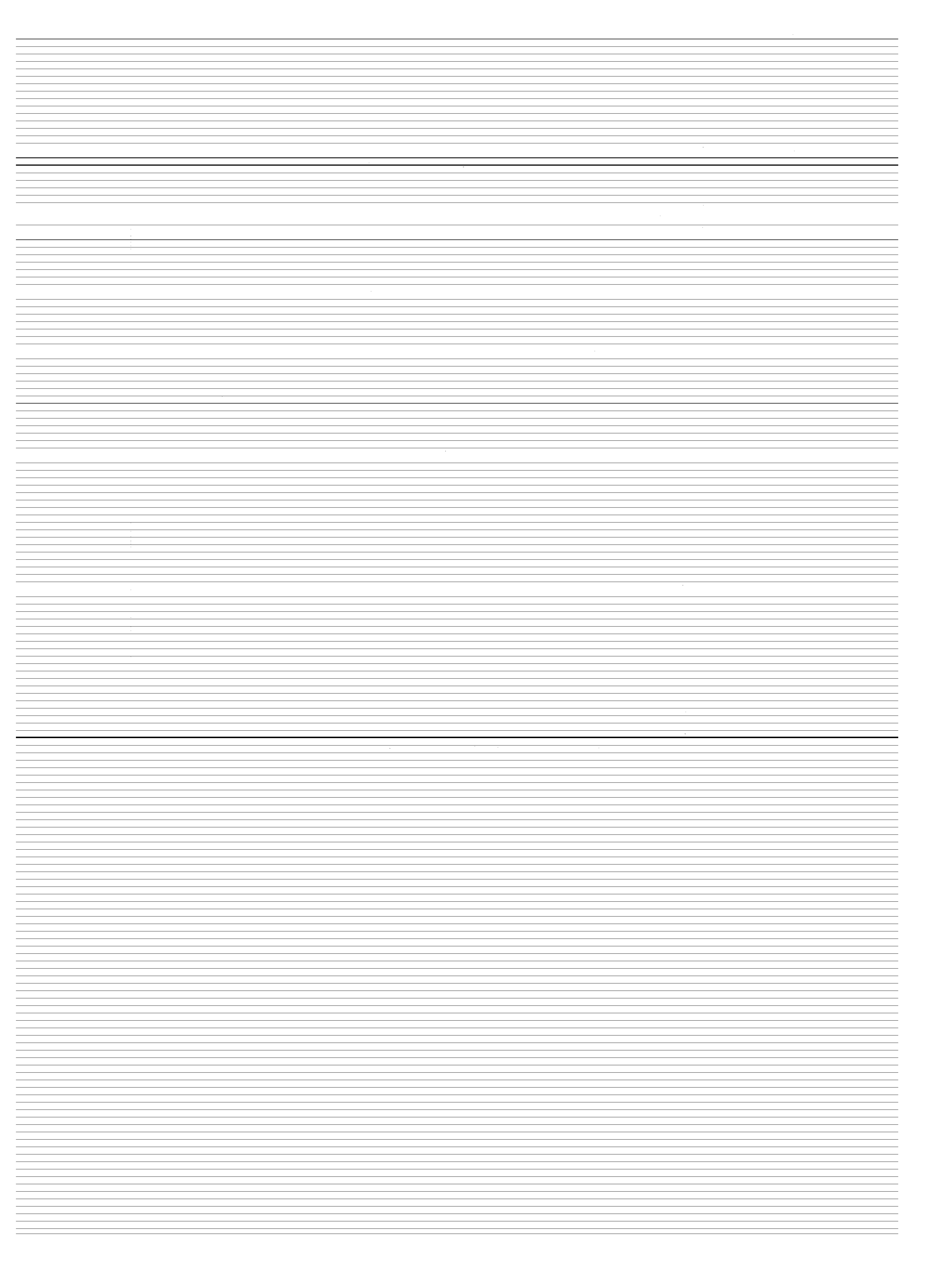
الفصل الثالث:

صور من أخلاق النبى ﷺ .

١ – صور من أخلاقه الشخصية ﷺ .

٢ – صور من أخلاقه ﷺ فى المجال الاجتماعى .

٣ – صور من أخلاقه ﷺ فى المجال السياسى .



التربية الخلقية فى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة

من كلمات أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها حينما سألها جبير بن نفير(١) عن خلق رسول الله ﷺ أن قالت: «كان خلقه القرآن»(٢) وانطلاقا من وصف عائشة زوج النبى لخلقه ﷺ بأنه خلقه كان القرآن الكريم، كان اقتناعنا بأن التربية الخلقية كافية فى القرآن الكريم، والسنة النبوية تشرح وتفصل ما أجمل فى القرآن.

* والقرآن الكريم سجل كامل للأخلاق، فآياته الكريمة لم تترك صغيرة ولا كبيرة فى مجال الأخلاق إلا تحدثت عنها وصفا أو أمرا أو نهيا أو ندبا، وسواء فى ذلك فاضل الأخلاق أو رذائلها.

* ونستطيع أن نقول – مطمئنين إلى سلامة ما نقول – إن القرآن قد اشتمل على مجموع القواعد الأساسية للأخلاق، أو دستور الأخلاق إذا استعرنا كلمة دستور من علماء القانون.

* والمتأمل للقواعد الأساسية للأخلاق في القرآن الكريم يجد أن الحديث عن الأخلاق فيه متنوع ما بين الأخلاق الشخصية والأخلاق الاجتماعية أو السياسية، لكنه يلحظ كذلك أن الحديث عن الأخلاق الشخصية أوسع وأشمل وأكثر من الحديث عن الأخلاق الاجتماعية، وذلك أن الاجتماع والسياسة إنما يعتمد على الأفراد، وما يكون عليه هذا الفرد من قيم خلقية رفيعة أو وضيعة.

* وإنما كان القرآن سجلا للأخلاق أو دستورا لها، لأن الأخلاق السائدة فى مجتمع ما بها تحكم علي هذا المجتمع بالصلاح إذا كانت صالحة، أو بالفساد إن كانت فاسدة، إذ الأخلاق مرتبطة بسنة التغيير، والقرآن الكريم يشير إلى هذا الارتباط فى قوله سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ [الرعد: ١١] وتغيير ما بالنفس هو تغيير أخلاقى يتسبب في أن يغير الله ما بالناس من حال إلى حال أحسن لو غيروا أخلاقهم إلى الأحسن، وإلى حال أسوأ لو غيروا أخلاقهم إلى الأسوأ، تلك سنة التغيير فى المجتمعات الإنسانية.

ويساند هذا المعنى ويعززه ما جاء فى قوله سبحانه وتعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا

---

(١) هو جبير بن نفير بن مالك الحضرمى، أدرك الجاهلية – ولاصحبة له – وسكن الشام وبها مات سنة ثمانين للهجرة، قال ذلك ابن حبان في كتابه: مشاهير علماء الأمصار.

(٢) رواه أحمد ومسلم وأبو داود بأسانيدهم عن عائشة رضى الله عنها.

نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾ [الأنفال: ٥٣]. فهذه الآية توحي بأن التغيير كان إلى الأسوأ، لأن الناس قد ساءت أخلاقهم، إذ الحديث في هذه الآية عن آل فرعون والذين من قبلهم ممن كفروا بآيات الله فأخذهم الله بذنوبهم.

* وقد سجل القرآن الكريم المعالم الخلقية ورصد دور الأخلاق في صلاح الأمم أو فسادها، وتلك حقيقة اجتماعية سياسية، شهد بذلك الواقع الإنساني وأحداث التاريخ وسيرة البشر، قال الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢٣﴾﴾ [الأنعام: ١٢٣] وقال جل شأنه: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾﴾ [الإسراء: ١٦]

فالآية الكريمة الأولى تقول: إن الشأن في كل مدينة كبيرة يدبر الشرَّ فيها الأكابر من المجرمين، أن تكون عاقبة هذه الأخلاق الشريرة هي التغيير إلى الأسوأ، فتفسد المدينة.

* وإذا كانت مساوئ الأخلاق تؤدي إلى الفساد والإفساد، فإن محامد الأخلاق تؤدي إلى التمكين في الأرض وصحة السلطان، والعزة والكرامة والقوة، وذلك أن مبدأ قرآنيا يربط بين الصلاح، وهو الخلق الحميد وبين ميراث الأرض والتمكين فيها، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٥]. أي أن الذين حسنت أخلاقهم وصلحت أعمالهم قد وعدهم الله في كتبه السماوية بأن يورثهم الأرض لعمارتها وتسيير أسباب الحياة الطيبة فيها.

* ولقد وردت في القرآن الكريم صفات أخلاقية فاضلة في مجال الأمر بها أو التنويه بمن يتحلون بها أو بيان أهميتها في التقرب إلى الله تعالى، كما وردت صفات أخلاقية رذيلة، في مجال النهي عن الاتصاف بها أو التنديد بمن يتصفون بها.

– وسوف نذكر من هذه الصفات وتلك عددا نؤكد به أن القرآن الكريم قد اهتم بذلك اهتماما كبيرا.

– فمن الأخلاق الفاضلة التي جاءت في القرآن الكريم ما نسرده فيما يلي:

* الطهارة بمعنى النظافة والنقاء، طهارة البدن والثوب والمكان،

* والعفة في المطعم والمشرب والنظر والنكح،

* والوفاء بالعهد والوعد والعقد والدَّين والكلمة،

* والأمانة مع الله ومع النفس ومع الناس،
* والإخلاص لله ولكتابه ولرسوله، ولكل عمل يقوم به الإنسان،
* والصبر على الحق، وعن الباطل، واحتساب الأجر فى ذلك عند الله،
* وقول الحق وفعله ونصرة أهله والتواصى به، وبالصبر عليه،
* والصدق فى النية والقول والعمل، ولقاء العدو، والصدق مع الله ومع النفس ومع الناس،
* والبر وفعل الخير وإيصاله إلى مستحقيه،
* والتعاون على البر وعلى كل ما يجلب للإنسان مصلحة أو يدفع عنه مضرة، والتعاون على تقوى الله تعالى،
* والتواضع لله، وأمام الناس وبخاصة من كان منهم فقيرا أو قليل الشأن، وهو خلق يرفع صاحبه عند الله وعند الناس،
* والتسامح فى الحقوق التى للمسلم على غيره، مع المبادرة إلى أداء الحقوق التى عليه لغيره،
* والعفو عن المقصر ونحوه؛ لأن الله تعالى عفو يحب العفو،
* واللين والرفق مع الناس عموما ومع من يدعوهم إلى الله على وجه الخصوص،
* والإحسان بمعنى مراقبة الله تعالى،
* والإحسان بمعنى إتقان العمل وتجويده،
* والإحسان بمعنى إيصال الخير والمعروف إلى مستحقيه،
* والبذل والعطاء فى كرم وسخاء نفسى لدفع الحاجة عن المحتاجين من عباد الله، وغير المسلمين أحيانا،
* والرحمة لكل من يستحقها من إنسان أو حيوان، وبخاصة فى مجال الأهل والأبناء والمتعلمين والضعفاء،
* والعدل، مع الله ومع النفس ومع الناس، وهو من أهم القيم الخلقية الفاضلة وهو يتضمن الإنصاف،

* والثبات على الحق والاعتزاز بهذا الثبات والتضحية من اجله،

* والدعوة إلى الخير والحق بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتى هى احسن،

* والأمر بكل معروف كلّ احد، والمعروف هو ما تعارف الناس على حسنه وحسنه الشارع الحكيم،

* والجهاد فى سبيل الله لتكون كلمة الله هى العليا، الجهاد بالمال والوقت والجهاد بالنفس،

* ودفع السيئة بالحسنة،

* والعطف على الفقير والبائس والمحتاج بحسن رعايته والاهتمام به وإشعاره بانه صاحب حق،

* واحترام حق الغير والمحافظة عليه ومحاولة إيصاله له، سواء اكان مالا ام عرضا ام نفسا، او ما من شانه ان يصونه الإنسان ويدافع عنه،

* والتعاون على البر والتقوى،

* والتكافل بين المسلمين،

* وموالاة المسلمين ونصرتهم.

وغير ذلك من الأخلاق الإسلامية التى يحقق التحلى بها الامن والاستقرار فى المجتمع، ويرضى عن صاحبهما الله سبحانه وتعالى، ويجعل منه عضوا صالحا فى مجتمع صالح.

وما ذكرت هنا إلا قليلا من كثير من هذه الأخلاق الفاضلة التى وردت فى القرآن الكريم.

– ومن الأخلاق الرازلة التى وردت فى القرآن الكريم فى معرض النهى عنها أو التنديد بمن يتصف بها، ما نذكر بعضها فيما يلى:

* النجاسة والقذارة فى البدن أو الثوب أو المكان،

* وترك العفة فى المطعم والمشرب و المنكح، ومد البصر إلى ماحرم الله تعالى،

* والخيانة لله ولرسوله وللمؤمنين وللأمانة،

* والغدر، حتى ولو كان بعدو،

* ونكث العهد أو الوعد أو الميعاد،

* والرياء والنفاق،
* والجزع أى ترك الصبر،
* والهلع أى الجزع عندما يمس الإنسان شر، والإمساك عن الخير والعطاء عندما ينال الإنسان خيرا،
* والكذب،
* وشهادة الزور،
* والكبر والتعالى على الناس،
* والغرور،
* والتشدد،
* والفظاظة،
* والحقد،
* والحسد،
* والفحش،
* والبخل،
* والإسراف والمخيلة والبذخ،
* وكتم الحق وخذلان دعاته وأصحابه ،
* والتخلى عن الحق والعجز عن الثبات عليه،
* والبغى بكل أنواعه ،
* والأنانية والأثرة ،
* والانهماك فى اللذائذ والشهوات ،
* والنهى عن المعروف ،
* والأمر بالمنكر ،

* وإشاعة الفاحشة بكل أنواعها ،

* والظلم بكل أنواعه ،

* والعدوان، بأنواعه جميعا، المادى منه والمعنوى .

* وأكل أموال الناس بالباطل ،

* والرشوة ،

* والغش .

وغير ذلك من مساوئ الأخلاق التى يؤدى التمسك بها إلى فساد حياة الفرد وحياة المجتمع، وتغضب الله تعالى وتجعل صاحبها مستحقا لعقابه سبحانه .

وهى أيضا قليل من كثير تحدث عنه القرآن الكريم .

وإلى الحديث عن فصول هذا الباب والله المستعان.

الفصل الأول

التربية الخلقية فى القرآن الكريم

ويتناول :

١ - آيات قرآنية فى الحض على مكارم الأخلاق

٢ - آيات قرآنية فى التنفير من مساوئ الأخلاق

التربية الخلقية فى القرآن الكريم

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾ [الإسراء: ٩] ، اى يرشد الناس ويدلهم على السبيل التى هم أقوم السبل وأسلمها فى الوصول إلى السعادة الحقيقية فى الدنيا والآخرة.

واقوم السبل وارشدها ماكان من صنع الله تعالى ومن اختياره، وإذا كان القرآن الكريم كتاب الله الذى لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه هو الذى يهدى لاقوم تلك السبل، فإن السعادة الحقة للإنسان فى دنياه وآخرته لاتكون إلا فى هدى القرآن الكريم.

وهداية القرآن الكريم الناس للطريق الاقوم، إنما تكون عندما يلتزم الناس بما جاء فى القرآن، وجل ماجاء فى القرآن الكريم قيم خلقية فاضلة دعا إلى التحلى بها، أو قيم خلقية راذلة دعا إلى التخلى عنها.

ونحب أن نلقى على هذه المقولة بعض الضوء، فنقول وبالله العون والتوفيق:

- كل أمر بشىء فى القرآن الكريم ابتداء من الامر بالإيمان بالله ورسوله والدخول فى الإسلام، والعدل والإحسان وانتهاء بأى أمر فى اى مجال كالأمر بالأكل والشرب فى غير إسراف ، كل هذه الأمور تتضمن قيما اخلاقية فاضلة تعود بخير الدنيا والآخرة على الفرد والأسرة والمجتمع والدولة والأمة المسلمة كلها فى حاضرها ومستقبلها.

- وكل نهى عن شىء أو حظره أو تحريمه فى القرآن الكريم ابتداء من النهى عن الشرك بالله، والنهى عن عصيان الرسول ﷺ والنهى عن الظلم، وسائر الفواحش، وانتهاء بأى نهى فى اى مجال من مجالات الحياة، كالنهى عن اكل الربا، واكل الأموال بالباطل، والاكل مما لم يذكر اسم الله عليه، والنهى عن اكل لحم الميتة والخنزير والدم، كل نهى من هذه الأشياء التى نهى عنها إنما يتضمن قيمة خلقية فاضلة، بحيث يكون الانتهاء عنها محققا لخير الفرد والأسرة والمجتمع والدولة والأمة المسلمة فى حاضرها ومستقبلها.

- وكل حكم من الاحكام التى وردت فى القرآن ، وشرعت ليتعامل بها الناس فى حياتهم، إنما يتضمن قيمة خلقية فاضلة تعود بالنفع والأمن والاستقرار على المجتمع كله، إذا أخذ الناس بها وتحاكموا إليها.

- وكل خبر أخبر به القرآن، بل كل قصة قصها، إنما يكون الهدف من وراء الأخبار والقصص التحلي بقيمة خلقية فاضلة أثنى عليها القرآن الكريم، وهو يخبر أو يقص، أو التخلي عن قيمة خلقية رذيلة ندد بها القرآن وهو يحكي عنها.

- وكل حديث عن الجنة وما أعد الله فيها لعباده المؤمنين من نعيم أو عن النار وما فيها من عذاب للكافرين، والظالمين، إنما يتضمن الدعوة إلى التحلي بفضائل الأخلاق من أجل الوصول إلى الجنة، والتخلي عن مساوئ الأخلاق للنجاة من النار.

- وكل دعوة للجهاد في سبيل الله وتضحية بالمال والنفس، إنما هي في الحقيقة قيمة أخلاقية فاضلة، لأن الجهاد إنما يكون لتكون كلمة الله هي العليا، ولكي لايعبد غير الله، ولكي يتبع منهجه، ولكي يقوم الناس بالقسط، وكل تلك قيم أخلاقية فاضلة لايستطيع المجتمع أن يعيش حياته في سعادة إلا إذا تحلى الأفراد بها.

- وكل حديث عن الشيطان ووسوسته، وهمزه ولمزه، وعدواته للناس ووعيد الله له بالعذاب الشديد، إنما هو دعوة إلى قيمة خلقية فاضلة باتخاذ الشيطان عدوا وحربه وإفساد خططه، وما أسعد مجتمعا تحارب فيه الشياطين!!

وبعـد :

فما في القرآن من الهداية إنما هو في صميم القيم الخلقية الفاضلة والقرآن كله هداية كما وصفه الله تعالى بأنه : ﴿ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة: ٢] وبأنه : ﴿ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [البقرة: ٩٧] وبأنه : ﴿ هُدًى لِّلنَّاسِ ﴾ [البقرة: ١٨٥] وبأنه : ﴿ هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٨] وبأنه : ﴿ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأعراف: ٥٢] .

والهداية إنما هي التزام بقيم أخلاقية فاضلة، واجتناب لقيم خلقية رذيلة .

وعملنا في هذا الفصل أن نرصد الآيات الكريمة التي تحض على مكارم الأخلاق، والآيات الكريمة التي تنفر من مساوئ الأخلاق. ونسأل الله التوفيق والسداد، ليكون من ذلك سجل حافل لهذه القيم الخلقية القادرة على بناء الإنسان بناءً سليما صحيحا.

١ – آيات قرآنية فى الحض على مكارم الأخلاق

هذه الآيات القرآنية التى تحض على التحلى بمكارم الاخلاق كثيرة وسوف اختار لكل مجموعة عنوانا لإحدى الفضائل التى تحث على التحلى بها، وأرجو الله أن أكون فى ذلك الاختيار من الموفقين .

وقد صنفت الآيات القرآنية التى تحض على مكارم الاخلاق أصنافا اثنى عشر خلال نظر وتدبر فى القرآن الكريم ، وهذه هى الأصناف .

١– عباد الرحمن	سورة الفرقان : ٦٣ – ٧٦
٢ – والسائرون فى الطريق إلى الله	سورة الإسراء : ٢٣ – ٣٩
٣ – وأهل الوصايا العشر	سورة الأنعام : ١٥١ – ١٥٣
٤ – والمتوكلون على الله	سورة الشورى : ٣٦ – ٤٣
٥ – وأهل الوفاء بالعهد	سورة النحل : ٩١ – ٩٧
٦ – والمؤمنون المفلحون	سورة المؤمنون : ١ – ١١
٧ – والمصلون الدائمون على الصلاة	سورة المعارج : ١٩ – ٣٥
٨ – وأهل البر	سورة البقرة : ١٧٧
٩ – والمتذكرون أولو الألباب	سورة الرعد : ١٩ – ٢٢
١٠– وأصحاب الدرجات	سورة الأحزاب : ٣٥
١١– والمحسنون إلى غيرهم	سورة النساء : ٣٦
١٢– والذين باعوا أنفسهم لله	سورة التوبة : ١١٢

وكل صنف من هذه الأصناف تتوافر فيه صفات من مكارم الأخلاق دُعى إلى التحلى بها فأجاب ، سواء أكانت دعوته إليها بأسلوب أمر أو أسلوب نهى، أو بأسلوب خبرى تقريرى.

وليست هذه الأصناف هى كل الأصناف فى القرآن الكريم، ولكنها بعض من كل، ومن

تدبر فى القرآن الكريم وأطال التدبر، فتح الله عليه برؤية أشمل وأعمق.

فما هذه الآيات الكريمة ؟

أولا : فى عباد الرحمن :

وهم المؤمنون المخلصون لله الموصوفون بكثير من مكارم الأخلاق، الذين استحقوا أن يبشرهم الله تعالى بمنزلتهم العالية عنده يوم القيامة، وقد جاء فيهم قوله سبحانه وتعالى:

﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا ﴾

﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴾

﴿ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴾

﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا (٦٥) إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴾

﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴾

﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ ﴾

﴿ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾

﴿ وَلَا يَزْنُونَ ﴾

﴿ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ، إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ﴾

﴿ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ ﴾

﴿ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴾

﴿ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴾

﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾

﴿ أُولَٰئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴾ [الفرقان: ٦٣ - ٧٦]

ومكارم الأخلاق في هذه الآيات الكريمة هي :

- أنهم يمشون بين الناس في تواضع ووقار، دون أشر اوبطر، ولا يتبختررون لأجل الخيلاء، أي تركوا إيذاء غيرهم،

- وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا: سلاما، اي لانجاهلكم ولا خير بيننا ولا شر، اي اظهروا الحلم في مقابلة الجهل وتحملوا التأذى ،

- ويبيتون لربهم سجدا وقياما، اى يتقربون إلى الله بقيام الليل وإحيائه بالعبادة والناس نيام،

- ويدعون الله ان يصرف عنهم عذاب جهنم على الرغم من اجتهادهم في العبادة،

- وإذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وإنما كانوا معتدلين في هذا وذاك،

- وان من صفاتهم واخلاقهم الاحتراز عن الشرك بالله،

- والاحتراز عن قتل النفس التي حرم الله قتلها إلا بالحق ،

- والاحتراز عن الزنا ،

وهذه الصفات أو الأخلاق يتفرد بها المسلم عن غيره من الناس ، وأن من يرتكب هذه الأعمال له عذاب مضاعف مهين يخلد فيه، إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحاً.

ومن مكارم اخلاقهم انهم لايشهدون الزور، اى لايشهدون شهادة زور، أو لايحضرون في موضع يجري فيه مالا ينبغي ،

ومن صفاتهم انهم إذا رأوا مجالس اللغو وأهله أكرموا أنفسهم بالإعراض عن ذلك وإنكاره،

ومن مكارم اخلاقهم انهم إذا ذُكروا بآيات ربهم اكبوا عليها واقبلوا على من يذكرهم بها سامعين بآذان واعية، مبصرين بأعين راعية،

ومن صفاتهم الحسنة انهم يدعون الله طالبين منه ان يقر اعينهم بأزواج وذرية صالحة في الدنيا تلحق بهم عند الله في الجنة، وان يبلغهم في الدين والطاعة المبلغ الذي يشار إليه .

ومن اجتمعت فيه هذه المكارم الخلقية الاثنى عشر فإن له عند الله تعالى أحسن الجزاء، وهو الدرجة العالية في الجنة مع التكريم والتحية والخلود.

وَمَنْ من الناس يزهد فى هذا الجزاء ؟

وأى مجتمع آمن مستقر سعيد ذلك المجتمع الذى يتحلى أفراده بهذه الاخلاق ؟

هكذا تكون التربية الخلقية الإسلامية !!!

ثانيا : فى السائرين فى الطريق إلى الله

وهؤلاء المؤمنون السائرون نحو الله تعالى ليرضوه بطاعته فى الاستجابة لما أمر هم به ، وفى اجتناب مانهاهم عنه، هم الذين يتحلون بمكارم الاخلاق التى أمر بها، ليشقوا بذلك طريقهم فى الحياة يزرعون الخير فى المجتمع أهلا وأقارب وأصدقاء وجيرانا.

هؤلاء أوجب الله تعالى عليهم التحلى بمكارم الاخلاق، إن أرادوا أن يسيروا على الصراط المستقيم، صراط الله الذى يفضى بهم وبمجتمعهم إلى سعادة الدنيا والآخرة.

والآيات الكريمة الموجهة إلى هؤلاء الآمرة لهم بالتحلى بمكارم الاخلاق، هى قوله تعالى:

﴿ لا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَخْذُولاً ﴾

﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ ﴾

﴿ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا (٢٤) رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُورًا ﴾

﴿ وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ﴾

﴿ وَلا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴾

﴿ وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلاً مَّيْسُورًا ﴾

﴿ وَلا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴾

﴿ وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا ﴾

﴿ وَلا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً ﴾

﴿ وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلا يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا ﴾

﴿ وَلا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ﴾

﴿ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً ﴾

﴿ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ ﴾

﴿ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ﴾

﴿ وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً ﴾

﴿ وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولاً كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا (٣٨) ذَٰلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ ﴾

﴿ وَلا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا (٣٩) ﴾ [الإسراء: ٢٢ - ٣٩]

ومكارم الأخلاق فى هذه الآيات الكريمة التى قضى الله بها أى فرضها وأمر بها هى :

- لا تجعل مع الله إلها آخر فتقعد مذموما مخذولا ، وهى نهى عن الشرك بالله تعالي، أى اتخاذ إله أو آلهة أخرى معه لأن من أشرك بالله تعالى كان مذموماً مخذولا وتلك هى ركيزة الأخلاق فى الإسلام، والأصل الذى يتفرع عنه كل خلق فاضل فى الإنسان، وهو توحيد الله تعالي، فمن وحَّد الله تعالى لم يعبد إلا إياه وأحسن إلى والديه إلى آخر ما جاء فى الآيات الكريمة من فضائل .

- لا تعبدوا إلا إياه: وهو نهى عن عبادة غيره أى وجود عبادته وحده لا شريك له، لأن العبادة فعل يشتمل على نهاية التعظيم، ونهاية التعظيم لاتليق إلا بمن يصدر عنه نهاية الإنعام، ونهاية الإنعام هى الإنعام على الإنسان بالحياة والعقل والحواس وكل ذلك صادر من الله تعالي، فوجبت عبادته وحده.

- والأمر الأخلاقى الثانى فى الآية : وبالوالدين إحسانا ، وقد جاء عقب الأمر بعبادة الخالق الحقيقى وهو الله تعالي، وهو المنعم الحقيقى على الإنسان لأن الأبوين سبب فى إيجاد الإنسان، وهما ينعمان عليه كثيرا من النعم، والرعاية والتربية والإنفاق، فالإحسان إلى الوالدين واجب شرعى أخلاقى تأتى مكانته بين القيم الخلقية الإسلامية بعد عبادة الله تعالي.

- وعندما يبلغ الوالدان الكبر ويكونان فى حاجة إلى رعاية الأبناء كما كان الأبناء فى الصغر فى حاجة إلى رعايتهما، فإن الأبناء عندئذ مطالبون بأن يرعوا لهما حقوقا خمسة أوضحتها هذه الآية الكريمة، هى :

﴿ فَلا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ ﴾ اى بالغ فى إكرامهما ولا تلحق بهما اذى، اى اذى ولو كان التافف .

﴿ وَلا تَنْهَرْهُمَا ﴾ اى لا تسمعهما كلاما فيه زجر .

﴿ وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا ﴾ اى خاطبهما بالكلام المقرون بالتعظيم والاحترام .

﴿ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ ﴾ اى بالغ فى التواضع لهما .

﴿ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾ اى ادع لهما بالرحمة ، والرحمة جامعة لكل الخيرات فى الدين والدنيا .

– وامر بإعطاء الحقوق إلى أصحابها وهم فى الاية المكريمة :

– ذوى الْقُرْبَىٰ وهم القرابات كلها .

وَالْمِسْكِينَ. وهو الذى لايجد قوته .

﴿ وَابْنَ السَّبِيلِ ﴾ وهو المنقطع عن أهله وبلده .

وحقوق الأقارب البر والمودة والإنفاق عليهم بقدر الحاجة ، وحق المسكين إعطاؤه مايفى بقوته وقوت عياله، وحق ابن السبيل مايكفيه من زاده وراحلته ان يبلغ مقصده .

وكل هذه من مكارم الأخلاق .

– ونهىٌ عن التبذير وتخويفٌ منه .

﴿ وَلا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴾ والتبذير إنفاق المال فى غير طاعة الله وهو إفساد للمال وإسراف فيه، والتبذير خلق ذميم والمبذرون إخوان الشياطين أى قرناؤهم فى الدنيا والآخرة .

﴿ إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴾

والاخوة هنا تعنى التشبه بالشيطان فى الفعل القبيح .

– وامر بالكلمة الطيبة والقول الميسور عند العجز عن إعطاء الحقوق لذوى القربى والمساكين وابن السبيل بسبب الفقر، انتظارا للفرج من الله تعالى :

﴿ وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلاً مَّيْسُورًا ﴾

اى عند حصول الفقر عدهم بالخير وقل لهم قولا يردهم باحسن طريق كالوعد والاعتذار.

– ونهى عن الإمساك او الإسراف فى الإنفاق .

وذلك أن لكل خلق طرفى إفراط وتفريط فالبخل إفراط فى الإمساك والتبذير إفراط فى الإنفاق وهما مذمومان، والخلق الإسلامى هو العدل والوسط، والرزق من عند الله وهو مقدر لكل إنسان بما يصلحه .

﴿ وَلا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴾

– ونهى عن قتل الأولاد بنين أو بنات خشية الفقر ، لأن رزق الأولاد والآباء على الله تعالى، وقتلهم إثم كبير .

﴿ وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا ﴾

وما لم تأخذ الإنسانية بهذا الخلق لأدى ذلك إلى خراب العالم، وهو منطو على سوء ظن بالله تعالى، وعلى قطع للنسل وخراب للعالم وفى هذا وذاك إثم كبير .

– ونهى عن الزنى ، مع تفسير لهذا النهى وبيان لسوء الزنى .

﴿ وَلا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً ﴾

وذلك أن المفاسد الخلقية والاجتماعية التى تترتب على الزنى كثيرة وخطيرة، يدركها كل ذى عقل وقلب نقي، وحسب الزنى شرا أن الله تعالى وصفه فى هذه الآية بأنه فاحشة ، والفاحشة ما عظم قبحه من الأقوال والأفعال، ووصفه فى آية أخرى بأنه مقت والمقت البغض الشديد لمن يتعاطى القبيح، ﴿ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلاً ﴾ [النساء: ٢٢] وبأنه فاحشة وبأنه أسوأ سبيل إذ يؤدى إلى أن يكون الإنسان كالحيوان وإلى خراب العالم كله.

–ونهى عن قتل النفس وحرمانها من الحياة، وتوجيه لولى المقتول وهو يقتص من القاتل إلى أن يقبل الدية ولايشترط القتل لأن المحافظة على النفس هى الأصل.

﴿ وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلا يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا (٣٣) ﴾ [الإسراء: ٣٣]

وقتل النفس بالحق منصوص عليه فى السنة النبوية وهو أنواع:

* الزانى الثيب أو المحصن رجلا أو امرأة فإنه يقتل بحق.

* والمرتد عن دينه، المفارق للجماعة، فإنه يقتل بحق.

* ومن قتل نفسا بغير حق، فإنه يقتل بها.

* ورجل خرج محاربا لله ورسوله فإنه يقتل أو يصلب أو ينفى من الأرض.

روى احمد والترمذى والنسائي وابن ماجة والحاكم باسانيدهم عن عثمان بن عفان – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث: رجل زنى بعد إحصان، أو ارتد بعد إسلام، أو قتل نفسا بغير حق فيقتل به».

وروى أبو داود والنسائي بسنديهما عن عائشة رضى الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «لايحل دم امرئ مسلم يشهد الا إله إلا الله وان محمدا رسول الله إلا بإحدى ثلاث: رجل زنى بعد إحصان فإنه يرجم، ورجل خرج محاربا لله ورسوله، فإنه يقتل أو يصلب أو ينفى من الارض، أو يقتل نفسا فيقتل بها»

– ونهى عن أكل مال اليتيم.

وذلك ان النهى عن الزنى وعن قتل النفس هو للمحافظة على النفوس: واعز الأشياء عند الناس بعد النفوس الأموال، فكان النهى عنها محافظة على الأموال التى بها تستقيم حياة الناس.

وأولى الأموال بان يحافظ عليه هو مال اليتيم لصغره وعجزه ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ﴿٣٤﴾﴾ [الإسراء: ٣٤]

ويستثنى من عدم قرب مال اليتيم، أن يقرب اى يتصرف فيه بالتى هى احسن كان ينميه له ويكثره بتجارة أو نحوها، أو يقترض منه إذا احتاج ثم يرده إليه إذا أيسر.

وبلوغ أشد اليتيم الذى يجب عنده أن يسلمه الولى عليه ماله هو بلوغ النكاح وكمال العقل والرشد، وإلا صار الولى عليه فى مكانه ولم يسلمه ماله خشية أن يتلفه.

– وامر بالوفاء بالعهد، وذلك من أهم القيم الخلقية التى جاء بها الإسلام وذلك لأن كل أمر امر الله به، وكل نهى نهى الله عنه هو عقد بين الله تعالى وبين الإنسان، ولا يستقيم هذا العقد إلا بالوفاء به. ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴿٣٤﴾﴾ [الإسراء: ٣٥]

ومعنى ذلك أن كل عقد جرى بين الله وعبده، أو بين الناس بعضهم مع بعض واجب الوفاء بهذه الآية وبغيرها من الآيات مالم يقم دليل على ترك هذا الوفاء، وتدخل فى ذلك عقود البيع والشركة وعقد اليمين والنذر، وعقد الصلح، وعقد النكاح، وكل عقد أو عهد، فالمسلم مسئول أمام الله عن الوفاء بالعقد والعهد.

- والأمر بإيفاء الكيل والميزان.

لان تلك حقوق الناس لابد ان تصل إليهم كاملة وقد سماها الله في آية أخري التطفيف وتوعد من لم يف بالكيل والميزان بالويل في قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ (١) الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ (٢) وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ (٣) أَلا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ (٤) لِيَوْمٍ عَظِيمٍ (٥) يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٦)﴾ [المطففين: ١ - ٦].

﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً (٣٥)﴾ [الإسراء: ٣٥].

والأمر في هذه الآية بإيفاء الكيل أو العدل فيه، وبإتمام الوزن اى العدل فيه كذلك، فذلك خير وأحسن مآلا عند الله تعالى، لانه سبحانه سوف يحاسب على ذلك.

- ونهى للإنسان عن ان يتتبع ما ليس له به علم، كالتقليد في الشرك والكفر واتباع الهوى، أو شهادة الزور، أو رمي المحصنين والمحصنات، بالاكاذيب او البهتان عموماً.

﴿وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً (٣٦)﴾ [الإسراء: ٣٦].

وإنما جاء النهى عن تتبع ما ليس للإنسان به علم، لان الله تعالى يحافظ على حقوق العباد ويثيب من يحافظ عليها ويعاقب من عبث بها، يفهم ذلك من قوله تعالى: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً (٣٦)﴾ [الإسراء: ٣٦].

وفحوى هذا السؤال كما قال المفسرون: يقال له: لم سمعت ما لايحل لك سماعه، ولم نظرت إلي ما لايحل لك النظر إليه، ولم عزمت على ما لايحل لك العزم عليه؟!

- ونهى عن ان يمشي الإنسان مشيا يدل على الكبرياء والعظمة والفخر والاختيال لان تلك الصفات الخلقية سيئة لاتليق بالناس فيما بينهم، وهى مما يحاسب الله عليه يوم القيامة.

﴿وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولاً (٣٧) كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا (٣٨)﴾ [الإسراء: ٣٧، ٣٨].

والإشارة في كلمة « ذلك » إلى ما نهى الله عنه كله؛ إذ جميع ما نهى الله عنه مكروه عنده سبحانه وتعالى، وهو من السيئات، ويدخل فيه مانهى عنه من كل ماسبق في هذه

الآية الكريمة وبخاصة هذا التكبر والاختيال، ولو علم المتكبر انه لن يبلغ بكبره ان يخرق الارض أو يبلغ الجبال فى الطول، لو علم ذلك لترك التكبر والاختيال.

– وإشارة من القرآن الكريم إلى أن هذه القيم الخلقية التى تحدثت عنها تلك الآيات من هذه السورة إنما هى حكمة يقوم المجتمع على التمسك بها ورعايتها، ومن خلالها يعرف الحق والخير ويعمل به.

وقال بعض المفسرين إن هذه الاحكام المذكورة فى هذه الآيات شرائع واجبة الرعاية فى جميع الاديان والملل، ولاتقبل النسخ والإبطال، فكانت محكمة وحكمة من هذا الاعتبار: ﴿ ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ (٣٩) ﴾ [الإسراء: ٣٩].

وتختم الآيات بنهى عن الشرك بالله تعالى خشية ان يلقى المشرك فى جهنم ملوما مدحورا ﴿ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا (٣٩) ﴾ [الإسراء: ٣٩]

والملوم الذي يلام على قبيح فعله، وليس اقبح من الشرك بالله عمل، والمدحور المطرود، الذى يهان ويستخفّ به، ولا يوجب ذلك ذنب كالشرك بالله.

* قال الإمام فخر الدين الرازى فى هذه الآيات:

«اعلم ان الله تعالى جمع فى هذه الآيات (أى آيات سورة الإسراء من الآية ٢٢ إلى الآية ٣٩) خمسة وعشرين نوعا من التكاليف:

اولها: «ولاتجعل مع الله إلها آخر»،

وثانيها وثالثها: «وقضي ربك الا تعبدوا إلا إياه» فهو مشتمل على تكليفين: الأمر بعبادة الله، والنهى عن عبادة غيره.

ورابعها: ﴿ وبالوالدين إحساناً ﴾،

وخامسها: ﴿ لاتقل لهما أف ﴾،

وسادسها: ﴿ ولاتنهرهما ﴾،

وسابعها: ﴿ وقل لهما قولا كريما ﴾،

وثامنها: ﴿ واخفض لهما جناح الذل من الرحمة ﴾

وتاسعها: ﴿ وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا ﴾،

وعاشرها: ﴿ وآت ذا القربى حقه ﴾،

والحادى عشر: ﴿ والمسكين.. ﴾،

والثانى عشر: ﴿ وابن السبيل ﴾،

والثالث عشر: ﴿ ولاتبذر تبذيرا ﴾،

والرابع عشر: ﴿ وإما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولا ميسورا ﴾،

والخامس عشر: ﴿ ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا ﴾،

والسادس عشر: ﴿ ولاتقتلوا أولادكم خشية إملاق... ﴾،

والسابع عشر: ﴿ ولا تقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق.. ﴾،

والثامن عشر: ﴿ ومن قتل مظوما فقد جعلنا لوليه سلطانا ﴾،

والتاسع عشر: ﴿ فلا يسرف فى القتل ﴾،

والعشرون: ﴿ وأوفوا بالعهد ﴾،

والحادى والعشرون: ﴿ وأوفو الكيل إذا كلتم ﴾،

والثانى والعشرون: ﴿ وزنوا بالقسطاس المستقيم ﴾،

والثالث والعشرون: ﴿ ولاتقف ماليس لك به علم ﴾،

والرابع والعشرون: ﴿ ولاتمش فى الأرض مرحا ﴾،

والخامس والعشرون: ﴿ ولاتجعل مع الله إلها آخر ﴾.

فهذه خمسة وعشرون نوعا من التكاليف بعضها أوامر وبعضها نواه جمعها الله تعالى فى هذه الآيات، وجعل فاتحتها قوله: ﴿ ولا تجعل مع الله إلها آخر فتقعد مذموما مخذولا ﴾ وخاتمتها قوله: ﴿ ولاتجعل مع الله إلها آخر فتلقى فى جهنم ملوما مدحورا ﴾(١)

ثالثا: فى أهل الوصايا العشر

وهم المؤمنون الذين يجب عليهم التحلى بهذه الفضائل التى جاءت فى هذه الوصايا، ويجب عليهم التخلى عن الرذائل التى نهت عنها هذه الآيات الكريمة.

وإنما قلنا «الوصايا العشر»، لأن الآيات الكريمة التى تضمنتها ختمت بالتصريح بالوصية: «ذلكم وصاكم...» وهى عشر وصايا كما سنوضح بإذن الله تعالى.

(١) فخر الدين الرازى: التفسير الكبير او مفاتيح الغيب: ٢٠ / ١٧١، ط دار الكتب العلمية بيروت لبنان ١٤١١هـ - ١٩٩٠م

* والوصية ما يعهد إلى الإنسان أن يعمله من خير أو يتركه من شر، وقد عبر القرآن الكريم بالوصية عن التكاليف وهى ما أوجبه الله فأمر به ونهى عنه من أعمال وأخلاق وسيرة.

* أخرج الترمذى وحسنه، وابن المنذر، وابن أبى حاتم، والطبرانى وأبو الشيخ وابن مردويه والبيهقى في شعب الإيمان عن ابن مسعود رضى الله عنه قال: من سره أن ينظر إلى وصية محمد الذى عليه خاتمه فليقرأ هذه الآيات «قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم – إلى قوله – لعلكم تتقون».

* والآيات الكريمة التى تضمنت هذه الوصايا العشر هى قوله تعالى:

* ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ،

* أَلاَّ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ،

* وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ،

* وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُم مِّنْ إِمْلاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ،

* وَلا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ،

* وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (١٥١)

* وَلا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ،

* وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا ،

* وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ،

* وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (١٥٢)

* وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٥٣) ﴾ [الأنعام: ١٥١ – ١٥٣].

* روى أحمد والترمذى والنسائى عن النواس بن سمعان رضى الله عنه مرفوعا: «ضرب الله مثلا صراطا مستقيما، وعن جنبتى الصراط سوران فيهما أبواب مفتحة، وعلى الأبواب ستور مرخاة، وعلى باب الصراط داع يدعو من جوف الصراط، فإذا أراد الإنسان أن يفتح شيئا من تلك الأبواب قال له: ويحك لاتفتحه فإنك إن تفتحه تَلِجْه – أى تدخله – فالصراط الإسلام، والسوران حدود الله، والأبواب المفتحة محارم الله، وذلك الداعى على رأس الصراط كتاب الله، والداعى من فوق الصراط واعظ الله فى قلب كل مسلم».

رابعا:

فى المتوكلين على الله:

وهم المؤمنون الذين يتوكلون على الله أى يعتمدون عليه، مع أخذهم بالأسباب واجتهادهم فى العمل، والتوكل على الله من التكاليف الشرعية التى أوجبها القرآن الكريم فى كثير من آياته الكريمة، قال تعالى: ﴿ **قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ** (٥١) ﴾ [التوبة: ٥١] وقال جل شانه: ﴿ **وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ** (٢٣) ﴾ [المائدة: ٢٣].

وهؤلاء المؤمنون يجب ان يتخلقوا باخلاق الإسلام، ومنها فى الآيات من سورة الشورى ما يلى:

* **الإيمان بالله تعالى،**
* **والتوكل على الله تعالى،**
* واجتناب كبائر الإثم والفواحش،
* والاستجابة لله والانقياد له،
* وإقامة الصلاة،
* والعمل بالشورى،
* والإنفاق فى سبيل الله،
* والالتزام بما أباحه الله من الانتصار من أعدائهم،
* والانتصاف: أى أن يكون انتصارهم مقيدا بالمثل، إذ النقصان حيف والزيادة ظلم والتساوى هو العدل وبه قامت السموات والأرض،
* والعفو: أى التسامح مع الخصوم،
* والإصلاح وهو نتيجة للعفو والتسامح فى الغالب،
* والصبر بسائر معانيه: الصبر على الطاعة والصبر عن المعصية والصبر فى الحياة عموما على ما يصيب الإنسان.
* والتجاوز عن المسيىء، حسبة لله تعالى.

كل تلك الصفات أو الأخلاق سماها الله تبارك وتعالى: «من عزم الأمور»، أى من العزائم التى لايتحلى بها إلا الرجال.

﴿فَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٣٦) وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ (٣٧) وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (٣٨) وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ (٣٩) وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (٤٠) وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَٰئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ (٤١) إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٤٢) وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ (٤٣)﴾ [الشورى: ٣٦-٤٣].

خامسا:

وأهل الوفاء بالعهد:

وهم المؤمنون الذين يوفون بعهد الله ولا يخلون به أو ينقضونه مهما كانت الأسباب، وهؤلاء الموفون بعهدهم مع الله لهم صفات وأخلاق يتحلون بها طاعة لله تعالى، وعملا على إصلاح المجتمع الذى يعيشون فيه، إذ بغير هذه الأخلاق لا تستقيم حياة فى مجتمع.

وهذه الصفات أو الأخلاق جاءت فى القرآن الكريم على هيئة تكاليف شرعية، تشمل الأمر والنهى، وقد جاءت فى قوله تعالى.

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ

* بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ

* وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٩٠)

* وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ (٩١) وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِن بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (٩٢) وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٩٣)

* وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ

اللهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٩٤)

﴿ وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا إِنَّمَا عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٩٥) مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٩٦) مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٩٧) ﴾

[النحل: ٩٠ – ٩٧].

وفى الآيات من محامد الأخلاق ما يلى:

– العدل،

– والإحسان،

– وإعطاء ذوى القربى ما يسد حاجتهم،

– والانتهاء عن الفحشاء،

– والامتناع عن المنكر،

– والكف عن البغي،

– والوفاء بعهد الله، وعهد الله هو الإيمان به واتباع منهجه والالتزام به فى شؤون الحياة كلها،– والامتناع من نقض الايمان لان الكفيل فيها هو الله تعالى،

– والامتناع عن اتخاذ الايمان؛ وسيلة للغش أو ظلم الناس أو تشجيعهم على باطل أو تنفيرهم من حق،

– والامتناع عن إيثار الثمن القليل من متاع الحياة الدنيا، والحصول عليه بالايمان.

وبهذه الأخلاق يزكو الفرد والمجتمع وتصبح الحياة إنسانية كريمة تليق بالإنسان الذي كرمه الله وفضله على كثير من خلقه.

سادسا:

وفي أهل الفلاح من المؤمنين:

وهؤلاء هم المؤمنون الذين استوفوا تلك الصفات التى جاءت فى مفتتح سورة «المؤمنون».

﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ①

* الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ ②

* وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ③

* وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ④

* وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ⑤ إِلاَّ عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ⑥ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ⑦

* وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ⑧

* وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ⑨ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ⑩ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ⑪﴾ [المؤمنون: ١ - ١١].

سابعا:

وفي المصلين الدائمين على الصلاة:

وهؤلاء مؤمنون متميزون بتلك الصفات الفاضلة، بحيث لا يشبهون عموم الناس في غلبة الشر والأنانية عليهم، وإنما ميزهم عن سائر الناس تلك المحامد الأخلاقية التي تحلوا بها أو التي يجب أن يتحلوا بها.

وتلك الآيات الكريمة هي قوله تعالى:

﴿إِنَّ الإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ⑲ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ⑳ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ㉑ إِلاَّ الْمُصَلِّينَ ㉒

* الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلاتِهِمْ دَائِمُونَ ㉓

* وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ㉔ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ㉕

* وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ ㉖

وَالَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ㉗ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ㉘

* وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ㉙ إِلاَّ عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ㉚ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ㉛

* وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ㉜

* وَالَّذِينَ هُم بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ (٣٣)

* وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (٣٤) أُولَٰئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ (٣٥) ﴾ [المعارج: ١٩ - ٣٥]

ثامنا:

وفي أهل البر:

وهم المؤمنون الذين يتوسعون فى فعل الخير، وأهل البر هم الذين سلمت عقيدتهم وصحت، وسلمت أعمالهم ووافقت شرع الله، ولايصلون إلى ذلك إلا إذا توافرت فيهم الصفات التى جاءت فى الآيات الكريمة الجامعة لصفات أهل البر، وهى قوله تعالى:

﴿ لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ :

* مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ

* وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ

* وَأَقَامَ الصَّلاةَ

* وَآتَى الزَّكَاةَ

* وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا

* وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ (١٧٧) ﴾

[البقرة: ١٧٧].

وكلها من صفات الفضائل، ومن محامد الأخلاق التى لايستقيم حال الفرد ولا حال المجتمع إلا بها.

تاسعا:

وفى المتذكرين أولى الألباب:

وأولو الألباب هم أصحاب العقول الخالصة من الشوائب، الذكية. ولذلك علق الله تعالى الأحكام التى لايدركها إلا أصحاب العقول الذكية بأولى الألباب، وجعلهم أهل التذكر والاتعاظ، قال الله تعالى: ﴿ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الأَلْبَابِ (١٩)

* الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلا يَنقُضُونَ الْمِيثَاقَ (٢٠)

* وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ
* وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ
* وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ (٢١)
* وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ
* وَأَقَامُوا الصَّلاةَ
* وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلانِيَةً
* وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ (٢٢) جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ (٢٣) سَلامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ (٢٤) وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ (٢٥) ﴾ [الرعد: ١٩ - ٢٥].

*فهذه الصفات أو الأخلاق التى اتصف بها أولو الألباب أخلاق عالية رفيعة المستوى لا يستطيع التحلى بها إلا أولئك الذين لهم عقول ذكية وإيمان خالص.

- وحسبنا بخلق من يصل ما أمر الله به أن يوصل، وقد أمر الله بكل بر وخير، وأمر بالإحسان إلى كل أحد.

- وخلق الإنفاق في السر والعلانية، يعنى أن صاحبه من المحبين للإنفاق في سبيل الله الذين صار لهم هذا الإنفاق خلقا فى سرهم وعلانيتهم، وفي سبيل الله تعنى: الإنفاق على المحتاجين وعلى المصالح العامة.

* وكل تلك الأخلاق من دعائم بنيان المجتمع الصالح.

عاشرا:

وفي أصحاب الدرجات:

وهم أصحاب المنازل الرفيعة عند الله تعالى بما يتصفون به من أخلاق وصفات تؤهلهم لهذه الدرجات.

وقد جمعت هذه الصفات فى آية واحدة من آيات القرآن الكريم فاشتملت على تلك الأخلاق الفاضلة المحمودة التى يتحلى بها كل مسلم من رجل أو امرأة ليكون بها من أصحاب هذه الدرجات عند الله تعالي، وهي:

* الإسلام،
* والإيمان،
* والقنوت – وهو لزوم الطاعة مع الخضوع لله –،
* والصدق،
* والصبر،
* والخشوع – وهو الضراعة لله فى القلب لتضرع الجوارح،
* والتصدق،
* والصوم،
* وحفظ الفرج – العفة –،
* وذكر الله كثيرا.

قال الله تعالى فى تلك الآية الكريمة التى جمعت هذه الأخلاق:

﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا (٣٥)﴾ [الأحزاب: ٣٥].

والدرجات هى: المغفرة أى التجاوز عن الذنوب، والأجر العظيم الذى يتفضل به الرب العظيم، وحسب أصحاب هذه الدرجات أن يكون لهم هذا الأجر العظيم عند الله.

حادى عشر:

فى المحسنين وغيرهم:

وهم الذين يستجيبون لأمر الله فى وجوب الإحسان فى المعاملة مع جميع الناس دون تفرقة بينهم، ابتداء من الوالدين ومرورا بالأهل والأقارب والأرحام والأصدقاء والجيران والخدم وانتهاء بالمخالفين فى الدين والمحاربين والأعداء.

تلك المعاملة الحسنة التى يجب أن تخلو من التكبر والخيلاء والبخل وإنكار النعمة والمنّ والأذى والرياء والنفاق.

* هؤلاء الذين يحسنون معاملة الناس لهم صفات وأخلاق تحدثت عنها الآية الكريمة التالية:

قال الله تعالى: ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا

* وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا

* وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ:

* مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا (٣٦)

* الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ

* وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا (٣٧)

* وَالَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ (٣٨)

* وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَن يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا (٣٨) ﴾

[النساء: ٣٦-٣٨].

إنها أخلاق الإسلام التي يتمكن الإنسان بها من أن يحيا حياة إنسانية سعيدة بكل بعد من أبعاد السعادة.

ثاني عشر:

وفي الذين باعوا أنفسهم لله:

وهم المؤمنون الذين ضحوا بأنفسهم وأموالهم في سبيل الله، فقاتلوا أعداء الله فقتلوهم أو قتلوا هم في تلك المعارك، هؤلاء وعدهم الله تعالى بالجنة وأثبت وعده في التوراة والإنجيل والقرآن، وبشرهم بهذه الصفقة الرابحة.

* هؤلاء المؤمنون الذين باعوا أنفسهم لله لهم صفات وأخلاق تميزهم عن غيرهم من الناس وهي:

* التوبة إلى الله بكثرة من كل ذنب صغيرا أو كبيرا،

* والعبادة له سبحانه،

* والحمد لله على كل حال،

* والصوم لله تعالى،

* والركوع له سبحانه،
* والسجود له جل شانه،
* والأمر بالمعروف حسبة لله تعالى،
* والنهى عن المنكر حسبة لوجه تعالي،
* والمحافظة على حدود الله.

هؤلاء الذين اتصفوا بذلك لهم البشرى عنده عز وجل.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١١١)

* التَّائِبُونَ،
* الْعَابِدُونَ،
* الْحَامِدُونَ،
* السَّائِحُونَ،
* الرَّاكِعُونَ،
* السَّاجِدُونَ
* الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ،
* وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ،
* وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (١١٢)﴾ [التوبة: ١١١، ١١٢].

فهذه صفات تسع أو أنواع من الأخلاق المحمودة يتصف بها المؤمنون الذين باعوا أنفسهم وأموالهم لله، وتلك الأخلاق هى تضمن للمجتمع الإنسانى أمنا واستقرارا، وحياة إنسانية كريمة تليق بتكريم الله تعالى للإنسان.

٢ - آيات قرآنية كريمة في التنفير من مساوئ الأخلاق

تلك آيات من القرآن الكريم في التنفير والتخويف من مساوئ الأخلاق.، وذلك أن سوء الخلق يورد الإنسان موارد الهلاك، وهو مما حرم الله على المسلم أن يتصف به.

ولقد تعوَّذ رسول الله ﷺ من الخلق السيئ، فقد روى الترمذي بسنده عن عم زياد بن علاقة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اللهم إني أعوذ بك من منكرات الأخلاق والأعمال والأهواء والأدواء».

وروى الحاكم في مستدركه بسنده عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله يحب معالي الأخلاق ويكره سفاسفها».

وعلى قدر ما رأينا في النقطة الأولى من هذا الفصل من الآيات القرآنية التي تحبب في محامد الأفعال والأخلاق، فإن الآيات القرآنية التي تنفر من الأفعال والأخلاق الرذلة لابد أن تكون كثيرة، وسوف نذكر بعضها في هذه النقطة من الفصل بإذن الله تعالى.

* ونستطيع أن نضع هنا بعض القواعد العامة التي نستهدي بها في مجال حديث القرآن الكريم عن التنفير من مساوئ الأخلاق، وهي:

– كل نهي عن قول أو عمل نهى عنه القرآن الكريم فهو من مساوئ هذه الأخلاق ورذائلها، وقد نهى الله تعالى عن كل ما يضر الإنسان في حاضره أو مستقبله، في دنياه أو آخرته.

– وكل شيء حرمه الله تعالى، فهو عند النظر والتدبر فاحشة وعمل سيىء، وباطل وضلال، ومعصية لله تعالى، ويؤدي الوقوع فيه إلى ضرر وشر يعود على الفرد وعلى المجتمع على السواء، بل يؤدي إلى العداوة والبغضاء والتناحر الذي قد يؤدي إلى تقاتل.

– وكل قصة أو خبر في القرآن الكريم جاء فيه ذكر للعصاة والمعاندين لله ولرسوله ومنهجه، فإنما الهدف من ذكر تلك القصة أو الخبر أن يتجنب المسلمون ما كان عليه أولئك العصاة من أخلاق رذلة أدت بهم إلى ما صاروا إليه من غضب الله تعالى

– وكل وعيد أوعد الله به أحدا من عباده، فإنما السبب فيه أن يكون من أوعد يأتي عملا لايرضى الله تبارك وتعالى، وهذا العمل الذي لايرضى الله تعالى لن يخرج عن خلق ذميم يؤدي إلى باطل أو ضلال، وكذلك الأمر في الزجر والتهديد.

* وهذه الآيات القرآنية التى تنفر من مساوئ الأخلاق كثيرة كما قلنا، نذكر منها ما يلى:

أولا:

ما يتصل بمساوئ الأخلاق فى الكلام:

وقد ذكر منها فى القرآن شىء كثير حذر الله منه أو نهى عنه أو هدد قائله أو توعده أو زجره.

* ومن أمثلة ذلك ما يلى:

- لغو الحديث:

وهو الخوض فى كلام يغضب الله ويؤذى الناس ويرضى الشيطان والهوى، وقد نهى القرآن الكريم عن ذلك فى قوله تعالى:

﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٦٨) ﴾ [الأنعام: ٦٨].

وقال عز وجل: ﴿ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ (٨٣) ﴾ [الزخرف: ٨٣].

وقال جل شأنه فى وصف المؤمنين الفالحين: ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (٣) ﴾ [المؤمنون: ٣].

- والسخرية والتنابز بالألقاب:

قال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (١١) ﴾ [الحجرات: ١١].

- والغيبة والظن والتجسس:

وهي أن تذكر أخاك بما يكره، قال الله تبارك وتعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ (١٢) ﴾ [الحجرات: ١٢].

-والكذب:

وهو من الكبائر سواء أكان كذبا على الله أم على الحق أم على الناس، ففى كل أحواله هو رذيلة نهى عنها الإسلام وحذر من مغبتها، قال الله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ (٢١) ﴾ [الأنعام: ٢١].

وقال عز وجل: ﴿ وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا (٤) مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا (٥) ﴾ [الكهف: ٤، ٥].

وقال جل شانه: ﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ (١٠٥) ﴾ [النحل: ١٠٥].

وقال جلا وعلا: ﴿ وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ (٦٠) ﴾ [يونس: ٦٠]

- والتمني:

وهو تقدير شيء فى النفس وتصويره فيها، وقد يكون عن تخمين وظن، أو يكون عن روية وبناء على أصل، ولكن لما كان أكثره عن تخمين صار الكذب له أملك، فأكثر التمنى تصور ما لا حقيقة له.

وهو مذموم إذا كان رغبة فى أن يتميز الإنسان بصفات وخصائص لم يخلقه الله لها، وإنما أعطاها لسواه، لأن هذه الرغبة أو هذا التطلع يتضمن نوعا من عدم الرضا بما قسم الله الإنسان.

قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا (٣٢) ﴾ [النساء: ٣٢].

أى لايتطلع الرجال إلى ما ميز الله به النساء، ولا النساء إلى ما ميز الله به الرجال، فإن لكل جنس منهما حظا ملائما لما طبع عليه من العمل وما أعطى من الحقوق وما ألزم من الواجبات.

وقال جل شانه: ﴿ وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَن مَّنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ (٨٢) ﴾ [القصص: ٨٢].

والادب القرآنى فى الآية الكريمة يوجه إلى عدم تمنى النعم التى ينعم الله بها على الناس من مال وجاه وسلطان، لان اغلب هذه النعم محنة وابتلاء.

- والفضول :

وهو اشتغال الإنسان او تدخله فيما لايعنيه، وهو خلق ذميم، فقد روى الترمذى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من حسن إسلام المرء تركه ما لايعنيه».

وقال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ (١٠١) قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ (١٠٢) ﴾ [المائدة: ١٠١، ١٠٢].

- والرأى الفطير :

وهو ما خطر بالبال وابدى بلا ترو وتثبت، وهو ماخوذ من كل ما أعجل به قبل نضجه، والخبز الفطير انضج قبل ان يختمر، قال الله تعالى: ﴿ وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً (٣٦) ﴾ [الإسراء: ٣٦].

وهو خلق مذموم لما قد يترتب عليه من ضرر بالنفس او بالغير.

وقال جل شانه: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ (٦) ﴾ [الحجرات: ٦].

- البهتان وقذف المحصنات :

والبهتان كذب يبهت سامعه اى يدهشه ويحيره لفظاعته، وقذف المحصنات اى رميهن بالعيوب والصفات الجارحة، وكلاهما خلق ذميم نهى عنه الإسلام.

قال الله تعالى: ﴿ وَمَن يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا (١١٢) ﴾ [النساء: ١١٢].

وقال عز وجل: ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٤) ﴾ [النور: ٤] وذلك عقاب دنيوى.

وقال عز شانه: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٢٣) ﴾ [النور: ٢٣]. وذلك عقاب اخروى

- والنفاق والرياء:

فالنفاق إظهار الإيمان وإخفاء الكفر، أو إظهار صفة صالحة وإخفاء صفة سيئة.

والرياء قريب من النفاق، إذ هو إظهار الإنسان أنه متصف بالخير والصلاح، وهو على خلاف ذلك.

وكلاهما مذموم منهي عنه.

قال الله تعالى: ﴿ لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ (٧٣) ﴾ [الأحزاب: ٧٣].

وقال جل شأنه: ﴿ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا (١٤٠) ﴾ [النساء: ١٤٠].

وقال عز وجل: ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِم بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ (٤٧) ﴾ [الأنفال: ٤٧].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَن يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا (٣٨) ﴾ [النساء: ٣٨].

وبعد: فإن مساوئ الأخلاق التي نفّر منها القرآن الكريم، مما يمارسه الإنسان بلسانه وقوله وكلامه أكثر من ذلك بكثير، ولكننا اكتفينا هنا بذكر هذه المساوئ الخلقية العشرة على سبيل الاستشهاد، والله يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم.

ثانيـا:

ما يتصل بمساوئ الأخلاق في الأعمال:

وهي مساوئ كثيرة حرمها الله تعالى ونهى عنها وهي:

الشرك بالله،

والردّة بعد الإيمان،

وقتل النفس التي حرم الله،

والانتحار،

والتولي يوم الزحف،

وعقوق الوالدين، وإهمال الأبناء ومن في ولايته،

وقطعة الرحم،

والإفساد،

والظلم،

والجبن،

والبخل،

والبغي، والسرقة، وقطع الطريق،

والزنى، واللواط، والمسافحة،

وشرب الخمر، وكل مسكر أو مخدر،

ولعب الميسر، والرهان على غير خف أو حافر،

والغش، والتدليس،

والرّبا،

والاحتكار،

وبيع المسلم على بيع أخيه المسلم وخطبته على خطبته،

والإسراف والتبذير،

والتبديد،

والغرور والعجب والكبرياء والبطر،

والخيانة،

والغدر،

والانتقام،

والغضب، والعنف والقسوة،

والحسد والغيرة،

واليأس والقنوط،

والكراهية،

واتباع الهوى والشهوات

والتشاؤم

والخلاعة والفجور.

وسوف نختار منها عشرا نستشهد على قبحها وتحريمها بآيات من القرآن الكريم ، وهي :

- البخـــل :

وهو الإمساك للأموال عما لايحق حبسها عنه، وهو من أسوأ الأخلاق على مستوى الفرد والمجتمع، فهو يولد الكراهية والأحقاد، والأصل فى المؤمن أن يكون أبعد الناس عن البخل.

قال الله تعالي في ذم البخل والتنفير منه : ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا (٢٩) ﴾ [الإسراء : ٢٩].

وقال جلا وعلا :﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (١٨٠) ﴾ [آل عمران : ١٨٠].

- الجبـــن :

هو ضعف القلب عما يحق أن يقوى عليه، وجبن المرء تهيب أن يقدم على ما لا ينبغي أن يُخاف.

وهو خلق ذميم ، وقد استعاذ رسول الله ﷺ من الجبن والبخل. قال الله تعالى :﴿ وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ (٥٦) لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَّوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ (٥٧) ﴾ [التوبة : ٥٦، ٥٧].

وقال جلا وعلا : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ (١٥) وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (١٦) ﴾ [الأنفال : ١٥، ١٦].

- الحســـد :

وهو تمنى زوال نعمة من مستحقها، وربما صحبه عمل على إزالة تلك النعمة، وهو خلق مذموم وعمل سيئ يدل على فساد قلب عامله، وهو من الرذائل التى استعاذ منها رسول الله ﷺ، كما جاء فى القرآن :﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ (١) مِن شَرِّ مَا خَلَقَ (٢) وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ (٣) وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ (٤) وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ (٥) ﴾ [الفلق : ١ - ٥].

وقال جلا وعلا :﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ (١٠٩) ﴾ [البقرة : ١٠٩].

وقال جلا وعلا: ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا (٥٤) ﴾ [النساء: ٥٤].

- الإسراف والتبذير:

الإسراف هو تجاوز الحد فى كل فعل يفعله الإنسان، وإن كان قد اشتهر في الإنفاق،

والتبذير تضييع المال وتفريقه فى غير وجوهه،

وكلاهما خلق مذموم نهى الله تعالى عنه وجعله حراما.

قال الله تعالى: ﴿ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ (٣١) ﴾ [الأعراف: ٣١].

وقال جل شانه: ﴿ وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا (٢٦) إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا (٢٧) ﴾ [الإسراء: ٢٦، ٢٧].

- الظلم:

وهو وضع الشيء فى غير موضعه المختص به، إما بنقص أو بزيادة، أو بعدول عن وقته أو مكانه.

ويستعمل الظلم فى الذنب الكبير وفى الذنب الصغير، وكله مذموم حرمه الله تعالى ونهى عنه.

وقسم العلماء الظلم إلى أنواع ثلاثة:

- ظلم بين الإنسان وربه، وأعظمه الشرك والكفر والنفاق،
- وظلم بين الإنسان وغيره من الناس،
- وظلم بين الإنسان ونفسه.

وهذه الثلاثة حرام نهى الله عنها فى آيات قرآنية كريمة.

وفي التنفير من الظلم وبشاعته جاء قول الله تبارك وتعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (٥٤) ﴾ [يونس: ٥٤].

وقال جل شانه: ﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ (٢٢٧) ﴾ [الشعراء: ٢٢٧].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ (٨٢) ﴾ [الأنعام: ٨٢].

والبغـــى:

تجاوز عما يجب، وتارة يكون التجاوز فى الكمية وتارة يكون فى الكيفية، والبغى نوعان:

محمود: وهو تجاوز العدل إلى الإحسان، وتجاوز الفرض إلى التطوع، وذلك خلق حميد وعمل رشيد.

ومذموم: وهو تجاوز الحق إلى الباطل أو تجاوزه إلى الشبهات، وذلك خلق ذميم نفر منه القرآن الكريم فى كثير من آياته.

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٤٢) ﴾ [الشورى: ٤٢].

وقال عز وجل: ﴿ فَلَمَّا أَنجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰ أَنفُسِكُم مَّتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٢٣) ﴾ [يونس: ٢٣].

وقال جل وعلا: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٣٣) ﴾ [الأعراف: ٣٣].

- الإفســـاد:

هو إخراج الشيء عن حد الاعتدال، سواء أكان هذا الإخراج قليلا أم كثيرا، ويقابله: الإصلاح،

والإفساد يكون فى النفس أو البدن أو الأشياء الخارجة عن الاستقامة والاعتدال،

والمفسد هو من يمارس الإفساد وهو مذموم عاص لله تعالى،

والإفساد خلق ذميم وعمل مغضب لله تعالى، وفيه وردت آيات قرآنية تنفر منه وتتوعد بالعقاب عليه.

قال الله تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (٢٧) ﴾ [البقرة: ٢٧].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٣٣) ﴾ [المائدة: ٣٣].

وقال عز وجل ﴿ وَلا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ (٥٦) ﴾ [الأعراف: ٥٦].

- والغرور والعُجْب:

والمغرورهو من غره الشيطان أو الدنيا أو المال أو الجاه أو الشهوة أو غره إنسان مثله فهو غرير ومغرور وهو الغافل المخدوع عن الحق،

والغرور -بفتح العين- الشيطان فهو أخبث الغارّين.

والعُجْب: الكبر والزهو،

وهما خلقان مذمومان قريب أحدهما من الآخرة، وقد نهى الله تبارك عنهما ونفر منهما، ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿ اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ (٢٠) ﴾ [الحديد: ٢٠].

وقال عز شانه: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ (٥) ﴾ [فاطر: ٥].

وقال جل وعلا: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالاً فَخُورًا (٣٦) ﴾ [النساء: ٣٦].

- واتباع الهوى والشهوات:

الهوى: ميل النفس إلى الشهوة، وسمى بذلك لانه يهوى بصاحبه فى الدنيا إلى كل داهية وفى الآخرة إلى الهاوية.

وهو خلق مذموم، بل عظم الله تعالى ذمّ اتباع الهوى فى قوله تعالى: ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلا تَذَكَّرُونَ (٢٣) ﴾ [الجاثية: ٢٣].

وقال جل شانه: ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ

بغير هدى من الله إن الله لا يهدي القوم الظالمين ﴿٥٠﴾ ﴾ [القصص: ٥٠].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب ﴿١٤﴾ ﴾ [آل عمران: ١٤].

- والخيانة:

وهى والنفاق واحد، إلا أن الخيانة تقال اعتبارا بالعهد والأمانة، والنفاق يقال اعتبارا بالدين، ثم يتداخلان.

والخيانة: مخالفة الحق بنقض العهد فى السر.

وهى خلق مذموم ذمه الله تعالى وحذر منه، كما جاء ذلك فى قوله تعالى: ﴿ إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيما ﴿١٠٥﴾ واستغفر الله إن الله كان غفورا رحيما ﴿١٠٦﴾ ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم إن الله لا يحب من كان خوانا أثيما ﴿١٠٧﴾ يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم إذ يبيتون ما لا يرضى من القول وكان الله بما يعملون محيطا ﴿١٠٨﴾ ها أنتم هؤلاء جادلتم عنهم في الحياة الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة أم من يكون عليهم وكيلا ﴿١٠٩﴾ ﴾ [النساء: ١٠٥ - ١٠٩].

وقال جل شانه: ﴿ وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء إن الله لا يحب الخائنين ﴿٥٨﴾ ﴾ [الأنفال: ٥٨].

وبعد: فإن هذه الأخلاق المذمومة عندما يمارسها الإنسان يخطئ فى حق ربه الذى أمره باجتنابها، ويخطئ فى حق نفسه، إذ أوردها موارد المعصية، ويخطئ فى حق الناس؛ إذ سريعا ما تسوء العلاقة بينه وبينهم، ويخطئ فى حق المجتمع الذى يعيش فيه؛ إذ سريعا ما تكثر فيه الأخطاء والخطايا، وسريعا ما تسرى فيه أسباب الفساد ثم الانهيار.

وقد قامت على صدق ذلك عشرات الأدلة والبراهين على مر عصور البشرية قبل الإسلام وبعد الإسلام وإلى أن يقوم الناس لرب العالمين.

إنها سنة الله فى خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلا.

أرأيت فى الماضى البعيد كيف انهارت دول لانهيار الأخلاق فيها؟

لقد انهارت عاد إرم ذات العماد، وثمود الذين جابوا الصخر بالواد، وفراعنة مصر، وقوم

لوط، وقوم نوح!!!

أرأيت كيف انهارت الحضارات الوسيطة فعاشت أوربا فى ظلام وجهل وتخلف عددا من القرون هى التى سميت عندهم بالعصور الوسطى!!!

أرأيت إلى ما كان يعرف بالاتحاد السوفيتى كيف انهارت فيه الأخلاق فانهار وهو يناطح أكبر قوة فى العصر الحديث، فما أغنت عنه قوته ولا اتساع رقعته ولا ما أحرزه من تقدم علمى وفنى!!!

إن ذلك مصير كل أمة لا تلتزم فى أخلاقها بممارسة الفضائل ومحاربة الرذائل، وتلك سنة الله فى الناس ولن تجد لها تبديلا!!!



الفصل الثانى

التربية الخلقية فى السنة النبوية

ويتناول :

١ - أحاديث نبوية فى الحض على محاسن الأخلاق

٢ - أحاديث نبوية فى التنفير من مساوئ الأخلاق

التربية الخلقية فى السنة النبوية المطهرة

قال رسول الله ﷺ : «إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق».

فيما رواه ابن سعد والبخارى فى الأدب المفرد والحاكم فى مستدركه والبيهقى فى شعب الإيمان، كلهم رووه بأسانيدهم عن أبى هريرة رضى الله عنه.

هذا الحديث النبوى الشريف يوضح أن الهدف من نبوة محمد ﷺ النبوة الخاتمة، بعد أن غبرت البشرية من عمرها قرونا عديدة وأرسل الله تعالى إليها كثيرا من الأنبياء والمرسلين، الهدف من تلك النبوة الخاتمة بعد تلك التجارب النبوية السابقة، هى تتميم صالح الأخلاق.

* ومن معانى هذا الحديث الشريف التى يوحى بها أن الأخلاق الصالحة تراث فى الإنسانية تتناقله الأجيال والأحقاب، وكلما جاء جيل من الإنسانية أخذ من صالح الأخلاق بنصيب، وأن مهمة الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام أن يشجعوا الناس على أن يأخذوا من صالح الأخلاق بأوفر نصيب، وأن الذين يعاندون الأنبياء والمرسلين إنما يعاندونهم فى اتباع صالح الأخلاق، وأن هؤلاء المعاندين عندما يستبد بهم الشيطان فيصرفهم عن صالح الأخلاق فإنما يمهدون بهذا الانصراف إلى انهيار مجتمعاتهم وأممهم.

* وكلما انهارت أمة -لانصرافها عن صالح الأخلاق- من رحمة الله تعالى بهم أن يرسل رسولا آخر، ليعود بالناس إلى وجوب تمسكهم بصالح الأخلاق، وقد استمر موكب الأنبياء والمرسلين فى طريقه حتى شاء الله تعالى أن يختم هذا الموكب بمحمد ﷺ حيث لا رسول بعده.

* وأن هذا الرسول الخاتم ﷺ كان لابد أن يجىء للبشرية كلها بمنهج يشتمل على كل القيم الخلقية الصالحة، لأنه لا نبى بعده يستكمل ما تركه فى منهجه، وقد جاء محمد ﷺ بهذا المنهج الذى يتميز بأنه من عند الله فلا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وبأنه كامل تام، وأن كل قيمه ومبادئه تنتمى إلى صالح الأخلاق.

* وأن كلمة «صالح الأخلاق» لها دلالات وإيحاءات نرجو أن نلقى عليها بعض الضوء فى السطور التالية:

أولا:

صالح الأخلاق هو الذى يشتمل على صلاح الناس فى دينهم ودنياهم افراداً وأسراً وجماعات ومجتمعا وأمة إسلامية، وأمما أخرى لو أخذت بصالح الأخلاق.

وأنه بغير صالح الأخلاق لا يحدث تعايش بين الناس ولا تعاون، فضلا عن وئام ومحبة وتراحم وتكافل. لأن فاسد الأخلاق يؤدى إلى التنافس فالتعادى والتقاتل، ثم إلى الخراب والدمار.

ثانيا:

أن صالح الأخلاق، الذى كان سائداً عند مجيء الرسول ﷺ، لم يكن كافياً لتكوين المجتمع الآمن أو الأمة المتعاونة على البر والتقوى، فضلا عن الأمم المتعايشة فى سلام وأمن، وأن المتمسكين بصالح الأخلاق فى تلك الآونة كانوا قلة، وكان تمسكهم ببعض هذا الصالح دون بعض. ومن هنا كانت حاجة البشرية إلى نبى يتمم صالح الأخلاق، وكان ذلك هو محمد الرسول الخاتم ﷺ.

ثالثا:

أن صالح الأخلاق، عندما يتمم على يد محمد ﷺ، فإنه يعنى أن كل ما يجيء به الإسلام من قيمة خلقية إنما يمثل لبنة فى بناء الحضارة الإنسانية الإسلامية، كما أشارت إلى ذلك أحاديث الرسول ﷺ التى نوردها فيما يلى:

– روى البخارى ومسلم بسنديهما عن جابر رضى الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «مثلى فى النبيين كمثل رجل بنى دارا فأحسنها وأكملها وأجملها، وترك فيها موضع لبنة لم يضعها، فجعل الناس يطوفون بالبنيان، ويعجبون منه ويقولون: لو تم وضع هذه اللبنة، فأنا فى النبيين موضع تلك اللبنة».

– روى البخارى ومسلم بسنديهما عن أبى موسى رضى الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «مثلى ومثل ما بعثنى الله به، كمثل رجل أتى قوما، فقال: يا قوم إنى رأيت الجيش بعينى، وإنى أنا النذير العريان، فالنجاء النجاء، فأطاعه طائفة من قومه، فادلجوا وانطلقوا على مهلهم فنجوا، وكذبته طائفة منهم، فأصبحوا مكانهم، فصبحهم الجيش، فأهلكهم واجتاحهم، فذلك مثل من أطاعنى فاتبع ما جئت به، ومثل من عصانى وكذب بما جئت به من الحق».

رابعا:

أن هذا التتميم لصالح الأخلاق يقتضى الالتزام بكل قيمة خلقية جاء بها الإسلام، التزاما على مستوى الفرد والأسرة والمجتمع والأمة الإسلامية كلها.

تلك هي التربية الخلقية من السنة النبوية المطهرة إجمالا. أما تفصيل ما جاءت به السنة النبوية فى التربية الخلقية، فإنه وفق منهجنا فى هذا الكتاب يتناول أمرين:

الأول: الأحاديث النبوية التى جاءت فى الحض على محاسن الأخلاق أو محامدها أو مكارمها.

والثانى: الأحاديث النبوية التى جاءت فى التنفير من مساوئ الأخلاق أو مذمومها أو سفاسفها، مما سوف نورده فيما يلى، والله المستعان.

١ - أحاديث نبوية فى الحض على محاسن الأخلاق

كل الأحاديث النبوية التى تأمر المسلم بأن يفعل كذا مما أمر به الله تبارك وتعالى، أو تحثه على فعل خير أو أمر بمعروف، أو تثنى على من يفعل الخير، أو على صاحب الخلق الحسن، كل هذه الأحاديث النبوية تعد مما يحض على محاسن الأخلاق.

* ولقد قال رسول الله ﷺ فيما يرويه أحمد بسنده عن أبى أمامة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «إذا سرتك حسنتك، وساءتك سيئتك فأنت مؤمن». ومعنى الحديث الشريف أنه لا إيمان إذا لم يُسَرّ الإنسان بأنه يفعل الخير، وإذا لم يسئه أنه فعل الشر.

* والأحاديث النبوية التى وردت فى الحث على مكارم الأخلاق أكثر من أن نحصيها فى هذه النقطة من الكتاب، غير أنى سوف أكتفى منها بما يكون شاهدا ودليلاً -كما صنعت ذلك فى آيات القرآن الكريم،

ومن هذه الأحاديث الكريمة ما دعا إلى حسن الخلق بعامة، ومنها ما دعا إلى فضائل بعينها تعد من محامد الأخلاق.

* أما الأحاديث التى دعت إلى حسن الخلق فمنها ما يلى:

- روى البزار بسنده عن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «إن أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا، وإن حسن الخلق ليبلغ درجة الصوم والصلاة».

- وروى الطبرانى فى الأوسط بسنده عن جابر رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «إن الله تعالى جميل يحب الجمال، ويحب معالى الأخلاق ويكره سفافها».

- وروى ابن عساكر بسنده عن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «إن الله كريم يحب الكرماء جواد يحب الجودة، يحب معالى الأخلاق ويكره سفافها».

- وروى الحاكم فى مستدركه بسنده عن أبى أيوب رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «اللهم اغفر لى ذنوبى وخطاياى كلها، اللهم أنعشنى واجبرنى، واهدنى لصالح الأعمال والأخلاق، فإنه لا يهدى لصالحها ولا يصرف سيئها إلا أنت».

- وروى مسلم بسنده عن النواس بن سمعان رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «البر حسن الخلق، والإثم ما حاك فى صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس».

- وروى أبو يعلى في مسنده بسنده عن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «عليك بحسن الخلق، وطول الصمت، فوالذى نفسى بيده ما تجمل الخلائق بمثلهما».

- وروى الترمذى بسنده عن أبى الدرداء رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من شيء يوضع فى الميزان أثقل من حسن الخلق، وإن صاحب حسن الخلق ليبلغ به درجة صاحب الصوم والصلاة».

* وأما الأحاديث النبوية التى دعت إلى التحلى بفضائل معينة -تعد حثا وتشجيعا على محامد الأخلاق- فهى كثيرة، نكتفى منها بما نورده هنا على سبيل الاستشهاد، على النحو التالى:

- روى الطبرانى فى الكبير بسنده عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «أفضل المؤمنين إسلاما من سلم المسلمون من لسانه ويده، وأفضل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا، وأفضل المهاجرين من هجر ما نهى الله تعالى عنه، وأفضل الجهاد من جاهد نفسه فى ذات الله عز وجل».

- وروى ابن النجار بسنده عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أقربكم منى مجلسا يوم القيامة أحسنكم خلقا».

- وروى أبو داود بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا».

- وروى الطبرانى فى الأوسط بسنده عن أبى سعيد رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا، الموطؤون أكنافا، الذين يألفون ويؤلفون، ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف».

- وروى الترمذى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا، وخياركم خياركم لنسائهم».

- وروى ابن ماجة بسنده عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وكونوا إخوانا كما أمركم الله».

- وروى البيهقى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أفضل الأعمال أن تدخل على أخيك المؤمن سرورا، أو تقضى عنه دينا، أو تطعمه خبزا».

– وروى البخارى فى تاريخه بسنده عن عمير الليثى رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أفضل الإيمان الصبر والسماحة».

– وروى الترمذى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنما بعثتم ميسرين، ولم تبعثوا معسرين».

– وروى ابن ماجة بسنده عن جابر رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أيها الناس اتقوا الله وأجملوا فى الطلب، فإن نفسا لن تموت حتى تستوفى رزقها، وإن أبطأ عنها، فاتقوا الله وأجملوا فى الطلب، خذوا ما حل ودعوا ما حرم».

وروى ابن ماجة بسنده عن جابر رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أيها الناس عليكم بالقصد، عليكم بالقصد، فإن الله تعالى لا يمل حتى تملوا».

– وروى الترمذى بسنده عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أوصيكم بأصحابى ثم الذين يلونهم، ثم يفشو الكذب حتى يحلف الرجل ولا يستحلف، ويشهد الشاهد، ولا يستشهد، الا لا يخلون رجل بامرأة إلا كان ثالثهما الشيطان، عليكم بالجماعة، وإياكم والفرقة، فإن الشيطان مع الواحد، وهو من الاثنين أبعد، ومن أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة، ومن سرته حسنته وساءته سيئته فذلكم المؤمن».

– وروى ابن أبى الدنيا فى «قضاء الحوائج» بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «عليكم باصطناع المعروف فإنه يمنع مصارع السوء، وعليكم بصدقة السر فإنها تطفئ غضب الرب عز وجل».

– وروى الحاكم فى مستدركه بسنده عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ارحم من فى الأرض يرحمك من فى السماء».

– وروى مسلم بسنده عن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها قالت: قالت رسول الله ﷺ: «يا عائشة إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطى على الرفق ما لا يعطى على العنف، وما لا يعطى على سواه».

– وروى الطبرانى فى الأوسط بسنده عن أبى أمامة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «عليكم بالجهاد فى سبيل الله، فإنه باب من أبواب الجنة يذهب الله به الهم والغم».

– وروى أحمد بسنده عن بلال رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «عليكم بقيام الليل، فإنه دأب الصالحين قبلكم، وقربة إلى الله تعالى ومنهاة عن الإثم، وتكفير للسيئات

ومطردة للداء عن الجسد».

- وروى مسلم بسنده عن أبى موسى رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ادعوا الناس وبشروا ولا تنفروا، ويسروا ولا تعسروا».

- وروى البخارى ومسلم بسنديهما عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا أحسن أحدكم إسلامه فكل حسنة يعملها يكتب له عشرة أمثالها إلى سبعمائة ضعف، وكل سيئة يعملها يكتب له مثلها حتى يلقى الله».

- وروى الطبرانى فى الأوسط بسنده عن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إذا حكمتم فاعدلوا وإذا قلتم فأحسنوا، فإن الله محسن يحب المحسنين».

- وروى أبو داود بسنده عن المقداد بن معد يكرب رضى الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا أحب أحدكم أخاه، فليخبره أنه يحبه».

- وروى الطبرانى فى الكبير بسنده عن أبى أمامة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اكفلوا لى بست أكفل لكم بالجنة، إذا حدث أحدكم فلا يكذب، وإذا اؤتمن فلا يخن، وإذا وعد فلا يخلف، وغضوا أبصاركم، وكفوا أيديكم، واحفظوا فروجكم».

- وروى الطبرانى فى الأوسط بسنده عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاث مهلكات، وثلاث منجيات، وثلاث كفارات، وثلاث درجات:

فأما المهلكات: فشح مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه،

وأما المنجيات: فالعدل فى الغضب والرضا، والقصد فى الفقر والغنى، وخشية الله فى السر والعلانية.

وأما الكفارات: فانتظار الصلاة بعد الصلاة، وإسباغ الوضوء فى السَّبَرات[1]، ونقل الأقدام إلى الجماعات.

وأما الدرجات: فإطعام العام وإفشاء السلام والصلاة بالليل والناس نيام».

- وروى أبو داود بسنده عن أبى أمامة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة كلهم ضامن على الله:

---

(١) جمع: سبرة وهى الغداة الباردة.

* رجل خرج غازيا فى سبيل لله، فهو ضامن على الله حتى يتوفاه فيدخله الجنة، أو يرده بما نال من أجر أو غنيمة..

* ورجل راح إلى المسجد فهو ضامن على الله حتى يتوفاه فيدخله الجنة أو يرده بما نال من أجر،

* ورجل دخل بيته بسلام فهو ضامن على الله».

– وروى ابن ماجة بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «خمس من حق المسلم على المسلم: رد التحية، وإجابة الدعوة، وشهود الجنازة، وعيادة المريض، وتشميت العاطس إذا حمد الله».

– وروى البزار بسنده عن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «سبع يجرى للعبد أجرهن وهو فى قبره بعد موته:

مَنْ عَلّم علما، أو أجرى نهرا، أو حفر بئرا، أو غرس نخلا، أو بنى مسجدا، أو ورّث مصحفا، أو ترك ولدا يستغفر له بعد موته».

– وروى البخارى ومسلم بسنديهما عن النعمان بن بشير رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «الحلال بيّن، والحرام بيّن، وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمها كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لعرضه ودينه، ومن وقع فى الشبهات وقع فى الحرام، كراع يرعى حول الحمى يوشك أن يواقعه، إلا وإن لكل ملك حمى، ألا وإن حمى الله تعالى فى أرضه محارمه، ألا وإن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهى القلب».

– وروى أحمد بسنده عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «خير الأصحاب عند الله خيرهم لصاحبه، وخير الجيران عند الله خيرهم لجاره».

– وروى الطبرانى فى الكبير بسنده عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «خير الناس ذو القلب المحموم، واللسان الصادق، قيل: ما القلب المحموم؟

قال: هو التقى النقى الذى لا إثم فيه ولا بغى ولا حسد،

قيل: فَمَنْ على أثره؟ قال: الذى يشنأ الدنيا، ويحب الآخرة،

قيل: فَمَنْ على أثره؟ قال: مؤمن فى خلق حسن».

– وروى البخارى بسنده عن جابر رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «رحم الله عبدا سمحا إذا باع، سمحا إذا اشترى، سمحا إذا قضى، سمحا إذا اقتضى».

– وروى الترمذى بسنده عن عبد الله بن سرجس رضى الله عنه، قال:

قال رسول الله ﷺ: «السمت الحسن، والتؤدة، والاقتصاد، جزء من أربعة وعشرين جزءا من النبوة».

وبعد، فهذه الأحاديث النبوية التى ذكرنا تحض على مكارم الأخلاق ومحاسنها، مثلها كثير من كتب السنة مما لا أستطيع استقصاءه فى هذا المجال.

وكل ذلك يدل على أن التربية الخلقية فى الإسلام تقوم الفضائل والمحامد والمحاسن فى الأخلاق، وأنه بهذه الأخلاق تقوم حياة اجتماعية راشدة تليق بإنسانية الإنسان.

٢ - أحاديث نبوية فى التنفير من مساوئ الأخلاق

كل الأحاديث النبوية التى تنهى المسلم عن عمل أو خلق أو الاتصاف بصفة، إنما تنفر من مساوئ الأخلاق ومذمومها، ولقد سبق أن قلت: إن السنة كلها أمر أو نهى أو ندب أو تحذير فما كان منها فى النهى والتحذير فهو فى التنفير من مساوئ الأخلاق.

ولقد بوب بعض علماء السنة فى كتبهم بابا أطلقوا عليه «باب المناهى» جمعوا فيه الأحاديث النبوية التى بدأت بكلمة «نهى رسول الله ﷺ عن كذا.....».

ولقد بوب ذلك السيوطى فى كتابه الجامع الصغير، فذكر من هذه الأحاديث الشريفة مائة وثلاثة وسبعين حديثا نبويا صحيحا فى متنه وسنده، فضلا عما ورد فى هذا الباب من أحاديث عدها بعض علماء الحديث ضعيفة[١].

ومن أمثلة هذه الأحاديث النبوية ما نورد بعضه فيما يلى:

- روى الطبرانى فى الكبير بسنده عن عمرو بن العاص رضى الله عنه قال: «نهى رسول الله ﷺ أن نكلم النساء إلا بإذن أزواجهن».

- وروى ابن حبان بسنده عن أنس رضى الله عنه قال: «نهى رسول الله ﷺ أن يتباهى الناس فى المساجد».

- وروى البيهقى فى شعب الإيمان بسنده عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال: «نهى رسول الله ﷺ أن يجلس الرجل بين الرجلين إلا بإذنهما».

- وروى أحمد بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: «نهى رسول الله ﷺ أن يفرد يوم الجمعة بصوم».

- وروى الترمذى بسنده عن جابر رضى الله عنه قال: «نهى رسول الله ﷺ أن ينام الرجل على سطح ليس بمحجور عليه».

- وروى البخارى ومسلم بسنديهما عن أبى سعيد رضى الله عنه قال:

---

(١) انظر: الجامع الصغير للسيوطى: ٢/ ١١٥٢ - ١١٧١، ط المكتب الإسلامى: ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

«نهى رسول الله ﷺ عن اختناث الأسقية»(١).

– وروى أبو داود بسنده عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال: «نهى رسول الله ﷺ عن الجلوس على مائدة يشرب عليها الخمر، وان ياكل الرجل وهو منبطح على بطنه».

– وروى ابن ماجة بسنده عن البراء رضى الله عنه قال: «نهى رسول الله ﷺ عن الديباج والحرير والاستبرق».

– وروى الإمام أحمد بسنده عن معاوية رضى الله عنه قال: «نهى رسول الله ﷺ عن النوح والتصاوير، وجلود السباع، والتبرج، والغناء، والذهب، والخز، والحرير».

– وروى الطبرانى فى الأوسط بسنده عن ابن عمرو رضى الله عنهما قال: «نهى رسول الله ﷺ عن ثمن الكلب وثمن الخنزير، وثمن الخمر، وعن مهر البغى، وعن عسب الفحل».

* وأما الأحاديث النبوية التى نفرت من مساوىء الأخلاق فهى كثيرة نذكر منها الشاهد والمثال فيما يلى، والله المستعان:

– روى ابن ماجة بسنده عن أبى بكر رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «عليكم بالصدق فإنه مع البر، وهما فى الجنة، وإياكم والكذب فإنه مع الفجور، وهما فى النار، وسلوا الله اليقين والمعافاة؛ فإنه لم يؤت أحد بعد اليقين خيرا من المعافاة، ولا تحاسدوا، ولا تباغضوا، ولا تقاطعوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخوانا كما أمركم الله».

– وروى الترمذى بسنده عن أبى سعيد رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا أصبح ابن آدم فإن الأعضاء كلها تكفر اللسان، فتقول: اتق الله فينا، فإنما نحن بك، فإن استقمت استقمنا، وإن اعوججت اعوججنا».

– وروى مسلم بسنده عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة يرفع لكل غادر لواء، فقيل: هذه غدرة فلان ابن فلان».

– وروى الحاكم بسنده عن ابن عمرو رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا رأيت الناس قد مرجت عهودهم، وخفت أماناتهم وكانوا هكذا –وشبك بين أصابعه– فالزم

---

(١) والاختناث هو ان تكسر افواه القرب ونحوها ويشرب منها مباشرة بان يضع الشارب فمه على فمها، لما فى هذا النهى من تجنب العدوى.

بيتك، واملك عليك لسانك، وخذ ما تعرف، ودع ما تنكر، وعليك بخاصة أمر نفسك، ودع عنك أمر العامة ».

– وروى ابن منيع بسنده عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا سبك رجل بما يعلم منك، فلا تسبه بما تعلم منه، فيكون أجر ذلك لك، ووباله عليه».

– وروى أحمد بسنده عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا ضن الناس بالدينار والدرهم، وتبايعوا بالعينة[1]، وتبعوا أذناب البقر، وتركوا الجهاد فى سبيل الله، أدخل الله تعالى عليهم ذلا لا يرفعه عنهم حتى يراجعوا دينهم».

– وروى أحمد بسنده عن أبى مالك الأشعرى رضى الله عنه قال:

قال رسول الله ﷺ: «أربع بقين فى أمتى من أمر الجاهلية ليسوا بتاركيها:

* الفخر بالأحساب،

* والطعن فى الأنساب،

* والاستقاء بالنجوم،

* والنياحة على الميت، وإن النائحة إذا لم تتب قبل الموت جاءت يوم القيامة عليها سربال من قطران ودرع من لهب النار».

– وروى النسائى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أربعة يبغضهم الله تعالى: البياع الحلاف، والفقير المختال، والشيخ الزانى، والإمام الجائر».

– وروى أبو داود بسنده عن ابن عمرو رضى الله عنهما قال: قال رسول ﷺ: «إياكم والشح، فإنما هلك من كان قبلكم بالشح، أمرهم بالبخل فبخلوا، وأمرهم بالقطيعة فقطعوا، وأمرهم بالفجور ففجروا».

– وروى النسائى بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إياكم والغلو فى الدين، فإنما هلك من كان قبلكم بالغلو فى الدين».

– وروى أحمد بسنده عن الزبير رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «دبّ إليكم داء الأمم قبلكم:

---

(١) هو نوع من البيع فيه احتيال يقربه من الربا، وهو أن يبيع من رجل سلعة بثمن معلوم إلى أجل مسمى، ثم يشتريها منه بأقل من الثمن الذى باعها به.

الحسد والبغضاء، هى الحالقة: حالقة الدين لا حالقة الشعر، والذى نفس محمد بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أفلا أنبئكم بشيء إذا فعلتموه تحاببتم، أفشوا السلام بينكم».

– وروى أحمد بسنده عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة قد حرم الله عليهم الجنة:

مدمن الخمر،

والعاقّ،

والديّوث الذى يقر فى أهله الخبث».

– وروى الطبرانى بسنده عن معاوية رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أعرضوا عن الناس، ألم تر أنك إن ابتغيت الريبة فى الناس أفسدتهم أو كدت تفسدهم».

– وروى البيهقى فى شعب الإيمان بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «اغتنم خمسا قبل خمس:

حياتك قبل موتك،

وصحتك قبل سقمك،

وفراغك قبل شغلك،

وشبابك قبل هرمك،

وغناك قبل فقرك».

– وروى البخارى ومسلم بسنديهما عن عائشة رضى الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «إنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد».

– وروى الطبرانى بسنده عن عابس الغفارى قال: قال رسول الله ﷺ: «بادروا بالأعمال ستا:

إمارة السفهاء،

وكثرة الشرط،

وبيع الحكم ،

واستخفافا بالدم،

وقطيعة الرحم .

ونشؤا يتخذون القرآن مزامير، يقدمون أحدهم ليفتيهم وإن كان أقلهم فقها » .

– وروى مسلم بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يا أيها الناس، إن الله طيب، لايقبل إلا طيبا، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، فقال : ﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ (٥١) ﴾ [المؤمنون : ٥١] وقال : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ (١٧٢) ﴾ [البقرة :١٧٢]، ثم ذكر الرجل يطيل السفر، أشعث أغبر، يمد يديه إلى السماء : يارب، يارب ! ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذى بالحرام فأنى يستجاب لذلك؟! » .

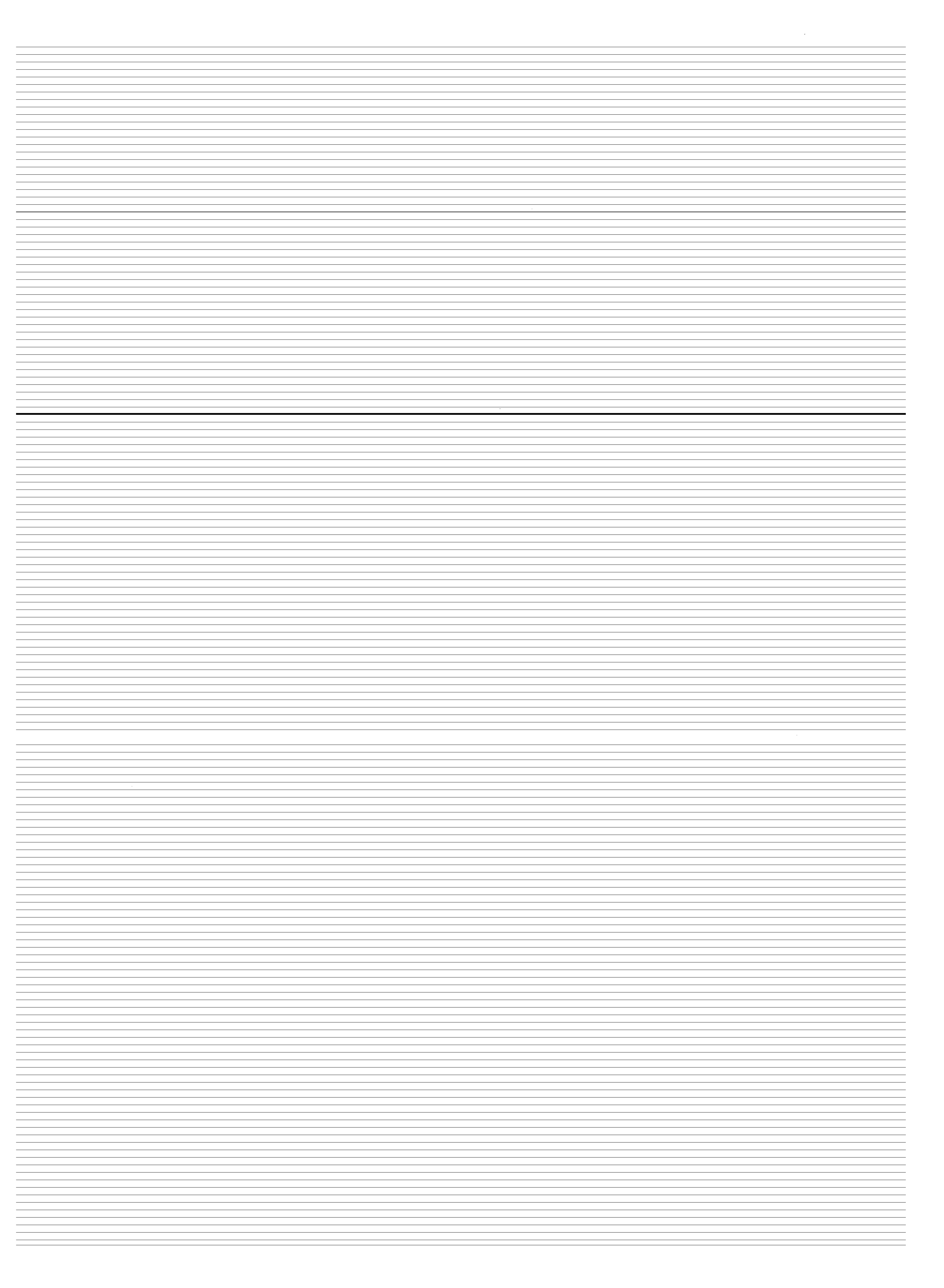
– وروى أبو داود بسنده عن أبى أمامة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أنا زعيم ببيت فى ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقا، وببيت فى وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحا، وببيت فى أعلى الجنة لمن حسن خلقه » .

– وروى النسائى بسنده عن فضالة بن عبيد رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أنا زعيم لمن آمن بى وأسلم وهاجر ببيت فى ربض الجنة وبيت فى وسط الجنة، وبيت فى أعلى الجنة، وأنا زعيم لمن آمن بى وأسلم وجاهد فى سبيل الله ببيت فى ربض الجنة، وبيت فى وسط الجنة، وبيت فى أعلى غرف الجنة، فمن فعل ذلك لم يدع للخير مطلبا، ولا من الشر مهربا، يموت حيث شاء أن يموت » .

– وروى البخارى ومسلم بسنديهما عن حكيم بن حزام رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن هذا المال خضر حلو فمن أخذه بحقه بورك له فيه، ومن أخذه بإشراف نفس لم يبارك له فيه، وكان كالذى يأكل ولا يشبع، واليد العليا خير من اليد السفلى » .

وبعد :

فهذه بعض الأحاديث النبوية الشريفة التى نفرت من مساوئ الأخلاق، نرجو أن نكون قد وفقنا فى اختيارها من هذا البحر الزاخر من سنة الرسول ﷺ .



الفصل الثالث

صور من أخلاق النبى ﷺ

ويتناول :

١ - صور من أخلاقه الشخصية ﷺ .

٢ - صور من أخلاقه فى المجال الاجتماعى .

٣ - صور من أخلاقه فى المجال السياسى .

صور من أخلاق النبي ﷺ

أخلاق النبي ﷺ ، تلتمس في القرآن الكريم، وفي السنة النبوية المطهرة، وفي سيرته ﷺ .

وشخصية الرسول ﷺ هي القدوة للمسلمين في كل أمر من أمورهم الدينية والدنيوية، إلي أن يقوم الناس لرب العالمين، والقدوة فيه ﷺ بالنص القرآنى ﴿ **لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً** (٢١) ﴾ [الأحزاب : ٢١] ولذلك جعله الله تعالي معصومًا من الخطأ فى أى أمر من أمور الدين.

ولا تلتمس الأخلاق الإسلامية فى مصدر أكمل من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة بمعناها الواسع الذى تدخل فيه سيرة الرسول ﷺ ، وليست هناك تربية خلقية إسلامية دون تعرف أخلاق الرسول ﷺ ؛ إذ هو القدوة .

وسوف نحاول فى هذا الفصل من الكتاب أن نعرف صورا من أخلاق النبى ﷺ فى المجالات التالية :

– مجال الأخلاق الشخصية له ﷺ ، وكل ما تشتمل عليه من :

حياء ، وأمانة، ووفاء، وعفو وتسامح، وكرم، وشجاعة، وعفة، ورفق، وإنصاف للغير من نفسه ﷺ –فى إيجاز يناسب المقام .

– والمجال الاجتماعى، وما يتضمنه هذا المجال من :

تعامل فى داخل الأسرة أهلا وأبناء، وتعامل مع الأقارب والأرحام، ومع الضيفان والجيران، ومع الإخوان والأصدقاء، ومع اليتامى والمحاويج، وأدب فى الإصلاح بين الناس .

– والمجال السياسى : وما تفيض به الأخلاق النبوية من :

تحديد وتوضيح لمكانة ولى الأمر فى الدولة المسلمة، وتحديد لما يجب أن يسير عليه فى حكم الناس من: عدل ، وشورى، ورعاية وتكافل، وتطبيق لشريعة الله على عباده فى كل ما يحيط بالناس من حقوق وواجبات، وخصوصا الحدود والعقوبات التى فرضها الله على كل مرتكب لذنب يستحق هذه العقوبة .

وما يتميز به خلق الرسول ﷺ وهديه فى المسائل الاقتصادية التى من خلالها يتحقق

للمجتمع عدالة اجتماعية ورخاء، من نظم منها :

الزكاة ، والصدقات، والوصية، والميراث، والعقود العادلة فى المعاملات كلها، ومن تحريم للربا والاحتكار والغش والتدليس، وتحديد اهلية التصرف فى المال، والمحافظة على هذا المال حيث لا إسراف فيه لا إهدار له، ولا إعطاء إياه للسفهاء .

والحقيقة التى نحب ان نؤكدها فى هذا الفصل ان اخلاق الرسول ﷺ ، تهدى المسلمين إلى كل ما هم فى حاجة إليه من شئون الدين والدنيا .

وإلى تفصيل الحديث فى هذه النقاط التى اشرنا إليها، والله المستعان .

١ - صور من أخلاقه الشخصية ﷺ

نعنى بأخلاقه الشخصية ﷺ ، ما هيأه الله تعالى له من مكارم الأخلاق التى تلائم نبيا خاتما، جاء يدعو العالم كله إلى عبادة الله وحده، والتلقى عنه وحده ، واتباع منهجه .

● وأبرز هذه الأخلاق- فى مجال كتابتنا المختصرة هذه -هو أن نجمل هذه الأخلاق فى كلمة قرآنية تصف خلقه ﷺ فى قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ [القلم : ٤] .
وفى كلمة أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها، عندما سئلت عن خلقه فقالت: كان خلقه القرآن، وفى كلمة من عند معظم علماء المسلمين الذين كتبوا سيرته: إنه ﷺ كان متحليا بكل فضيلة، وحسبه فى ذلك أن كان خلقه القرآن .

● وأما تفصيل هذه الأخلاق، فسوف نكتفى فيه بالشاهد والدليل، ونحيل من أراد التوسع على كتب السيرة النبوية وكتب الشمائل ونحوها من الكتب وهى كثيرة بفضل الله تعالى، ونكتفى هنا بالحديث عما يلى من أخلاقه ﷺ .

الحيـــاء :

الحياء خلق يبعث على اجتناب القبيح، ويمنع من التقصير فى حق ذى الحق .

* روى البخارى بسنده عن سالم عن أبيه رضى الله عنهما أن النبى ﷺ مر برجل يعظ أخاه فى الحياء، فقال: «دعه فإن الحياء من الإيمان. وفى رواية لمسلم «الحياء شعبة من الإيمان» .

* وروى الترمذى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «الحياء من الإيمان، والإيمان فى الجنة، والبذاء من الجفاء والجفاء فى النار» .

* وروى الإمام مالك بسنده عن زيد بن طلحة بن ركانة برفعه إلى النبى ﷺ ، قال: «إن لكل دين خلقا وخلق الإسلام الحياء» .

* وروى الخرائطى بسنده عن عمران بن حصين رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «الحياء خير كله، فقال له رجل: إنه يقال فى الحكمة: إن منه ضعفا، وإن منه عجزا، فقال له عمران: أخبرك عن رسول الله ﷺ ، وتحدثنى عن الصحف؟» .

* وروى الأصبهانى فى كتابه «أخلاق النبى» بسنده عن أبى سعيد رضى الله عنه أنه كان

يقول: «كان رسول الله ﷺ أشد حياء من العذراء في خدرها، وكان إذا كره شيئا عرفناه في وجهه» .

الأمانة والوفاء والصدق :

* روى الخرائطى فى كتابه « مكارم الأخلاق ومعاليها» بسنده عن عبدالله بن مسعود رضى الله عنه قال: القتل فى سبيل الله كفارة كل ذنب إلا الأمانة، وإن الأمانة الصلاة والزكاة والغسل من الجنابة والكيل والميزان، والحديث، وأعظم من ذلك الودائع» .

* وروى أحمد بسنده عن أنس رضى الله عنه قال: «ماخطبنا رسول الله ﷺ إلا قال : «لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له»، وأخرجه البيهقى فى شعب الإيمان، والبغوى فى شرح السنة .

* وروى ابن ماجة بسنده عن فضالة بن عبيد رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «المؤمن من أمنه الناس على أموالهم وأنفسهم، والمهاجر من هجر الخطايا والذنوب» .

* وروى الخرائطى بسنده عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «تقبلوا لى بست أتقبل لكم الجنة، قالوا: وماهى؟ قال: «إذا حدث أحدكم فلا يكذب، وإذا وعد فلا يخلف، وإذا اؤتمن فلا يخن، وغضوا أبصاركم واحفظوا فروجكم، وكفوا أيديكم» .

* وروى الإمام أحمد فى مسنده بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : « ثلاث فى المنافق: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان، وإن صلى وصام وزعم أنه مسلم» .

* وروى البخارى فى التاريخ الكبير بسنده عن عبدالله بن عامر بن ربيعة العدوى العنزى قال: جاء رسول الله ﷺ إلى بيتنا وأنا صبى صغير، فذهبت لألعب فقالت أمى: تعال أعطيك، فقال رسول الله ﷺ : «وما أردت أن تعطيه؟ قالت: أردت أن أعطيه تمرا، قال: أما أن لو لم تفعلى لكتبت عليك كذبة» .

* وروى الخرائطى بسنده عن عبدالله بن مسعود رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «ثلاث من كن فيه فهو منافق، ومن كانت فيه خصلة منها ففيه خصلة من النفاق: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان» .

العفو والصفح والتواضع :

* روى الإمام مسلم بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ما نقصت صدقة من مال قط، وما زاد الله رجلا بعفو إلا عزاً، وما من احد تواضع لله إلا رفعه الله عز وجل ».

* وروى أبويعلى بسنده عن أنس رضى الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يعود المريض، ويتبع الجنازة، ويجيب دعوة المملوك، ويركب الحمار، وكان يوم خيبر ويوم قريظة ، والنضير على حمار مخطوم بحبل من ليف، وتحته إكاف من ليف » .

وفى هذا الحديث ونحوه إشارة إلى الملوك والرؤساء ان يتواضعوا، ولايتخذوا هذه المراكب الفخمة والمراكب الضخمة، وأن يقتدوا به فى رعاية شئون الناس.

* وروى الخرائطى بسنده عن أبى سعيد رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : « أحسنوا إذا وُليتم ، واعفوا عما ملكتم ».

* وروى الحاكم فى مستدركه بسنده عن عقبة بن عامر رضى الله عنه قال: لقيت رسول الله ﷺ وآله وسلم فاخذت بيده واخذ بيدى فقال: ياعقبة: الا اخبرك بافضل اخلاق أهل الدنيا والآخرة؟ تصل من قطعك، وتعطى من حرمك، وتعفو عمن ظلمك، الا ومن اراد أن يمد فى عمره ويبسط فى رزقه فليصل رحمه» .

* وروى الترمذى بسنده عن أبى عبدالله الجدلى رضى الله عنه قال: سالت عائشة- رضى الله عنها - عن خلق رسول الله ﷺ فقالت: «لم يكن فاحشا ولا متفحشا ولا صخابا فى الأسواق، ولا يجزى بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح» .

* وروى الإمام أحمد فى مسنده بسنده عن أنس رضى الله عنه قال : « خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين ، فما أمرنى بامر فتوانيت عنه أو ضيعته فلامنى، فإن لامنى أحد من اهل بيته قال: دعوه، فلو قُدر، او قال : لو قُضى ان يكون لكان » .

* وروى الأصبهانى بسنده عن جابر رضى الله عنه قال : قاتل رسول الله ﷺ محارب بن خصفة « وكان ذلك فى غزوة ذات الرقاع » فراوا من المسلمين غرة ، فجاء رجل « اسمه غورث بن الحارث » حتى قام على رسول الله ﷺ بالسيف، فقال: من يمنعك منى؟ قال الله، فسقط السيف من يده، فاخذ رسول الله ﷺ السيف، فقال: من يمنعك منى؟ قال: كن خير آخذ قدر، قال أتشهد ان لا إله إلا الله وانى رسول الله؟ قال : لا، غير انى

لا اقاتلك ولا أكون معك، ولا أكون مع قوم يقاتلونك، فخلى سبيله، فجاء أصحابه (أى الرجل) فقال: جئتكم من عند خير الناس) .

* وروى الأصبهانى بسنده- فى أخلاق النبى ﷺ عن عائشة رضى الله عنها قالت- : كان رسول الله ﷺ إذا بلغه عن رجل شيء، لم يقل له: قلت كذا وكذا، بل قال: ما بال أقوام يقولون كذا وكذا)؟

* وروى الأصبهانى بسنده عن الشفاء رضى الله عنها قالت: (أتيت رسول الله ﷺ يوما أساله شيئا، فجعل يعتذر إلىّ) .

الكرم والجود والسخاء والبذل والسماحة :

وهذه الألفاظ كلها تدل على حب العطاء للآخرين ، وكلها من محاسن الاخلاق التى كان يتصرف بها رسول الله ﷺ .

* روى أبو نعيم فى كتابه : (حلية الأولياء) بسنده عن عمران بن حصين رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : (إن الله استخلص هذا الدين لنفسه، لا يصلح لدينكم إلا السخاء، وحسن الخلق، الا فزينوا دينكم بهما) .

* وروى الترمذى فى كتاب (الشمائل المحمدية) بسنده عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال: جاء رجل إلى النبى ﷺ يساله فقال: (ماعندى من شيء أعطيك، ولكن استقرض علينا حتى يأتينا شيء فنعطيك) فقال عمر : يا رسول الله ما كلفك الله هذا، أعط ما عندك، فإذا لم يكن فلا تكلف، قال: فكره رسول الله ﷺ قول عمر حتى عرف ذلك فى وجهه، فقام رجل من الانصار فقال: بابى انت وامى، اعط ولا تخف من ذى العرش، إقلالا، قال فتبسم رسول الله ﷺ وقال: بهذا أمرت) .

* وروى الخرائطى بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : (أقيلوا السخى زلته، فإن الله آخذ بيده كلما عثر) .

* وروى البغوى فى شرح السنة بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: إنه سمع رسول الله ﷺ يقول: (إن الله عز وجل قال: أَنفق أُنفق عليك ، ويد الله ملأى لا يغيضها نفقة، سحاء الليل والنهار) .

* وروى المنذرى -- فى الترغيب والترهيب- بسنده عن عائشة رضى الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ : (الجنة دار الأسخياء) .

* وروى الخرائطى بسنده عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه قال: إن رجلا اتى رسول الله ﷺ فقال: يارسول الله: اى العمل افضل؟ قال: « إيمان بالله وتصديق به، وجهاد فى سبيله »، قال: أريد أهون من ذلك يارسول الله، قال: « السماحة والصبر » .

* وروى الأصبهانى بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: « كان رسول الله ﷺ أجود الناس بالخير، وكان أجود ما يكون فى رمضان حين يلقاه جبريل عليه السلام » .

* وروى الأصبهانى بسنده عن عائشة رضى الله عنها قالت: « كان النبى ﷺ لا يُسال شيئا فيمنعه » .

* وروى الحاكم فى مستدركه بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « ليس المؤمن الذى يبيت وجاره إلى جنبه جائع » .

الرفق واللين والأناة :

* روى الإمام مسلم بسنده عن جرير رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: « من يحرم الرفق يحرم الخير » .

* وروى أبو داود بسنده عن عبدالله بن مغفل رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: « إن الله رفيق يحب الرفق ويعطى عليه ما لا يعطى على العنف » .

* وروى مسلم بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما ان النبى ﷺ قال لأشج عبدالقيس: « إن فيك خصلتين يحبهما الله ، الحلم والأناة » .

* وذكر ابن حجر فى المطالب العالية فى باب الأناة والرفق بسنده عن أنس رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: « التأنى من الله والعجلة من الشيطان، وما من شيء أكثر معاذير من الله، وما من شيء أحب إلى الله من الحمد » .

* وروى البخارى فى الأدب المفرد بسنده عن رجل من بَلى قال: خرجت مع ابى إلى النبى ﷺ ، فناجاه ابى دونى، فقلت لأبى: ما قال لك رسول الله ﷺ ؟ قال: قال لى النبى ﷺ : « إذا أردت امرا عليك بالتؤدة حتى يجعل الله لك مخرجا - أو قال: فرجا » .

* وروى الترمذى بسنده عن أبى الدرداء رضى الله عنه ان رسول الله ﷺ قال: « من اعطى حظه من الرفق فقد اعطى حظه من الخير، ومن حرم حظه من الرفق فقد حرم حظه من الخير » .

* وروى أحمد بسنده عن عائشة رضى الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يبدو إلى هذه

التّلاع بناقة محزّمة من إبل الصدقة وقال: « ياعائشة، اتقى الله وارفقى بها، فإن الرفق لايدخل فى شىء إلا زانه، ولا يخرج من شىء إلا شانه » .

إنصاف الرجل الناس من نفسه :

* روى الخرائطى بسنده عن عمار بن ياسر رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « لايستكمل العبد الإيمان حتى يكون فيه ثلاث خصال: قلت: وما هن؟ قال: الإنفاق من الإقتار، والإنصاف من نفسه، وبذل السلام ».

* وروى الإمام أحمد بسنده عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ وسلم: « فمن سره منكم أن يُزحزح عن النار، وأن يُدخل الجنة فلتدركه موتته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر وليأت إلى الناس الذى يحب أن يُؤتى إليه ».

* وروى ابن ماجة بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : « كن ورعا تكن أعبد الناس، وكن قنعا تكن أشكر الناس، وأحب للناس ماتحب لنفسك تكن مؤمنا، وأحسن مجاورة من جاورك تكن مسلما وأقل الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلب ».

* وروى الخرائطى بسنده عن عبدالله بن عُليم قال: قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه: « من ينصف الناس من نفسه يعط الظفر فى أمره، والذل فى الطاعة أقرب إلى البر من التعزيز فى المعصية » .

وبعد :

فإن ماذكرته من صفات لأخلاق الرسول ﷺ هو قليل من كثير، وإلا فإن صور الأخلاق الشخصية للرسول ﷺ لا تحصى بسهولة، فقد ورد فيها فى القرآن الكريم ما لا نبالغ إن قلنا: إنه مئات الصفات الأخلاقية الفاضلة التى تحلى بها الرسول ﷺ ودعا المسلمين إلى التحلى بها.

كذلك فإن فى القرآن الكريم تنديدا بمجموعة من الأخلاق السيئة والخصال المذمومة، نهى عن الاتصاف بها، كما ندد بها رسول الله ﷺ ونهى عن الاتصاف بها .

ومن المسلم به أن رسول الله ﷺ هو القدوة للمسلمين فى أخلاقه وهديه كله، كما قررنا ذلك آنفا .

وإلى حديثنا عن صور من أخلاقه ﷺ فى مجالات الاجتماع والسياسة والاقتصاد، والله هو الموفق المعين.

٢- صور من أخلاقه ﷺ فى المجال الاجتماعى

نعنى بالمجال الاجتماعى ما يتصل بالمصالح العامة المشتركة بين المسلمين أفرادا وأسرا وجماعات وأوطاناً إسلامية، وما ينبغى أن يربط بينهم من تعاون على البر والتقوى وجلب الخير ودفع الشر، وما يجب أن يقوم به المسلمون أفراداً وجماعات من دعوة إلى الله وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر.

ومن صميم هذا المجال الاجتماعى ما جاء فى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة من ضرورة بناء أسرة مسلمة ومجتمع مسلم وأمة مسلمة، يسود أفرادها الوئام والتواد والتراحم، لا الخصام والنزاع على الحدود السياسية المصطنعة، مهما تعددت ألوانهم وتباينت بيئاتهم واختلفت ألسنتهم، إذ تضم الأمة جميع الأخوة فى الإسلام وتقضى على كل عصبية أو عرقية أو إقليمية أو نحوها.

والقرآن الكريم والسنة النبوية -التى تفصله- فيهما من المبادئ الاجتماعية ما يكفل للناس نسقا منظما من التعاون الذى يحقق الخدمات ويصل بالناس إلى مستوى جيد ملائم لمعيشة الإنسان، وإلى قيام علاقات اجتماعية صحيحة بين الأفراد بتنمية قدراتهم وتحسين حياتهم الإنسانية بعامة، بحيث يستطيع الإنسان فى حياته أن يحقق سعادة الدنيا والآخرة.

والمتدبر للقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة يستطيع أن يضع يده على كثير من السنن الاجتماعية التى جاء بها الإسلام على أعلى مستوى اجتماعى يتاح فى ظل أى نظام أو منهج.

إن فى الكتاب والسنة كثيراً من القيم الاجتماعية الفاضلة، التى تدعم إنسانية الإنسان، وإن فيهما لحملة على كثير من القيم الاجتماعية التى تهبط بإنسانية الإنسان.

فمن القيم الاجتماعية الفاضلة التى نلمسها فى أخلاق النبى ﷺ:

- الدعوة إلى توحيد الله وعبادته والتلقى عنه واتباع منهجه.

- والدعوة إلى اتباع أركان الإسلام وما فيها من إصلاح للفرد وإصلاح للمجتمع.

- والدعوة إلى الله لنقل الناس من الضلالة إلى الهدى ومن الكفر إلى الإيمان، دعوة بالحكمة والموعظة الحسنة وجدالا بالتى هى أحسن.

- والدعوة إلى احترام أهل الأديان واحترام الإنسان عموما بحيث لا ينزل المجتمع أو الحكومة فى التعامل مع الإنسان إلى ما لا يليق بالإنسان كإهدار حقوقه وحرياته، فضلاً عن تعذيبه نفسيا وبدنيا لمجرد شبهة تحيط به.

- والتعامل بالمنهج الإسلامى فى الحياة، ذلك المنهج الذى يكفل لكل إنسان حياة إنسانية كريمة..

ومن القيم الاجتماعية الهابطة الرازلة التى لا تليق بالإنسان، مما حذر منها النبى ﷺ ودعا إلى التحلى بأخلاق ترفضها:

- رفض الظلم بكل أنواعه ومقاومته بكل سبيل مشروع،

- ورفض الإثم والفواحش وكل أنواع الباطل ومقاطعة أصحابها،

- ورفض التعاون على الإثم والعدوان.

كل تلك قيم اجتماعية جاء بها الإسلام وتمثلت فى أخلاق الرسول ﷺ، على كل مستوى من مستويات المجتمع، الأسرة والأقارب والأرحام، والأصدقاء والجيران، والكبار والصغار، وأصحاب الحاجات، والمتخاصمين، والمتعادين كل هذه المستويات فى المجتمع وضع لها الإسلام نظاماً، وجاءت أخلاق الرسول ﷺ تطبيقا عمليا لهذا النظام، ليقتدى به المسلمون فى كل زمان ومكان.

● **ففى مجال الأسرة وأفرادها:**

جاءت أخلاق الرسول ﷺ تضع الحدود والأبعاد لنظام الزواج والطلاق والخلع والظهار واللعان والإيلاء، وكل ما يتصل بالحياة الزوجية الصحيحة التى تحفظ لكل من الزوجين كافة حقوقه وتلزمه بواجباته.

وكذلك ما يتصل بالأبناء والآباء ومن يعملون فى هذه الأسرة ليعينوا على أن تؤدى الأسرة واجبها نحو المجتمع الذى تعيش فيه.

* روى ابن سعد فى الطبقات بسنده عن عمرة عن عائشة رضى الله عنها أنها سئلت: كيف كان رسول الله ﷺ إذا خلا فى بيته؟ قالت: «كان ألين الناس، وأكرم الناس وكان رجلا من رجالكم إلا أنه كان ضحاكا بساما».

* وروى الخرائطى بسنده عن ابن مسعود رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «ألا أخبركم

على من تحرم النار؟ قالوا: بلى، قال: على الهيّن الليّنّ السهل القريب».

* وروى الحاكم فى مستدركه بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما، أن النبى ﷺ قال: «خيركم خيركم للنساء».

* وروى الحاكم بسنده عن عائشة رضى الله عنها قالت: «قلت يا رسول الله: من أعظم الناس حقا على المرأة؟ قال: زوجها، قلت: من أعظم الناس حقا على الرجل؟ قال: أمه».

* وروى الحاكم فى مستدركه عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من كنّ له ثلاث بنات فصبر على لأوائهن وضرائهن ادخله الله الجنه برحمته إياهن، قال: فقال رجل: وابنتان يارسول الله، قال: وإن ابنتان، قال رجل: يارسول الله: وواحدة، قال: وواحدة».

* وروى الحاكم فى مستدركه بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من لم يرحم صغيرنا، ويعرف حق كبيرنا فليس منا».

* وروى الترمذى بسنده عن أبى سعيد رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من كانت له إبنتان أو ثلاث أو أختان أو ثلاث فاتقى الله فيهن فأنفق عليهن وأحسن إليهن حتى يغنيهن الله عز وجل، دخل الجنة».

وروى أبو داود بسنده عن عوف بن مالك أن النبى ﷺ قال: «أنا وامرأة سفعاء الخدين كهاتين: امرأة تأيمت من زوجها، وحبست نفسها على يتاماها حتى بانوا أو ماتوا».

* وروى الخرائطى بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «من كفل يتيما من بين مسلمين يلى طعامه وشرابه حتى يغنيه الله أوجب الله له الجنة البتة إلا أن يعمل عملا لا يغفر له».

* وروى ابن ماجة بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «أُحَرِّجُ حق الضعيفين اليتيم والمرأة».

والأحاديث النبوية أو الأخلاق النبوية التى توصى بكل فرد يعيش فى الأسرة أو فى كنفها أكثر من أن تحصى هنا، وهى فى جملتها تحفظ لكل فرد فى الأسرة حقوقه الإنسانية، وتوجهه إلى القيام بواجباته من أجل أن تعيش الأسرة حياة إنسانية كريمة.

وفي مجال الأقارب والأرحام :

في هذا المجال تحرص الأخلاق الإسلامية على أن تضع الأقارب والأرحام في العلاقات الاجتماعية في وضع كريم يلائم ما يربط بين هؤلاء من روابط دم أو نسب أو صهر، وإذا حسنت العلاقة بين الأقارب والأرحام اتسع نطاق البر والخير في المجتمع، وأصبح التكافل حقيقة واقعة، وحلت المودة محل التعاتب ثم التقاطع.

* روى البخاري بسنده عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « من سره أن يبسط له في رزقه أو ينسأ له في أثره فليصل رحمه ».

* وروى الترمذي بسنده عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : جمعنا رسول الله ﷺ ونحن أربعون، فكنت آخر من أتاه فقال : « إنكم منصورون ومفتوح لكم، فمن أدرك ذلك منكم، فليتق الله وليأمر بالمعروف ولينه عن المنكر وليصل رحمه، ومن كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار ».

* وروى الخرائطي بسنده عن أبي ذر رضي الله عنه قال : « أوصاني خليلي ﷺ بصلة الرحم وإن أدبرت، وأمرني أن أقول الحق وإن كان مراً ».

* وروى الخرائطي بسنده عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه قال : « جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال : أخبرني بعمل أدخل به الجنة ، قال : « تعبد الله ولا تشرك به شيئًا ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتحج البيت وتصوم رمضان ، وتصل الرحم » .

* بل إن صلة الرحم في الإسلام تتعدى المسلمين إلى المشركين؛ فالمسلم يصل رحمه ولو كان على الشرك .

* روى البخاري بسنده عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت : قدمت عليّ أمي وهي مشركة في عهد رسول الله ﷺ ، قلت : وهي راغبة ، أفأصل أمي ؟ قال : « نعم، صلي أمك » وفي رواية : وهي « راغبة مشركة » ، وفي رواية : « راغبة وهي مشركة » .

* وروى الترمذي بسنده عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « قال الله عز وجل : أنا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها شعبة من اسمي، فمن وصلها وصلته ، ومن قطعها بتتُّه » .

قال العلماء في التعليق على ذلك : « إن الرحم مشتقة من اسم الرحمن سبحانه وتعالى ، وهذا يعني أنها أثر من آثار رحمته مشتبكة بها ، فمن تمسك برحمه ووصلها كان متعلقًا

برحمة الله تعالى ، متصلا بها ، ومن قطع رحمه كان منقطعًا من رحمة الله تعالى ، فكان المولى عز وجل يقول : من وصل رحمه وصلته : يعني راعيت حقوقه ووفيته ثوابه ، ومن قَصَرها قصرت به في ثوابه ومنزلته وقطعته قطعًا لا وصلة له . وهذا وعيد شديد »[1] .

* وروى ابن ماجة بسنده عن سلمان بن عامر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « الصدقة على المسكين صدقة وعلى ذي الرحم اثنتان : صدقة وصلة » وفي رواية للإمام أحمد بنفس السند : « صدقتك على المسكين صدقة ، وعلى ذي القربى الرحم اثنتان صدقة وصلة » .

* وروى البخاري بسنده عن أنس رضي الله عنه : لما نزلت ﴿ لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ﴾ جاء أبو طلحة إلى رسول الله ﷺ ، فقال يا رسول الله ، يقول الله تبارك وتعالى : ﴿ لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ﴾ وإن أحب أموالي إليّ بَيْرُحاء ، قال : ـ وكانت حديقة كان رسول الله ﷺ يدخلها ويستظل بها ويشرب من مائها ـ فهي إلى الله عز وجل وإلى رسوله ﷺ ، أرجو برّه وذخره ، فضعها أي رسول الله حيث أراك الله ، فقال رسول الله ﷺ : « بخ يا أبا طلحة ، ذلك مال رابح قبلناه منك ورددناه عليك ، فاجعله في الأقربين » ، فتصدق به أبو طلحة على ذوي رحمه . . . .

وفي مجال الأصدقاء والإخوان :

وهؤلاء الإخوان والأصدقاء ينبغي أن يختاروا اختياراً حسنًا ، وقد أوضح رسول الله ﷺ معايير الاختيار ، فقد روى الخرائطي بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قيل يا رسول الله : أي جلسائنا خير ؟ قال : « من ذكركم بالله برؤيته، وزاد في عِلْمِكم منطقه ، وذكركم بالآخرة عمله » .

* وروى الهيثمي في « مجمع الزوائد » بسنده عن أبي جحيفة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « جالسوا الكبراء وسائلوا العلماء ، وخالطوا الأمراء » .

وروى الخرائطي بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « المرء على دين خليله ، فلينظر أحدكم من يخالل » .

* وروى البخاري بسنده عن عبد الله بن حنطب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « المؤمن أخو المؤمن ، حيث يغيب يحفظه من ورائه ، ويكف عليه ضيعته ، والمؤمن مرآة المؤمن » .

---

(١) انظر : عارضة الأحوذي في شرح سنن الترمذي .

* وروى الإمام أحمد بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تدابروا ولا تباغضوا ولا تناجشوا ، وكونوا عباد الله إخوانا كما أمركم الله عز وجل » .

* وروى البخارى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث ولا تحسسوا ولا تجسسوا ، ولا تناجشوا ولا تحاسدوا ، ولا تباغضوا ولا تدابروا ، ولكن كونوا إخوانا كما أمركم الله عز وجل ، ولا يخطب رجل على خطبة أخيه حتى ينكح أو يترك » .

* وروى البخارى بسنده عن جرير بن عبد الله رضى الله عنه قال : «بايعت رسول الله ﷺ على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم » ، وعنه رضى الله عنه قال : إنى أتيت رسول الله ﷺ ، قلتُ أبايعك على الإسلام ، فشرط علىّ : والنصح لكل مسلم ، فبايعته على هذا » .

* وروى الإمام مسلم بسنده عن تميم الدارى رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « الدين النصيحة » ، قيل لمن يا رسول الله ؟ قال : «لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم » .

* وروى البزار فى مسنده بسنده عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا التقى المسلمان فسلم كل واحد منهما على صاحبه وتصافحا نزلت بينهما مائة رحمة : للبادئ تسعون ، وللمصافح عشرة » .

* وروى الحكيم الترمذى فى نوادر الأصول بسنده عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا اجتمع القوم فى سفر فليجمعوا نفقاتهم عند أحدهم ، فإنه أطيب لنفوسهم وأحسن لأخلاقهم » .

* وروى الترمذى بسنده عن أم الدرداء عن أبى الدرداء رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ما من امرئ مسلم يرد عن عرض أخيه إلا كان حقًا على الله عز وجل أن يرد عنه نار جهنم يوم القيامة » .

* وروى أبو داود بسنده عن جابر بن عبد الله وأبى طلحة بن سهل رضى الله عنهما قالا : قال رسول الله ﷺ : « ما من امرئ ينصر مسلمًا فى موطن ينتهك فيه من عرضه وتستحل حرمته إلا نصره الله فى موطن يحب فيه نصرته ، وما من امرئ خذل مسلمًا فى موطن تنتهك فيه حرمته إلا خذله الله فى موطن يحب فيه نصرته » .

* وفي مجال الضيافة والضيفان والجيران :

روى الإمام أحمد بسنده عن عقبة بن عامر الجهني قال : قال رسول الله ﷺ : « لا خير فيمن لا يضيف » .

* وروى الترمذي بسنده عن أبي الأحوص عن أبيه رضي الله عنه قال : قلت يا رسول الله، مررتُ برجل فلم يضفني ولم يَقْرني فأجزيه؟ قال : « لا بل أقْرِه » .

* وروى الخرائطي بسنده عن أبي المنهال رضي الله عنه قال : مر النبي ﷺ برجل له عَكَر من إبل وغنم فلم يضفه ، ومرّ بامرأة لها شويهات فذبحت له وأضافته ، فقال النبي ﷺ : « انظروا إلى هذه ، مررنا بهذا الرجل وله عكر من إبل وغنم وبقر ، فلم يذبح لنا ولم يضفنا، وإنما لها شويهات فذبحت لنا وضيفتنا » ، ثم قال ﷺ : « إنما هذه الأخلاق بيد الله؛ فمن شاء أن يمنحه الله خُلقًا حسنًا فعل » .

* وروى البخاري بسنده عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال : « ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه » .

* وروى البخاري بسنده عن أبي شريح رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : « والله لا يؤمن، والله لا يؤمن ،والله لا يؤمن، قيل ومن يا رسول الله؟قال : الذي لا يأمن جاره بوائقه » .

* وروى البخاري بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت » .

* وروى الخرائطي بسنده عن مجاهد قال : دخل أُبيّ بن كعب على فاطمة رضي الله عنها ابنة محمد ﷺ فأخرجت إليه كَرَبَةً فيها كتاب : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن إلى جاره » .

* وروى الإمام أحمد بسنده عن أبي شريح رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ، فليكرم جاره » .

* وروى الإمام مسلم بسنده عن أبي ذر رضي الله عنه قال : أوصاني خليلي ﷺ قال : « إذا طبخت قدراً فأكثر ماءها ، ثم انظر بعض أهل بيت من جيرانك فاغرف لهم منها » .

* وروى ابن ماجة بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « كن

ورعًا تكن أعبد الناس ، وكن قنعًا تكن أشكر الناس ، وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مؤمنًا ، وأحسن مجاورة من جاورك تكن مسلمًا، وأقل الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلب » .

* وروى المنذرى بسنده - في كتابه الترغيب والترهيب - عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضى الله عنهم : أن رسول الله ﷺ قال : « أتدرون ما حق الجار ؟

إن استعان بك أعنته ،

وإن استقرضك أقرضته ،

وإن افتقر عدت عليه ،

وإن مرض عدته ،

وإن مات اتبعت جنازته ،

وإن أصابه خير هنأته ،

وإن أصابته مصيبة عزيته،

ولا تستطل عليه البناء فتحجب عنه الريح إلا بإذنه ،

وإن اشتريت فاكهة فاهد له ، فإن لم تفعل فادخلها سرًا ولا يخرج بها ولدك ليغيظ بها ولده ،

ولا تؤذه بُقتار قدرك إلا أن تغرف له منها .

أتدرون ماحق الجار ؟ والذى نفسى بيده لا يبلغ حقَّ الجار إلا من رحمه الله »

فما زال يوصيهم بالجار حتى ظنوا أنه سيورثه ،

ثم قال : « الجيران ثلاثة :

فمنهم من له ثلاثة حقوق ، ومنهم من له حقان ، ومنهم من له حق واحد ، فأما الذى له ثلاثة حقوق :

فالجار المسلم القريب ، له حق الإسلام وحق الجوار وحق القرابة ،

وأما الذى له حقان فالجار المسلم ، له حق الإسلام وحق الجوار ،

وأما الجار الذى له حق واحد فالجار الكافر ، له حق الجوار .

قالوا يا رسول الله أنطعمهم من لحوم النسك ؟ قال : « لا يطعم المشركون من نسك المسلمين » .

* وروى الإمام أحمد بسنده عن نافع بن عبد الله بن الحارث قال : قال رسول الله ﷺ : « من سعادة المرء الجار الصالح والمركب الهنيء والمسكن الواسع » .

* وروى ابن ماجة بسنده عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أن رجلا قال : يا رسول الله : كيف لى أن أعلم إذا أحسنت ؟ وكيف لى أن أعلم إذا أسأت ؟ قال : « إذا سمعت جيرانك يقولون : قد أحسنْتَ فقد أحسنت ، وإذا سمعتهم يقولون : قد أسأتَ فقد أسأت » .

* وروى البخارى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « لا يمنع جار جاره أن يغرز خشبة فى جداره » ، ثم قال أبو هريرة : « مالى أراكم عنها معرضين ، والله لأرْمينَّ بها بين أكنافكم » .

* وروى المنذرى بسنده عن عمرو بن الحَمِق رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا أراد الله بعبد خيراً عسَّله » قيل : ما عسَّله ؟ قال « يحببه إلى جيرانه » وفى رواية له أيضاً قال : « يوفق له عملا صالحًا بين يدى رحلته حتى يرضى عنه جيرانه » .

ـ وفى مجال الإصلاح بين الناس .

من أنبل القيم الاجتماعية الإصلاح بين الناس ، وذلك أن الناس لا يبعد عليهم أن يختلفوا ، وإذا اختلفوا فإن مما يغضب الله أن يحاول أحد توسيع هوة الاختلاف ، ومما هو قربة إلى الله تعالى محاولة الإصلاح بينهم ، ذلك هو منهج الإسلام ، وتلك هى أخلاق النبى ﷺ المتمثلة فى كلماته الشريفة .

* روى أبو داود بسنده عن أبى الدرداء رضى الله عنه قال : قال النبى ﷺ : « ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة ؟ قالوا : بلى ، قال : « إصلاح ذات البين ، وفساد البين هى الحالقة » وفى رواية أنه قال : « هى الحالقة ، لا أقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين » .

* وروى البخارى بسنده عن سهل بن سعد رضى الله عنه أن أهل قباء اقتتلوا حتى تراموا بالحجارة ، فأخبر رسول الله ﷺ بذلك فقال : « اذهبوا بنا نصلح بينهم » .

* وروى أبو داود الطيالسي في مسنده بسنده عن أبي أيوب رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال له : « يا أبا أيوب : ألا أدلك على صدقة يَرْضى الله ورسولُه موضعَها ؟ قال : بلى ، قال : « تصلح بين الناس إذا تفاسدوا ، وتقرب بينهم إذا تباعدوا » .

* وروى البخاري بسنده عن أم كلثوم بنت عقبة[1] رضي الله عنها قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس فَيَنْمي خيراً أو يقول خيراً » .

* وروى الإمام أحمد بسنده عن أسماء بنت يزيد - وهي أم سلمة خطيبة النساء - أنها سمعت رسول الله ﷺ يخطب يقول : « يأيها الذين آمنوا ، ما يحملكم على أن تتابعوا في الكذب كما يتتابع الفراش في النار ، كل الكذب يكتب على ابن آدم إلا ثلاث خصال : رجل كذب على امرأته ليرضيها ، أو رجل كذب في خديعة حرب ، أو رجل كذب بين امرأين مسلمين ليصلح بينهما » .

* وروى الحاكم في مستدركه بسنده عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : بينا رسول الله ﷺ جالس إذ رأيناه ضحك حتى بدت ثناياه ، فقال له عمر رضي الله عنه : ما أضحكك يا رسول الله بأبي أنت وأمي ؟ قال : « رجلان من أمتي جثيا بين يدي رب العزة فقال أحدهما : يارب خذ لي مظلمتي من أخي ، فقال الله تبارك وتعالى للطالب : فكيف تصنع بأخيك ولم يبق من حسناته شيء ؟ قال يارب : فليحمل من أوزاري » ، قال : وفاضت عينا رسول الله ﷺ بالبكاء ، ثم قال : « إن ذلك اليوم عظيم يحتاج الناس أن يحمل عنهم من أوزارهم ، فقال الله تعالى للطالب : ارفع بصرك فانظر في الجنان ، فرفع رأسه فقال يارب : أرى مدائن من ذهب وقصوراً من ذهب مُكللة باللؤلؤ ، لأي نبي هذا ، أو لأي صديق هذا ، أو لأي شهيد هذا ؟ قال : هذا لمن أعطى الثمن . قال يارب : ومن يملك ذلك ؟ قال أنت تملكه ، قال : بماذا ؟ قال بعفوك عن أخيك ، قال يارب : فإني قد عفوت عنه ، قال الله عز وجل : فخذ بيد أخيك فادخله الجنة » ، فقال رسول الله ﷺ عند ذلك : « اتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم ، فإن الله تعالى يصلح بين المسلمين » .

وبعد : فهذه صور من أخلاق الإسلام أو أخلاق الرسول ﷺ في المجال الاجتماعي من حياة الإنسان ، ذلك المجال الذي لو استقام على المبادئ والقيم التي كانت عليها أخلاق النبي ﷺ لعاش المجتمع حياة إنسانية كريمة تليق بتكريم الله تعالى للإنسان .

---

(١) هي أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط الأموية، أسلمت قديمًا، وهي أخت لعثمان بن عفان رضي الله عنه لأمه، وهي أول من هاجر إلى المدينة بعد هجرة النبي ﷺ ، تزوجها عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه .

٣ ـ صور من أخلاقه ﷺ فى المجال السياسى

نعنى بالمجال السياسى تلك المبادئ الخلقية التى توطد كيان الدولة فى الإسلام ، وتبين واجبها وحقها ، وما لها وما عليها ، مع التركيز على ان هذه المبادئ من العموم والمرونة ـ كما سنرى ـ بحيث تضع الإطار ، وترسم الهيكل وتدع للمسلمين فى كل عصر ان يجتهدوا فى تفسير هذه المبادئ وتفصيلها على النحو الذى يلائم حياتهم وما يجد على هذه الحياة من متغيرات .

* ولقد كانت شخصية الرسول ﷺ واخلاقه التى الهمه الله إياها هى التى ترسم الحدود وتضع الابعاد فى مسائل السياسة فى حياته الشريفة ، وبخاصة بعد ان استقر فى المدينة المنورة ، واسس نظام حكم يخضع لقيم الإسلام واخلاقه .

* ولقد كان عمل الرسول ﷺ فى تنظيم حكومة هو الانموذج المحتذى ، وهو القدوة المتبعة ، ولكن من يتأمل فى عمل الرسول ﷺ فى هذا المجال يجده عملاً عامًا وخطوطًا عريضة ، ونظامًا مرنا ، يدع الفرصة لمن يأتى بعده من الحكام أن يجتهد وفق هذه الخطوط العريضة وأن يبتكر ويجدد بحسب ما تمليه عليه مصلحة المسلمين وما يحيط بهم من مستجدات .

* هكذا توجه خلفاؤه الراشدون من بعده ، حافظوا على الخطوط العريضة واجتهدوا فيما يعود على المسلمين بالنفع فى الدين والدنيا .

ومن امثلة هذه الاجتهادات ما يلى :

* جَمَعَ أبو بكر الصديق رضى الله عنه القرآن الكريم ولم يكن قد جمع هكذا من قبل .

* وجمع عثمان بن عفان رضى الله عنه الناس على مصحف واحد .

* وسَمَّى المسلمون حاكمهم الاول بعد الرسول ﷺ خليفته ، وفرضوا له عطاء فى بيت المال .

* واستخلف أبو بكر رضى الله عنه عند موته عمر بن الخطاب بعد ان جمع عليًا وعثمان ورجالا من المهاجرين والانصار ، وقال لهم : قد حضر ما ترون ولابد من قائم بأمركم ، فإن شئتم اخترتم لانفسكم وإن شئتم اخترت لكم، قالوا : بل اختر لنا ، فقال لعثمان اكتب :

هذا ما عهد أبو بكر .... »(1) .

* وكتب عمر بن الخطاب التاريخ الهجرى فى ربيع الاول سنة ١٦هـ واتخذ عمر رضى الله عنه بيت المال ، واتخذ الديوان .

ثم أخذ المسلمون فى الاجتهاد على مر العصور فيما يعود على المسلمين بالنفع فى دينهم ودنياهم ما دامت تلك الاجتهادات لا تخالف هذه المبادئ العامة والقيم التى جاء بها الإسلام .

وإذا كان المجال الاجتماعى - كما رأينا آنفًا - قد كثرت فيه التشريعات وتفرعت ، فإن الجانب السياسى - وهو أكثر تغيراً من الجانب الاجتماعى فى حياة الإنسان - قد جاءت مبادئه وقيمه عامة ، ليستطيع المسلمون من خلالها أن يواكبوا المتغيرات السياسية المستمرة فى حياة الإنسان .

ونحاول فى هذه النقطة من الكتاب أن نستعرض صوراً من أخلاق النبى ﷺ فى المجال السياسى مركزين على ما يلى :

- تحديد مكان ولى الأمر ومكانته ، وما له وما عليه فى تعامله مع من يتولى أمرهم،
- والسياسة والبعد عن الريبة،
- ومبدأ الشورى،
- ومبدأ العدل،
- ومبدأ توزيع المال بعد جمعه بالحق،

والله سبحانه هو الموفق والمعين .

(1) انظر : أبو هلال العكسرى : الأوائل : ١٢٠ ط طنجة، المغرب الأقصى . ١٣٨٥هـ-١٩٦٦م .

* تحديد مكان ولىّ الأمر ومكانته ، وماله وما عليه :

لا يعانى المجتمع من شيء مثل ما يعانى من حاكم يتجاوز حدود مكانه ومكانته ، ويأخذ ما له ، ويقصر فيما عليه ، والإسلام في تشريعاته السياسية العامة حرص على ان يكون الحاكم والمحكومون متضامنين يتبادلون الحقوق والواجبات ، ويعملون فى تعاون واحترام على ان يصل لكل ذى حق حقه ، وأن يقوم كل فرد فى المجتمع بواجبه .

* والمبدأ العام الذى اقره الإسلام فى ذلك هو : « كل ممارسة لحق يجب ان يقابلها اداء واجب » ، وهذا المبدأ يطبق على الحاكم والمحكوم على السواء .

* وقد جاءت سيرة الرسول ﷺ واخلاقه نماذج حية لهذا المبدأ الكبير الجليل الذى تقوم عليه الحياة السياسية فى أحسن ما تكون عليه .

ولقد وصف القرآن الكريم الرسول ﷺ بصفات كانت ماثلة فيه او وجهه القرآن إليها بوصفه رأس الدولة وولى أمر الناس فيها .

* قال الله تعالى : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ (١٢٨) ﴾ [التوبة : ١٢٨] .

فهذه صفات ثلاث يجب ان تكون فى كل حاكم وهى :

- ان يشق عليه ما يصيب المحكومين من ضرر ادبى او مادى .

- وان يحرص على هداية من يحكمهم فلا ينى فى توجيههم إلى كل خير .

- وان يكون عظيم العطف والرحمة عليهم .

بهذه الصفات فى الحاكم او بقيامه بهذه الواجبات ، يستحق الاحترام والطاعة فى العسر واليسر والمنشط والمكره ، بل تعد طاعته من طاعة الله ، قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا (٥٩) ﴾ [النساء : ٥٩] .

* ولقد اكد الرسول ﷺ واجب الحاكم وكل من يلى امر غيره فى الحديث النبوى الجامع الذى رواه البخارى ومسلم بسنديهما عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته :

الإمام راع ومسئول عن رعيته ،

والرجل راع فى أهله ومسئول عن رعيته ،

والمرأة راعية فى بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها ،

والخادم راع فى مال سيده ومسئول عن رعيته ،

وكلكم راع ومسئول عن رعيته » .

* وروى الإمام مسلم بسنده عن عائشة رضى الله عنها قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول فى بيتى هذا : « اللهم مَنْ ولى من أمر أمتى شيئًا فشق عليهم فاشقق عليه ، ومن ولى من أمر أمتى شيئًا فرفق بهم فارفق به » .

* وروى أبو داود بسنده عن أبى مريم الأزدى رضى الله عنه أنه قال لمعاوية رضى الله عنه : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من ولاه الله شيئًا من أمور المسلمين ، فاحتجب دون حاجتهم وخلتهم وفقرهم ، احتجب الله دون حاجته وخلته وفقره يوم القيامة » ما فجعل معاوية رضى الله عنه رجلاً على حوائج الناس .

* وروى البخارى ومسلم بسنديهما عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال : « على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره إلا أن يؤمر بمعصية ، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة » .

* وروى البخارى بسنده عن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « اسمعوا وأطيعوا ، وإن استعمل عليكم عبد حبشى كأن رأسه زبيبة » .

* وروى أبو داود بسنده عن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « إذا أراد الله بالأمير خيراً جعل له وزير صدق إن نسى ذكّره وإن ذكر أعانه ، وإذا أراد به غير ذلك جعل له وزير سوء إن نسى لم يذكره وإن ذكر لم يعنه » .

ومن جملة هذه الأحاديث النبوية وغيرها -مما هو فى بابها وهو كثير- تتحدد مكانة ولى الأمر من الناحية السياسية، ويتضح ما له من حقوق وما عليه من واجبات ، وماذا يجب أن يتحلى به من صفات شخصية وصفات عامة تهم سياسته فى الناس .

* السياسة والبعد عن الريبة :

يحرص الناس على أن ينظروا إلى من ولّاهُ الله أمرهم نظرة حساب ، لأنه عندهم يمثل رمزاً رفيع الشأن ، ومن كان رمزًا حسبت عليه كل أقواله وأعماله ، ذلك شأن الناس قديمًا

وحديثًا ، ولقد اوضح هذه الحقيقة عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فإنه بعد ان تولى الخلافة جمع آل الخطاب وقال لهم : « يا آل الخطاب : إن الناس ينظرون إليكم اليوم كما تنظر الطير إلى اللحم ... » .

* ومن أجل ذلك فإن الحاكم المسلم يجب أن ينأى بنفسه وبذويه عن كل أمر يضعه موضع الريبة والتهمة وسوء الظن ، ولقد كان ذلك خلق رسول الله ﷺ وهو المعصوم .

* وروى الإمام مسلم بسنده عن أنس بن مالك رضى الله عنه ان رسول الله ﷺ كلّم إحدى نسائه ، فمر به رجل فدعاه رسول الله ﷺ فقال : « يا فلان ، هذه زوجتى فلانة » ، فقال : يا رسول الله من كنت اظن فيه فإنى لا اظن بك ، فقال : « إن الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدّم » .

* وروى البخارى بسنده عن صفية ابنة حيى رضى الله عنها قالت : كان رسول الله ﷺ معتكفًا فاتيته ازوره ليلاً فحدثته ، ثم قمت فانقلبت فقام معى -وكان مسكنها فى دار اسامة بن زيد- فمرَّ رجلان من الانصار ، فلما رأيا النبى ﷺ أسرعا، فقال النبى ﷺ : « على رسلكما ، إنها صفية ابنة حُيَى » ، قالا : سبحان الله يا رسول الله ، قال : « إن الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم ، وإنى خشيت أن يقذف فى قلوبكما شيئًا -أو قال- شرًا » .

* وروى ابن أبى الدنيا بسنده عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه قال : « من كتم سرّه كانت الخيرة فى يديه ، ومن عرّض نفسه للتهمة فلا يلومنَّ من أساء به الظن » .

* وروى البخارى ومسلم بسنديهما عن النعمان بن بشير رضى الله عنه ان رسول الله ﷺ قال : « الحلال بيّن والحرام بيّن ، وبينهما أمور مشتبهات ، لا يعلمها كثير من الناس ، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لعرضه ودينه ، ومن وقع فى الشبهات وقع فى الحرام .. » .

*** السياسة ومبدأ الشورى :**

لا تستقيم سياسة الناس إلا على الشورى ، قال ابن عطية : « والشورى من قواعد الشريعة وعزائم الأحكام ، ومن لا يستشير أهل العلم والدين فعزله واجب ، وهذا ما لا خلاف فيه »[1] .

والشورى صفة أساسية فى المسلم تكمل ابعاد شخصيته الإسلامية ، ولذلك جاءت مبكرة فى القرآن والمسلمون لا يزالون بعد بمكة المكرمة قبل الهجرة ، وجاءت صفة بين

(١) القرطبى : الجامع لأحكام القرآن الكريم : ٢ / ١٤٩١ ، ط الشعب القاهرة، دون تاريخ .

صفات الإيمان والتوكل واجتناب كبائر الإثم والفواحش والاستجابة لله وإقامة الصلاة وإيتاء الصدقات والإنفاق في سبيل الله ... قال الله تعالى : ﴿ فَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾ وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾ .... ﴾

[الشورى: ٣٦ - ٤٠] .

وكان من خلق رسول الله ﷺ الأخذ بمبدأ الشورى وبخاصة فيما يتصل بمسائل الحرب ، كما حدث فى غزوة بدر وغزوة أحد وغيرهما .

وكذلك كان شأن الصحابة رضوان الله عليهم ، كتشاورهم فى اختيار أبى بكر رضى الله عنه خليفة ، وتشاورهم فى حروب الردة وجمع القرآن الكريم ، وميراث الجدّ ونحو ذلك .

* والأخذ بمبدأ الشورى من أسباب صلاح الأرض كلها ، فقد روى الترمذى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه أن الرسول ﷺ قال : « إذا كان أمراؤكم خياركم ، وأغنياؤكم أسخياءكم وأمركم شورى بينكم فظهر الأرض خير لكم من بطنها ، وإذا كان أمراؤكم شراركم، وأغنياؤكم بخلاءكم، وأمركم إلى نسائكم، فبطن الأرض خير لكم من ظهرها » .

* وأخرج الخطيب عن على كرم الله وجهه قال : قلت يا رسول الله ، الأمر ينزل بعدك لم ينزل فيه قرآن ، ولم يسمع منك فيه شيء ؟ قال : « اجمعوا له العابد من أمتى واجعلوه بينكم شورى ولا تقضوا فيه برأى واحد » .

* وروى الخطيب بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه مرفوعًا : « استرشدوا العاقل ترشدوا ، ولا تعصوا فتندموا » .

* وسياسة الدولة لابد أن تعتمد على الشورى يمارسها الحاكم ويراها لازمة واجبة ، لا فضيلة يندب إليها ، وما قام نظام حكم فى المسلمين قديمًا وحديثًا فنجح وكان له التوفيق، إلا إذا كان يعتمد الشورى وسيلة من وسائل إنضاج الرأى والوصول إلى الصواب .

* السياسة ومبدأ العدل .

مبدأ العدل من المبادئ التى فرضها الإسلام فرضًا ، وأمر به أمرًا مطلقًا وجعله أساسًا فى التعامل مع الله ومع النفس ومع الناس .

ولأسلافنا من العلماء تعريفات للعدل وتفريعات جيدة نذكر منها ما قاله أبو بكر محمد

ابن عبد الله المشهور بابن العربي -صاحب كتاب «أحكام القرآن» وكتاب «العواصم من القواصم».

قال : العدل بين العبد وربه إيثار حقه تعالى على حظ نفسه ، وتقديم رضاه سبحانه وتعالى على الهوى واجتناب الزواجر وامتثال الأوامر،

وأما العدل بينه وبين نفسه فمنعها مما فيه هلاكها ،

وأما العدل بينه وبين الخلق فبذل النصيحة وترك الخيانة فيما قل وكثر، والإنصاف من نفسك لهم بكل وجه .

* وقد كان خلق رسول الله ﷺ العدل ، كما أكدت ذلك أحاديث النبي ﷺ :

* روى الإمام مسلم والنسائي وأحمد بأسانيدهم عن ابن عمرو رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « إن المقسطين عند الله يوم القيامة على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين ، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما وُلُّوا » .

* وروى البيهقي في شعب الإيمان بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ما من أمير عشيرة إلا وهو يُؤْتَى به يوم القيامة مغلولاً ، حتى يفكه العدل أو يوبقه » .

* وروى النسائي بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إنما الإمام جنة يُقَاتَل مِنْ ورائه ، ويتقى به ، فإن أمر بتقوى الله وعَدَل ، فإن له بذلك أجراً ، وإن أمر بغيره فإن عليه وزراً » .

* وروى الترمذي بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : « إن من أعظم الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر » .

* إن العدل مطلوب أساسي على مستوى الحاكم وكل من يلي أمر غيره من المسلمين ، ومطلب ديني على مستوى التعامل مع الله ومع النفس ، ومطلب ديني سياسي على مستوى الأفراد في تعاملهم مع الحاكم ومع سائر الناس .

وبديل العدل الظلم ، والظلم من أكبر الكبائر ، ومن أهم أسباب الخراب والضياع ، وقد نهى الله عن الظلم في كثير من آيات القرآن الكريم ، وجاء النهي كذلك في كثير من أحاديث النبي ﷺ .

* وبعد، فإن العدل ورفض الظلم دعامتان قويتان تقوم عليهما الحياة السياسية فى الإسلام، وكل تفصيل لمفردات العدل تتفرع عن هذه الأنواع الثلاثة التى ذكرنا ـ العدل مع الله ، والعدل مع النفس ، والعدل مع الخلق ـ يترك أمره لاجتهاد المسلمين وأهل العلم والتقوى منهم ، وتلك هى المرونة فى التشريعات الإسلامية، كما أشرنا إلى ذلك غير مرة .

* السياسة ومبدأ جمع المال وتوزيعه .

السياسة الاقتصادية -كالسياسة الاجتماعية- جزء من السياسة العامة للدولة ، وكل منها يكمل صاحبيه ، فإذا اختلت إحدى هذه السياسات بدا الاضطراب فى السياسة العامة للدولة .

* وأقدم تشريع فى السياسة الاقتصادية هو الزكاة التى فرضها الله على القادرين من المسلمين ليسدوا بما يدفعو من أموال حاجة المحتاجين، والزكاة حق لأصحابها ومصارفها أوجبه الرسول ﷺ على المسلمين منذ فترة مبكرة من تاريخ الإسلام ، ولا يستبعد بعض الباحثين أن تكون قد فرضت والمسلمون بمكة لورود آيات قرآنية عنها بمكة المكرمة ، وربما كان النبى ﷺ يجمع من القادرين من المسلمين أموالاً يسد بها حاجة المحتاجين ، يجمعه على سبيل الفرض لا التطوع ، بالإضافة إلى الصدقات التطوعية الأخرى .

* نستطيع أن نجد آيات عن الزكاة فى السور المكية مثل قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [فاطر : ٢٩]

وقوله سبحانه وتعالى : ﴿ هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُم بِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [النمل : ٢، ٣] .

وقوله جل شأنه : ﴿ وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ ﴾ [الإسراء : ٢٦] .

وقوله جل وعلا : ﴿ آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا قَلِيلاً مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾ ﴾ [الذاريات : ١٦ - ١٩] .

ثم اتسع الحديث عن الزكاة فيما بعد واخذ طابع الامر والإيجاب، فى حين كان قبل ذلك ترغيبا وتشريفا وندبا، وما ذلك إلا لان الزكاة إحدى ركائز المال او بيت مال المسلمين.

ومن ذلك الآيات القرآنية التالى ذكرها.

قال الله تعالى: ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ (١١٠) ﴾ [البقرة: ١١٠].

وقال جل شانه: ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ (٣٣) ﴾ [الأحزاب: ٣٣].

وقال عز وجل: ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ (٥) ﴾ [البينة: ٥].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٦٠) ﴾ [التوبة: ٦٠].

فكل هذه الآيات الكريمة توجب الزكاة على المسلمين القادرين، وإحدى هذه الآيات تفرض الزكاة فرضا وتحدد مصارفها.

* وكلمة العاملين عليها تدل على ان الموظفين الذين يكلفهم الحاكم بجمع أموال الزكاة لهم حق فيها، وقد كان رسول الله ﷺ يكلف من يجمعها من الصحابة مما يؤكد انها مورد رئيسى من موارد بيت مال المسلمين.

- ومورد آخر من موارد بيت مال المسلمين هو الغنائم فى الحروب وغنائم الحروب نوعان كما يعرف ذلك من آيات القرآن الكريم ومن أحاديث الرسول ﷺ واخلاقه، وهما :

* غنائم جاءت نتيجة لحرب فعلية قام بها المسلمون.

* وغنائم جاءت من غير حرب فعلية وهى الفيىء.

- والنوع الاول لبيت المال منه الخمس والباقى للمحاربين، يفهم ذلك من قول الله تعالى: ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ

وَابْنِ السَّبِيلِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (41) ﴾ [الأنفال: 41].

– وأما النوع الثاني فكله لبيت المال، كما يفهم ذلك من قوله تعالى: ﴿ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (7) ﴾ [الحشر: 7].

* والذين يستحقون خمس الغنائم وكل الفيىء هم – كما نصت على ذلك الآيتان السالفتان –:

الله سبحانه وتعالى، لتوضع في أيدى المحتاجين من عباده،

ورسوله ﷺ يضعها حيث يشاء،

ولذى القربى من المحاويج(1)،

واليتامى،

والمساكين،

وابن السبيل.

– ومن موارد بيت مال المسلمين:

* الوصية في حدود الثلث،

* والميراث في مجال من مات ولاوارث له،

* والأوقاف والحبوس،

* والصدقات غير المفروضة من هبة وتبرع ونحو ذلك(2).

– أما مصارف بيت المال فيمكن أن نذكر منها ما يلى:

* مصارف الزكاة المفروضة الثمانية المذكورة فى آية «إنما الصدقات...».

(1) يرى بعض المفسرين ان ذوى القربى هم أقرباء النبى ﷺ، ويرى آخرون انهم اصحاب الخدمات والمنافع للإسلام واهله.

(2) وتلك الصدقات لاتجوز على رسول الله ﷺ ولا على آله لاحاديث نبوية شريفة اوضحت ذلك.

* ومصارف الغنائم والفيىء الستة المذكورة فى آيتى الأنفال: ٤١، والحشر: ٧.

* والمرافقة العامة للدولة،

* وكل ما يحقق للمسلمين مصلحة،

* وكل ما يدفع عن المسلمين مضرة أو مفسدة،

* وكل عاجز عن العمل والكسب،

* وكل من تصيبه جائحة أو مصيبة.

- والأحاديث النبوية التى تصور أخلاق رسول الله ﷺ فى الصدقة والصدقات -فرضها ونفلها- كثيرة تزيد على المئين، نذكر منها -على سبيل الشاهد والمثال- ما يلى:

- روى البخارى ومسلم بسنديهما عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «أفضل الصدقة أن تصدق صحيح شحيح تأمل الغنى وتخشى الفقر، ولاتمهل حتى إذا بلغت الحلقوم قلت: لفلان كذا ولفلان كذا، ألا وقد كان لفلان كذا».

- وروي أبو داود بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أفضل الصدقة جهد المقل، وابدأ بمن تعول».

- وروى الترمذى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى يقبل الصدقة، ويأخذها بيمينه فيربيها لأحدكم كما يربى أحدكم مهره، حتى إن اللقمة لتصير مثل أحد».

- وروى النسائى بسنده عن سلمان بن عامر رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال: «الصدقة على المسكين صدقة، وهى على ذى الرحم اثنتان: صدقة وصلة».

- وروى الترمذى بسنده عن قيس بن أبى غرزة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يا معشر التجار، إن الشيطان والإثم يحضران البيع، فشوبوا بيعكم بالصدقة».

- وروى الإمام أحمد بسنده عن بسر بن جحاش رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله تعالى يا ابن آدم، أنّى تعجزنى وقد خلقتك من مثل هذا؟ حتى إذا سويتك وعدلتك مشيت بين بردين وللأرض منك وئيد، فجمعت ومنعت، حتى إذا بلغت التراقى قلت: أتصدق! وأنى أوان الصدقة؟».

وبعد: فتلك صور من أخلاق النبى ﷺ فى سياسة جمع المال وتوزيعه، وهى أخلاق لو

تمسك بها الناس حكاما ومحكومين لحققوا لانفسهم سعادة الدنيا والآخرة، ولدفعوا عن انفسهم شرور الدنيا وهمومها، ولعاشوا احرارا لايتحكم فيهم اجنبى فيجعلهم من الاذناب والاتباع فى سياستهم الاقتصادية التى تفضى بهم إلى التبعية السياسية ، فالضعف والعجز عن مواجهة اى عدو، ثم الضياع والتضحية بكرامة الإنسان، حيث لاكرامة لمواطن فى وطن تابع خانع، يفرض عليه عدوه ما يريد من السياسات!!!

الخاتمـــــة :

بفضل من الله وعون يستوجب حمده سبحانه وتعالى وشكره، نختم هذا الكتاب وهو الحلقة الثانية من مفردات التربية الإسلامية « التربية الخلقية » بعد أن سبقته إلى الظهور الحلقة الأولى من هذه المفردات : « التربية الروحية » وستتلوه إذا أذن الله باقى الحلقات وهى :

التربية العقلية،

والتربية الجسدية،

والتربية الدينية،

والتربية الاجتماعية،

والتربية السياسية،

والتربية الاقتصادية،

والتربية الجهادية،

والتربية الجمالية .

وبهـذه السلسلة أكون قـد أصّلت هذه المفـردات، بمعنى أنى بحـثت عن أصولهـا فى الكتاب والسنة النبوية المطهرة .

وفى ختام هـذه الحلقة « التربية الخلقية » يحق لى أن أقول : إن القيم الخلقية التى جاء بها الإسـلام قـادرة ـعند التـمسك بهـا ـ على حل جـمـيع المشكلات التى تعـانى منهـا الأمـة الإسلامية، اجتماعيا وسياسيا واقتصاديا، والتاريخ شاهد على صدق هذه المقولة فى الماضى، وعلى مصداقيتها فى الحاضر والمستقبل .

وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك .

محتوى الكتاب

البـــاب الثالث:

قائمة بأعمال المؤلف

أولا:

فى الفكر الإسلامى وقضاياه:

١ – مع العقيدة والحركة والمنهج .	نشر دار الوفاء بمصر.
٢ – الغزو الصليبى والعالم الإسلامى.	نشر دار التوزيع والنشر الإسلامية.
٣ – المسجد وأثره فى المجتمع الإسلامى .	نشر دار المنار بالقاهرة.
٤ – الغزو الفكرى وأثره فى المجتمع الإسلامى.	نشر دار المنار بالقاهرة.
٥ – التراجع الحضارى فى العالم الإسلامى وطرق التغلب عليه.	نشر دار الوفاء بمصر.
٦ – التعريف بسنة الرسول ﷺ أو علم الحديث دراية.	نشر دار التوزيع والنشر الإسلامية.
٧ – نحو منهج بحوث إسلامى.	نشر دار الوفاء بمصر.
٨ – السلفية ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب.	نشر دار عكاظ بالسعودية.

ثانيا:

فى التربية الإسلامية:

٩ – تربية الناشئ المسلم.	نشر دار الوفاء بمصر.
١٠ – فقه الأخوة فى الإسلام.	نشر دار التوزيع والنشر الإسلامية.
١١ – منهج التربية عند الإخوان المسلمين.	نشر دار الوفاء بمصر.
١٢ – وسائل التربية عند الإخوان المسلمين .	نشر دار الوفاء بمصر.

ثالثا:

سلسلة التربية فى القرآن الكريم:

١٣ – التربية الإسلامية في سورة المائدة.	دار التوزيع والنشر الإسلامية.
١٤ – التربية الإسلامية فى سورة النور.	دار التوزيع والنشر الإسلامية.
١٥ – التربية الإسلامية فى سورة آل عمران .	دار التوزيع والنشر الإسلامية.

رابعا:

سلسلة مفردات التربية الإسلامية:

١٦ – التربية الروحية .	دار التوزيع والنشر الإسلامية.
١٧ – التربية الخلقية .	دار التوزيع والنشر الإسلامية .

خامسا:

فى فقه الدعوة الإسلامية:

١٨ – فقه الدعوة إلى الله.	دار الوفاء بمصر.
١٩ – فقه الدعوة الفردية.	دار الوفاء بمصر.
٢٠ – المرأة المسلمة وفقه الدعوة إلى الله.	دار الوفاء بمصر.

٢١ – التوثيق والتضعيف بين المحدثين والدعاة. دار الوفاء بمصر.

٢٢ – عالمية الدعوة الإسلامية. دار الوفاء بمصر.

٢٣ – فقه المسئولية فى الإسلام. دار التوزيع والنشر الإسلامية.

سادسا:

سلسلة في فقه الإصلاح والتجديد عند الإمام حسن البنا:

٢٤ – فهم أصول الإسلام. دار التوزيع والنشر الإسلامية.

٢٥ – الإخلاص فى مجال العمل الإسلامى. دار التوزيع والنشر الإسلامية.

٢٦ – ركن العمل او منهج الإصلاح الإسلامى. دار التوزيع والنشر الإسلامية.

٢٧ – ركن الجهاد أو الركن الذى لاتحيا الدعوة إلا به. دار التوزيع والنشر الإسلامية.

٢٨ – ركن التضحية أو بذل النفس والمال وكل شيء فى سبيل الله. دار التوزيع والنشر الإسلامية.

سابعا:

فى الأدب الإسلامي:

٢٩ – مصطفى صادق الرافعي والاتجاهات الإسلامية في أدبه. نشر دار عكاظ بالسعودية.

٣٠ – جمال الدين الأفغاني والاتجاهات الإسلامية فى أدبه. نشر دار عكاظ بالسعودية.

ثامنا:

فى الدراسات الأدبية:

٣١ – القصة العربية فى العصر الجاهلى. نشر دار المعارف بمصر.

٣٢ – النصوص الادبية تحليلها ونقدها. نشر دار عكاظ بالسعودية.

تاسعا:

كتب معدة للنشر بإذن الله تعالى:

١ – التربية الإسلامية فى سور الانفال.

٢ – التربية الإسلامية فى سورة النساء.

٣ – التربية الإسلامية فى سورة الاحزاب.

٤ – باقى سلسلة مفردات التربية الإسلامية وهى:

التربية العقلية، والتربية البدنية، والتربية الدينية، والتربية الاجتماعية، والتربية السياسية، والتربية الاقتصادية، والتربية الجهادية، والتربية الجمالية.

٥ – باقى سلسلة: فى فقه الإصلاح والتجديد عند الإمام حسن البنا وهى:

ركن الطاعة، وركن التجرد، وركن الثبات، وركن الاخوة، وركن الثقة.

٦ – التربية الإسلامية فى المدرسة.

٧ – التربية الإسلامية فى المجتمع.